

سَجَرُ الْبَلَاغَةِ وَسَجَرُ الْبِرَاعَةِ

تأليف
أبي نصر محمد بن الحسين الشافعي البغدادي
المتوفى 269 هـ

دار الكتب والعلوم
بمصر

سُرُّ الْبَلَاغَةِ وَسُرُّ الْبَرَاغَةِ

تَأَلَّفَ

أَبِي مَنْصُور عَبْدِ الْمَلِكِ الشَّعَائِبِيِّ النَّيْسَابُورِيَّ
الْمُتَوَفَّى ٤٢٩ هَجْرِيَّةً

صَحَّحَهُ وَضَبَطَهُ

الْأُسَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ السَّلَامِ الْحَوْفِيُّ

دار الكتب العلمية

بَیروت - لُبْنَان

جميع الحقوق محفوظة
لدار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

يطلب من : دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان
هاتف : ٨٠١٣٣٢ - ٨٠٥٦٠٤ - ٨٠٠٨٤٢
صرب ٩٤٢٤-١١ - تلکس : NASHER 41245 Le

بسم الله الرحمن الرحيم

رب سهل ويسر

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة على النبي محمد وآله أجمعين^(١).
أما بعد فإن هذا الكتاب أخرجتُ بعضه من غرر نجوم الأرض، ونُكت
أعيان الفضل من بُلغَاء العصر في النثر، وحللتُ بعضه من نظم أمراء الشعر،
الذين أوردتُ مُلَح أشعارهم في كتابي المترجم بيتيمة الدهر، فلفقتُ جميع
ذلك ونسقتُهُ، وسردتُهُ وسقته وأنفقت عليه جميع ما رزقته، وعملتُهُ بجهد الخاطر،
وكذّ الناظر، وعرق الجبين، وتعب اليمين، وبؤبؤه وربّته وتعمّدت فيه لذّة الجدّة،
ورونق الحداثة، وملاحة الطراوة، ولم أشبه بشيء سوى كلام أهل العصر،
اللهم إلا قلائد قلائل من ألفاظ الجاحظ وابن المعتزّ، تخللت أثناءه
وتوسّطت تضاعيفه. ولم أُخل كلمة من كلماته التي هي وسائط الآداب،
وصياقل الألباب، وما تشتهي أنفس الأدباء وتلذّ أعين الكتّاب، من لفظ
فصيح، أو معنى بديع، أو تجنيس، أنيس، أو تشبيه، بلا شبيه، أو تمثيل،
بلا مثل أو عديل، أو استعارة، من ألحسن مُستعارة، أو طباق، ذي رونق
باق. فمن مرافق هذا الكتاب، قُرْب مُتناوله على بلغاء الكتاب، إذا طرّوا
ديباجة كلامهم بما يقتبسونه من نوره، وسماحة قياده لأفراد الشعراء إذا رصّعوا
عُقود نظامهم بما يلتقطونه من شُدوره. فأما المخاطبات والمحاورات فإنها

(١) قال في الهامش: وفي نسخة: أما بعد حمد الله أولى من حمد، والصلاة على محمد
أفضل من ولد، (وهو ما ذكر في كشف الظنون).

تَبَرَّجَ بَغْرَةً مِنْ غُرَرِهِ، وَتَوَجَّجَ بِدُرَّةٍ مِنْ دُرَرِهِ، وَقَدْ كُنْتُ أَخْرَجْتَهُ فِي نَسَخَتَيْنِ مُتَقَارِبَتَيْنِ الْكَيْفِيَّةِ وَالْكَمِّيَّةِ، مُتَشَاكِلَتَيْنِ الصَّنْعَةِ وَالصَّيْغَةِ، أَهْدَيْتُ إِحْدَاهُمَا إِلَى الشَّيْخِ الرَّئِيسِ أَبِي سَهْلٍ أَحْمَدَ بْنِ الْحَسَنِ الْحَمْدُونِي، وَالْأُخْرَى إِلَى صَاحِبِ الْجَيْشِ أَبِي عِمْرَانَ مُوسَى بْنِ هَارُونَ الْكُرْدِيِّ، وَهَذِهِ النُّسخَةُ الثَّلَاثَةُ تَجْمَعُ بَيْنَهُمَا وَتَأْخُذُ بِأَطْرَافِهِمَا وَأَوْسَاطِهِمَا، وَتَزِيدُ بِأَبْكَارِ طَرَائِفِ وَبَوَاكِرِ لَطَائِفِ عَلَيْهِمَا، وَتُسْتَفِيدُ فَضْلَ تَنْقِيحٍ وَتَهْذِيبٍ وَتَثْذِيبٍ. وَلِتُسَرِّفْهَا بِخَزَائِنِ الْأَمِيرِ الْوَحْدِ أَبِي الْفَضْلِ عِبِيدَ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ الْمِيكَالِيِّ، عَمَرَهَا اللَّهُ بِطَوْلِ عَمَرِهِ، وَتَحْلِيهَا بِاسْمِهِ، ثَبَّتَهَا اللَّهُ بِدَوَامِ ذِكْرِهِ، وَتَشْتَمِلُ عَلَى أَرْبَعَةِ عَشَرَ كِتَابًا، يَتَضَمَّنُ كُلُّ كِتَابٍ مِنْهَا أَبْوَابًا، [وَهَذَا ثَبُتُ الْكُتُبِ]:

- كِتَابُ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَرَسُولِهِ ﷺ وَكِتَابُهُ.
- كِتَابُ الْأَزْمَنَةِ وَالْأَمَكْنَةِ وَمَا يَتَّصِلُ بِهَا وَيَشَاكِلُهَا.
- كِتَابُ أَحْوَالِ الْإِنْسَانِ مِنَ لَدُنْ صِبْغِهِ وَنَمَائِهِ، إِلَى كِبَرِهِ وَأَنْتَهَائِهِ.
- كِتَابُ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَمَا يَنْضَافُ إِلَيْهِمَا وَيَقْتَرِنُ بِهِمَا.
- كِتَابُ النُّظْمِ وَالنَّثْرِ وَأَصْحَابِهِمَا وَالْأَتْنَمَا وَأَدْوَاتِهِمَا.
- كِتَابُ الْمَمَادِحِ وَالْأَثْنِيَّةِ وَمَا يَجْرِي مَجْرَاهَا.
- كِتَابُ الْمَسَاوِيءِ وَالْمَقَابِحِ وَمَا يَدَانِيهَا.
- كِتَابُ الْعِيَادَةِ وَمَا يُجَانِسُهَا.
- كِتَابُ التَّهْنِائِي وَالْتِهَادِي وَمَا يَنْخَرُطُ فِي سَلَكِهَا.
- كِتَابُ التَّعَاذِي وَمَا يَلِيْقُ بِهَا.
- كِتَابُ الْإِخْوَانِيَّاتِ وَمَا يَأْخُذُ مَأْخُذَهَا.
- كِتَابُ السُّلْطَانِيَّاتِ وَمَا يَقَعُ فِي أَبْوَابِهَا.
- كِتَابُ الشُّوَارِدِ وَالْفَوَارِدِ وَمَا يَشْبِهُهَا.
- كِتَابُ الْأَمْثَالِ وَالْحِكَمِ وَالْمَوْاعِظِ وَمَا يَحْذُو حَذْوَهَا.

وهذا ثبت أسماء بلغاء العصر

الذين أخرجت معظم الكتاب من غُرر نثرهم

فمن أهل الشام: أبو الفرج البيّغاء، وأبو محمد الفياض، ومن أهل العراق أبو محمد المهلبي الوزير، وأبو إسحاق الصابي وآبن عمّه أبو الخطاب، وأبو الحسن الموسوي النقيب. ومن أهل الجبل وفارس وجرجان أبو الفضل بن العميد وآبنه أبو الفتح، والصاحب أبو القاسم إسماعيل بن عبّاد، والأمير شمس المعالي [قابوس، وأبو القاسم عبد العزيز بن يوسف، وأبو الحسن] علي بن القاسم القاساني، وأبو العباس أحمد بن إبراهيم الضبي، وأبو منصور^(١) بن المرزبان الشيرازي، وأبو الحسن علي بن عبد العزيز القاضي الجرجاني، ومن أهل خراسان والطارئين عليها أبو القاسم الإسكافي وأبو يحيى الحمادي، وأبو علي الدامغاني، وأبو أحمد محمد بن اليعسج، والأمير أبو الفضل الميكالي، [وأبو بكر الخوارزمي، وأبو الفتح علي بن محمد البُستي]، وبديع الزّمان أبو الفضل الهمداني، وأبو محمد الحسن بن محمد البروجردی، وأبو نصر محمد بن عبد الجبار العُتيّ.

وهذا ثبت أسماء شعراء العصر

الذين حللت بعض الكتاب من مُلح نظمهم

أبو الطّيب المتنبي، وأبو فراس الحمداني، وأبو العباس النامي، والسريّ الموصلي، والخالديان: أبو بكر، وأبو عثمان، وآبن سُكرة الهاشمي، وأبو طالب المأموني، والقاضي التنوخي، وأبو نصر بن نباتة، وأبو القاسم

(١) كذا في النُسختين وفي يتيمة الدّهر: أبو نصر.

الزَّعْفَرَانِي، وَابْنُ لَنَكَّكِ الْبَصْرِي، وَأَبُو دُلْفِ الْخَزْرَجِي، وَأَبُو الْحَسَنِ اللَّحَامِ،
وَأَبُو سَعِيدِ الرُّسْتَمِيِّ، وَأَبُو مُحَمَّدِ بْنِ مَطْرَانَ الشَّاشِيِّ، وَأَبُو الْحَسَنِ السَّلَامِيِّ،
وَأَبْنُ أَبِي الْعَلَاءِ الْأَصْفَهَانِي، وَأَبُو مُحَمَّدٍ الْخَازَن، وَعَبْدُ الصَّمَدِ بْنِ بَابَكِ،
وإِسْمَاعِيلُ الشَّاشِيُّ، وَأَبُو الْحَسَنِ الْجَوْهَرِيُّ.
ثم إن هذا الكتابُ المشتملُ عَلَى الكُتُبِ الأربعة عشر مترجم:

بسحر البلاغة وسر البراعة

وأرجو أن يكون أسماً يُوافقُ مُسمَّاهُ، وَلَفْظاً يُطابقُ معناه، بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَشِئَتِهِ.

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب

ذكر الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وكتابه

مقدمات

الحمد لله تبارك وتعالى ، إِنَّ أَوْلَى ما فغر به أَلْناطِقُ فمه ، وأَفْتَحَ به كَلِمَه ، حمدُ الله ، واجبٌ عَلَى كل ذي مقالَةٍ أَنْ يبدأ بِالْحَمْدِ قبلَ أَفتتاحِها كما بُدِيَءَ بِالنَّعْمَةِ قبلَ أَستحقاقِها . الحمد لله كما أَفتَحَ كتابه الكريم ، وفُرِّقَناه الْعَظِيمَ . الحمد لله شعارُ أَهلِ الْجَنَّةِ كما قالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ وَأَخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ . حمدُ اللهِ خَيْرُ ما أَفتُتَحَ به أَلْقَوْلُ وأَخْتَتَمُ ، وأَبْتَدِئُ به أَلْخُطابُ وتُتَمِّمُ . خيرَ كَلِماتِ الشُّكْرِ ما أَفتُتَحَ به أَلْقُرْآنُ مِنَ الحمد لله رَبِّ الْعَالَمِينَ .

غرر التحاميد

الحمد لله الَّذي لم يُسْتَفْتَحْ بأَفْضَلِ من أسمه كَلام ، ولم يَسْتَنْجَحْ بأَحْسَنَ من صِنْعِهِ مَرام . الحمد لله الَّذي جَعَلَ الحمدَ مُسْتَحَقَّ الحمدِ حتى لا أُنْقَطَعَ ، ومُوجِبَ الشُّكْرِ بأَقْصَى ما يَسْتَطاع . الحمد لله مانِحِ الأَعلاقِ ، وفاتِحِ الأَغْلاقِ . الحمد لله إِبداءَ وإِعادة . الحمد لله مُعِزُّ الْحَقِّ ومُذِلُّهِ ، ومُذِلُّ أَلْباطِلِ ومُزِيلُهُ . الحمد لله المَبِينِ أَيُّدُهُ ، المَتِينِ كَيْدُهُ . الحمد لله ذِي أَلْحُجَجِ أَلْبِوالِغِ ، وَأَلنَّعَمِ أَلسُّوابِغِ ، وَالنَّقَمِ أَلدُّوامِغِ . الحمد لله مُعِزُّ الْحَقِّ وَناصِرِهِ ،

ومذلُّ الباطل وقاصره. الحمدُ لله الَّذي أَقلُّ نعمه يستغرقُ أكثرَ الشكر. والحمد لله الَّذي لا خيرَ إلَّا منه، ولا فضلَ إلَّا من لدنه.

وصف الحمد

حمد لا أنقطاعَ لراتبه، ولا إقلاعَ لسحائبه. حمداً يكون لإنعامه مجازياً، وإحسانه مُوازيًا، وإن كانت آلاؤه لا تجازي، ولا تُوازي، ولا تُباري، ولا تجاري. حمداً يتردّد أنفاس الصدور، ويتكرّر تكرّر لحظات العيون. حمداً يستنزل الرّحمة، ويستكشف الغمّة. حمداً يبلغ الحقّ ويقتضيه، ويمتري المزيد ويقضيه. حمداً يؤنس وحشي النّعم من الزّوال، ويحرّسها من التّغير والآلتقال.

عادة الله جل ذكره

عادة الله لا تُطلب لها غايةٌ إلّا قصرت الأوهامُ عنها، ولا تنسخ فيها آيةٌ إلّا أتي بخيرٍ منها، لا يزال الله يجرينا على أحسن عادة، ويقسم لنا أفضل سعادة. عادة من الله كريمة لا تخلف، وعِدّة من تفضله لا تخلف، على أحسن ما أعْتيد، من إحسانه الّعتيد، عادةً الله جميلة تفوت الشكر وتسبّقه، وتستوعب الحمد وتستغرقه، عادات الله قد فاتت مرام الهمم، وشأت تواريخ الأمم.

صنع الله ولطفه

للدهر نوائبٌ تتخرّم وتتطرّف، ثم إن غمراتها تتجلّى وتتكشّف، فله تعالى في أثنائها الصّنع الجزيل والفرج القريب، سبحان من له في كلّ قضيةٍ الطّاف نعرفها ونثبتها في فضله ونعمته، أو نجهلها فنردّها إلى عدله وحكمته. أحمدُ الله الَّذي لا يخلي عباده من صنْعٍ لهم تنطوي عليه أثناء

النكبات إذا طرقت، ولطف بهم يُلين صعابَ الخطوب إذا جَمَحَتْ. أَلطافُ
الله تسير إلى عبادِهِ في طُرُقِ خَفِيَّةِ المَذاهِبِ، رقيقةَ الجوانبِ. اللهُ مع كلِّ
لمحةٍ صنعَ حَفِيٍّ ولطفَ خَفِيٍّ، اللهُ أَلطافُ سيبُلغَ أَلكتابَ فيها أَجلُهُ، ويعمل
الإقبالَ في إتمامها عمله. صنعَ اللهُ لَطيفَ، وفضله بنا مطيفَ.

ذكر الله تعالى في أثناء الكلام

عَلَامُ الْغُيُوبِ، وَمَنْ بِيَدِهِ أَرْزَمَةُ الْقُلُوبِ، الْخَبِيرُ بِمَا تُجِنُّ الظُّلُمَاتُ، وَتُكِنُّ
السَّرَائِرُ، الْعَالِمُ بِمَا تَفْضِي إِلَيْهِ الْأُمُورُ، وَيَخَانَةُ الْأَعْيُنِ وَمَا تَخْفِي الصُّدُورُ،
أَكْرَمُ مَسْئُولٍ، وَأَعْظَمُ مَأْمُولٍ، سَمِيعٌ لِرَاجِيهِ، قَرِيبٌ مِمَّنْ يَنَاجِيهِ، حَكَمُهُ
مَقْبُولٌ، وَأَمْرُهُ مَفْعُولٌ، اللهُ يَعْلَمُ وَهُوَ أَعْلَمُ شَهِيدٌ، وَأَقْرَبُ لِلضَّمِيرِ مِنْ حَبْلِ
الْوَرِيدِ، وَكُلُّ خَيْرٍ بِيَدِهِ، وَتَتَوَجَّهُ الرِّغَابُ إِلَيْهِ، اللهُ أَحْفَى بِسْأَلِهِ، الْمَشْفَعُ
لَوْسَائِلِهِ، الَّذِي بِيَدِهِ مَقَالِيدُ الْأُمُورِ، وَمِفَاتِيحُ الْمَقْدُورِ، اللهُ مَنْجِزُ عِدَاتِهِ،
وَحَافِظُ عَادَاتِهِ، هُوَ الْنَافِذُ أَمْرُهُ، الْعَزِيزُ نَصْرُهُ، الْعَلِيُّ صَنْعُهُ، الْخَفِيُّ مَكْرُهُ،
أَنَّ اللهُ يَقْضِي مَا يَرِيدُ، وَإِنْ رَغِمَ أَنْفُ الشَّيْطَانِ الْمَرِيدِ. هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ،
الْعَالِمُ بِمَا يُجِنُّ الضَّمِيرُ، مَنْ لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ، وَسَوَاءٌ عِنْدَهُ السِّرُّ وَالْجَبْرُ،
مَوْلَى الْخَلْقِ، وَبَاسِطُ الرِّزْقِ قَدْ أَحْلَتْهُ عَلَى مَلِيٍّ، وَكَتَبَتْ لَهُ إِلَى وَفِيٍّ، إِنَّ
اللهَ مَنْجِزُ وَعْدِهِ، وَلَا خُلْفَ عِنْدَهُ، الْأَمْرُ لَهُ وَالْخَلْقُ بِيَدِهِ، وَالْإِسْتِعَانَةُ بِهِ
وَالْتَفْوِيزُ إِلَيْهِ.

ذكر النبي محمد صلى الله عليه وسلم

سَلِيلُ أَكْرَمِ نَبْعَةٍ، وَقَرِيعُ أَشْرَفِ بُقْعَةٍ. جَاءَ بِأَمْتِهِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ،
وَأَفَاءَ عَلَيْهِمُ الظِّلَّ بَعْدَ الْحُرُورِ. مُحَمَّدٌ نَبِيُّ اللهِ وَصَفْوَتُهُ وَخَيْرَتُهُ مِنْ بَرِيَّتِهِ،
مُؤَكَّدُ دَعْوَتِهِ بِالتَّأْيِيدِ. وَمُفْرَدُ شَرِيعَتِهِ بِالتَّأْيِيدِ، خَيْرَةُ اللهِ مِنْ خَلْقِهِ. وَحُجَّتُهُ فِي
أَرْضِهِ، وَالْهَادِي إِلَى حَقِّهِ. وَالْمُنَبِّهَ عَلَى حُكْمِهِ، وَالِدَّاعِي إِلَى رَشْدِهِ. وَالْأَخِذُ

بفرضه، مبارك مولده، سعيد موره، قاطعة حُجَّجُه. سامية دَرَجُه، ساطع صباحه. متوقّد مصباحه، مظفّرة حروبه. ميسرة خطوبه، قد أفرد بالزعامة وحده، وحتم بأن لا نبي بعده، نفصح بشعاره على المنابر. وبالصلاة عليه في المحاضر، ونعمر بذكره صدور المساجد، وتستوي في الانقياد لأمره حالتا المقرّ والجاحد، آخر الإنبياء في الدنيا عصراً. وأولهم يوم الدين ذكراً، وأرجحهم عند الله ميزاناً. وأوضحهم حُجة وبرهاناً، صدع بالرسالة، وبلغ في الدلالة. ونقل الناس من طاعة الشيطان الرجيم، إلى طاعة الرحمن الرحيم. أرسله الله للإسلام قمراً منيراً، وقدرأ على أهل الضلال مُبِيراً.

الصلاة عليه مع الافصاح

صلى الله على محمد خير من أفتحت بذكره الدّعات، وأستنجحت بالصلاة عليه الطّليبات، صلى الله على محمد نبيّ مبعوث، وأفضل وارث وموروث، صلى الله على كاشف الغمّة عن الأُمّة، الناطق فيهم بالحكمة، الصّادع بالحقّ، الدّاعي إلى الصّدق، محمد رسوله الذي ملكه هوادي الهدى، ودلّ به على ما هو خير وأبقى، صلى الله على بشير الرّحمة والثّواب، ونذير السّطوة والعقاب، محمد الذي أدّى الأمانة مخلصاً، وصدع بالرسالة مُبلغاً ملخصاً، صلى الله على أتم بريته خيراً وفضلاً، وأطيبهم فرعاً وأصلاً، وأكرمهم عوداً ونجراً، وأعلاهم منصباً وفخراً.

ذكر الال

وعلى آله الذين عظمهم توقيرا، وطهرهم تطهيرا، وعلى آله مقاليد السّعادة ومفاتيحها، ومجاديع البركة ومصاييحها، أعلام الإسلام، وأمان الإيمان، الطّيبين الأخيار، والطاهرين الأبرار، الذين أذهب عنهم الأرجاس، وطهرهم من الأدناس، وجعل مودّتهم أجراً له على الناس، وعلى آله الذين هم حبل

الهدى، وشجرة التقوى، وسفينة النجاة العظمى، وعروة الدين الوثقى.
الذين هم زينة الحياة، وسفينة النجاة، وشجر الرضوان، وعشيرة الإيمان،
وعلى الشجرة التي أصلها نبوة، وفرعها مروءة، وأغصانها تنزيل، وورقها
تأويل، وخدمها جبريل وميكائيل.

ذكر القرآن

حبل الله الممدود، وعهده المعهود، وظله العميم، وصراطه المستقيم، وحجته
الكبرى، ومحجته الوضحي، هو الواضح سبيله، الراشد دليله، الذي من
استضاء بمصابيحه أبصر ونجا، ومن أعرض عنها زلّ وهوى، فضائل القرآن، لا
تستقصى في ألف قرآن. حجة الله وعهده، ووعيده ووعدته، به يعلم الله الجاهل،
ويعمل العاقل. ويتنبه الساهي، ويتذكر الآلهي. بشير الثواب، ونذير العقاب.
وشفاء الصدور، وجلاء الأمور. من فضائله أنه يقرأ دائماً ويكتب، ويُملّ
فلا يُملّ. ما أهون الدنيا على من جعل القرآن إمامه، وتصوّر الموت أمامه. طوبى
لمن جعل القرآن مصباح قلبه، ومفتاح لبّه. من حق القرآن حفظ ترتيبه، وحسن
ترتيبه.

آخر كتاب ذكر الله تعالى ورسوله ﷺ وكتابه والله الحمد.

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب الأزمنة والأمكنة وما يتصل بها ويشاكلها

[في الربيع وإقباله]

قد أقبل الربيع بأسعد فاله، والحسن والطيب في إقباله. أقبل الربيع يتسّم، ويكاد من الحسن يتكلّم. تنفّس الربيع عن أنفاس الأحباب، وأعار الأرض أثواب الشباب. تنفّس فنفس عن المكروب، وأهدى الروح والراحة للقلوب. استخرج من زهر البساتين، ما دفتته يد الكوانين. جاء يجرّ أذيال العرائس، وينشر أجنحة الطواوس. تبلّج عن وجه بهج، وجو غنج، وروض أرج، وطير مزدوج. أقبل برائحة الجنان، وراحة الجنان، أسفر عن ظلّ سجّسج، وماء سلسل وروض مدبّج. جاء مُعيداً للأنس العازب، ومُطلعاً للهو الغارب. تبلّج عن نوره، وتفتّح عن نوره. لاحت مناهجه، وراقت مباهجه. مرحباً بالفصل، الجامع لأحكام الفضل، زائر من القلوب قريب، وكله حسن وطيب. زائر لباسه حرير، وأنفاسه غير. انكشفت غمّة الشتاء الكالح عن غرة الربيع الضاحك، أزال الربيع أذيال الحرير، وعبرت أنفاسه عن العبير. تبدّل الشباب من المشيب، وبرز في مطرّفه القشيب. عطر السهول والوعور، فعطل المسك والكافور. الزمان معتدل، ووجهه طلق مقبل. وسحابه ماطر، وترابه عاطر، كأنّ الجنة قد نزلت إلى الأرض في أبهى حلّ لها وأنفس حلّاها، وما تشتهي الأنفس وتلذّ الأعين منها، قد تبرّجت

الْأَرْضَ لِلنَّظَّارَةِ، وَبَرَزْتَ فِي مَعْرِضِ الْحَسَنِ وَالنَّضَارَةِ، لَيْسَتْ الْأَرْضُ قَنَاعَهَا
الْأَخْضَرَ، وَنَضَّتْ شِعَارَهَا الْأَغْبَرَ. حَاكَ الرَّبِيعُ حُلَّ الْأَزْهَارِ، وَصَاغَ حُلِّي
الْأَنْوَارِ.

في النسيم ووصف أثره

زَائِرُ وَجْهِهِ وَسِيمٍ، وَفَضْلُهُ جَسِيمٍ، وَرِيحُهُ نَسِيمٍ، قَدْ سَفَرَ الرَّبِيعَ عَنْ خُلُقِ
الْكَرِيمِ، وَنَطَقَ بِلِسَانِ النِّسِيمِ. وَأَفَاضَ مَاءَ النِّعِيمِ، هَبَّ النِّسِيمُ مِنَ الْكَرَى،
وَهَبَّ عَلَى الْوَرَى، وَعَطَّرَ الْآثِرَى. جَرَّ عَلَى الْأَرْضِ أَزْرَهُ، وَحَلَّ عَنْ جَبِّبِ
الطَّيْبِ زَرَرَهُ. نَسِيمَ الرِّيحِ، نَسِيبَ الرُّوحِ، قَدْ رَكُضَتْ خِيُولُ النِّسِيمِ فِي
مِيَادِينِ الرِّيَاضِ. يَا لَكَ مِنْ مَنَظَرٍ جَنَانِيٍّ، وَمَاءٍ فُضِيٍّ، وَنَسِيمٍ عَطْرِيٍّ، قَدْ
حَلَّتْ يَدُ الْمَطَرِ أَزْرَارَ الْأَنْوَارِ، وَأَذَاعَ لِسَانُ النِّسِيمِ أَسْرَارَ الْأَزْهَارِ.

في وصف الرياض

رَوْضَةٌ رَقَّتْ حَوَاشِيهَا، وَتَأَنَّقَ وَاشِيهَا، رَوْضَةٌ كَالْعُقُودِ الْمُنَظَّمَةِ، عَلَى الْبُرُودِ
الْمُنْمِنَةِ. رَوْضَةٌ قَدْ نَشَرَتْ طَرَائِفَ مَطَارِفِهَا، وَلَطَائِفَ زَخَارِفِهَا، فَطُويَ لَهَا
الدِّيَابِجُ الْخُسْرَوَانِيَّةُ، وَنُفِيَ مَعَهَا الْوَشْيُ الْإِسْكَندَرَانِيَّةُ. رَوْضَةٌ قَدْ رَاضَتْهَا يَدُ
الْمَطَرِ. رَوْضَةٌ دَبَّجَتْهَا أَيْدِي النَّدَى. أُخْرِجَتْ الْأَرْضُ أَسْرَارَهَا، وَأُظْهِرَتْ يَدُ
الْغَيْثِ آثَارَهَا، وَأُطْلِعَتْ الرِّيَاضُ أَزْهَارَهَا. الرِّيَاضُ كَالْعُرَائِسِ فِي حُلِيِّهَا
وَزَخَارِفِهَا، وَالْقِيَانِ فِي وَشِيِّهَا وَمَطَارِفِهَا، بَاسِطَةُ زُرَابِيَّهَا وَأَنْمَاطِهَا، نَاشِرَةُ جِبَرِهَا
وَرِيَّاطِهَا، زَاهِيَةٌ بِحَمَرَاتِهَا وَصَفَرَاتِهَا، تَائِهَةٌ بِعَوَانِهَا وَعَذَرَاتِهَا، كَأَنَّمَا أَحْتَفَلَتْ
لَوْفَدٍ، أَوْ هِيَ مِنْ حَبِيبٍ عَلَى وَعْدٍ. رَوْضَةٌ قَدْ تَضَوَّعَتْ بِالْأَرْجِ الطَّيِّبِ
أَرْجَاؤُهَا، وَتَبَرَّجَتْ فِي ظُلْلِ الْغَمَامِ صَحْرَاؤُهَا، وَتَفَاوَحَتْ بِنَوَافِجِ الْمَسْكَ
أَنْوَارُهَا، وَتَعَارَضَتْ بِغَرَائِبِ النَّطْقِ أَطْيَارُهَا.

في وصف البساتين

بُستانٌ رَقَّ نَوْرُهُ النَّضِيدُ، وراق ورقه النَّضِيرُ. بُستانٌ غُصْنُهُ خَضِيرٌ، وَرَبْعُهُ خَصِيبٌ، وَنَوْرُهُ نَضِيرٌ، وَمَأْوُهُ خَصِيرٌ. بستانٌ كَأَنَّهُ أُنْمُوذَجُ الْجَنَّةِ. بستانٌ لَا يَحِلُّ لِأَرَيْبٍ أَنْ لَا يَحِلَّ بِهِ. بستانٌ أَرْضُهُ لِلْبَقْلِ وَالرَّيْحَانِ، وَسَمَائُوهُ لِلنَّخْلِ وَالرُّمَانِ. بستانٌ أَنهارُهُ مَفْرُوزَةٌ بِالْأَزْهَارِ، وَأَشْجارُهُ مُوقَرَةٌ بِالثَّمَارِ، أَشْجارٌ كَالْعِذَارَى يُسَرِّحْنَ الضَّفَائِرَ، وَيَنْشُرْنَ الْغِدَائِرَ. أَشْجارٌ كَأَنَّ الْحَوْرَ أَعَارَتْهَا قُدُودَهَا، وَكَسَتْهَا بُرُودَهَا، وَحَلَّتْهَا عُقُودَهَا.

في ذكر النرجس والورد والشفائق

الرَّبِيعُ شَبَابُ الزَّمَانِ، وَمَقْدَمَةُ الْوَرْدِ وَالرَّيْحَانِ. زَمَنُ الْوَرْدِ مَوْمُوقٌ مَرْمُوقٌ، وَكَأَنَّهُ مِنَ الْجَنَّةِ مَسْرُوقٌ. قَدْ وَرَدَ كِتَابُ الْوَرْدِ، بِإِقْبَالِهِ إِلَى أَهْلِ الْوُدِّ، إِذَا وَرَدَ الْوَرْدُ، صَدَرَ الْبَرْدُ، مَرْحَبًا بِأَشْرَفِ الزُّهْرِ، فِي أَظْرَفِ الدَّهْرِ، كَأَنَّ عَيْنَ النَّرْجِسِ عَيْنَ، وَوَرَقَهُ وَرَقَ، النَّرْجِسِ نَزْهَةُ الْأَطْرَفِ، وَظَرْفُ الْأَطْرَفِ، وَغِذَاءُ الرُّوحِ، وَمَادَّةُ الرُّوحِ، شَفَائِقُ كَتِيجَانِ الْعَقِيقِ عَلَى الزُّنُوجِ، كَأَنَّهُا أَصْدَاغُ الْمَسْكِ عَلَى الْوَجَنَاتِ الْمَوْرَدَةِ. شَفَائِقُ كَالزُّنُوجِ تَجَارَجَتِ فَسَالَتْ دِمَائُهَا، وَضَعُفَتْ فَبَقِيَ دِمَائُهَا.

في غناء الأطيّار

الأَرْضُ زُمْرَدَةٌ وَالْأَشْجارُ وَشْيٌ، وَالْمَاءُ سَيُوفٌ وَالطُّيُورُ قِيَانٌ. قَدْ غَرَّدَتْ خُطْبَاءُ الْأَطْيَارِ، عَلَى مَنَابِرِ الْأَنْوَارِ وَالْأَزْهَارِ، إِذَا صَدَحَ الْحَمَامُ، صَدَعَ قَلْبُ الْمُسْتَهَامِ، أَنْظَرُ إِلَى طَرْبِ الْأَشْجارِ، لَغْنَاءُ الْأَطْيَارِ. لَيْسَ لِلْبَلَابِلِ، كَخَمْرِ بَابِلَ، عَلَى غِنَاءِ الْبَلَابِلِ.

في وصف أيام الربيع

يوم سماؤه فاختيه، وأرضه طاؤسيّة. يومٌ جلايب غيومه صفاق، وأردية نسيمة رقاق، يومٌ مُعصفّر السماء، ممسك الهواء، معبر الرياض مصنّدل الماء. يوم سماؤه كالأخضر، وأرضه كالدجاج الأخضر. يومٌ تبسم عنه الربيع، وتبرّج فيه الروض المريع. كأنّ سماءه مائم، وأرضه عرس.

مقدمة المطر

لبست السماء جلابها. سحب السحاب أذياله. احتجبت الشمس في سراق الغيم، ولبس الجو مطرّفه الأدكن. باحت الريح بأسرار الندى. ضربت خيمة الغمام، وقام خطيب الرعد، ونبض عرق البرق، سحابة رعدّها يُصمّ الأذن، وبرقها يخطف العين. سحابة ارتجزت رواعدها، وأذهبت بروقها مطاردها. نطق لسان الرعد، وخفق قلب البرق. الرعد ذو صخب، والبرق ذو لهب. ابتسم البرق عن قهقهة الرعد. زارت أسد الرعد، ولمعت سيوف البرق. رعدت الغمام وبرقت، وأنحلت عزالى السماء فطبقت. سحابة هدرت رواعدها، وقربت أبعادها، وصدقت مواعدها. كأنّ البرق قلب مشوق، بين التهاب وخفوق.

في السحاب والمطر

انحلّ عقد السماء، وهي عقد الأنواء. انحل سيلك القطر، عن درّ البحر. أرخت السماء عزاليها، وأغرقت الأرض وسحت نواحيها. هطلت بمثل أفواه القرب، انتشرت كآنتثار العقود. استعار السحاب جفون العشاق، وأكفّ الأجواد. انحل خيط السماء، انقطع شريان الغمام. سحابة تنخل علينا ماء البحر، وتفصّ لنا عقود الدر. سحابٌ حكى المحبّ في أنسكاب دموعه،

وَأَلْتَهَابُ النَّارِ بَيْنَ ضُلُوعِهِ، سَحَابَةٌ تَحْدُو مِنَ الْغَيْمِ جِبَالًا، وَتُمَدُّ مِنَ الْأَمْطَارِ جِبَالًا. سَحَابَةٌ تَرْسُلُ الْأَمْطَارَ أَمْوَاجًا، وَالْأَمْوَاجُ أَفْوَاجًا. تَحَلَّلَتْ عُقْدُ السَّمَاءِ بِالذِّيمَةِ الْهَطْلَا. غَيْثٌ أَجَشُّ يُرْوِي الْهَضَابَ وَالْآكَامَ، وَيُحْيِي النَّبَاتَ وَالسَّوَامَ. غَيْثٌ كَغَزَارَةِ فَضْلِكَ، وَسَلَاسَةِ طَبْعِكَ، وَصَفَاءِ وَدَّكَ. وَبَلُّ كَالنَّبْلِ. سَحَابَةٌ يَضْحَكُ مِنْ بَكَائِهَا الرُّوْضَ، وَتَخْضِرُ مِنْ سَوَادِهَا الْأَرْضَ. سَحَابَةٌ لَا تَجْفُ جَفُونَهَا، وَلَا يَخْفُ أَنْيُنَهَا، دِيمَةٌ رَوَّتْ أَدِيمَ الْأَثَرِ، وَنَبَّهَتْ عَيُونَ النُّورِ مِنَ الْكَرَى. سَحَابَةٌ رَكِبَتْ أَعْنَاقَ الرِّيَّاحِ. مَطَرٌ كَأَفْوَاهِ الْقَرَبِ، وَوَحَلٌ إِلَى الرُّكْبِ. أُنْدِيَّةٌ قَدِ مَنَّ اللَّهُ مَعَهَا عَلَى الْبُيُوتِ، بِالثَّبُوتِ، وَعَلَى السَّقُوفِ، بِالْوُقُوفِ.

في وصف الماء وما يتصل به

مَاءٌ كَالزُّجَاجِ الْأَزْرَقِ، غَدِيرٌ كَعَيْنِ الشَّمْسِ، مَوَارِدٌ كَالْمَبَارِدِ. مَاءٌ كَلِسَانِ الشَّمْعَةِ، أَصْفَى مِنَ الدَّمْعَةِ، يَسِيحُ فِي الرُّضْرَاضِ، سَيِّحُ النَّضْنَضِ. مَاءٌ إِذَا مَسَّتْهُ يَدُ النَّسِيمِ حَكَى سِلَاسِلَ الْفَضَّةِ. مَاءٌ إِذَا صَافَحَتْهُ رَاحَةُ الرِّيحِ، لَبَسَ الدَّرْعَ كَالْمَسِيحِ. مَاءٌ يَتَصَنَدَلُ وَيَتَسَلْسَلُ. كَأَنَّ الْغَدِيرَ بَنَاتِ الْمَاءِ مَصْنَدَلٌ مُطَيَّرٌ، بِرُكَّةٍ كَأَنَّهَا مَرَاةُ السَّمَاءِ، بِرُكَّةٍ مَفْرُوزَةٍ بِالْخَضِرَةِ رَدَاءً، كَأَنَّهَا مَرَاةٌ مَجْلُوءَةٌ عَلَى دِيبَاجَةِ خَضِرَاءَ، غَدِيرٌ تَرَقَّرَتْ فِيهِ دُمُوعُ السَّحَابِ، وَتَوَاتَرَتْ عَلَيْهِ أَنْفَاسُ الرِّيَّاحِ الْجَنَائِبِ. غَدِيرٌ سَاكِنٌ إِلَّا مِنْ نَسِيمِ الصَّبَا يَحْرُكُهُ بِأَنْفَاسِهِ، وَيَنْقُشُ وَجْهَهُ بِأَرْوَاحِهِ. مَاءٌ يَبُوحُ بِأَسْرَارِهِ وَصَفَاؤُهُ، وَيَلُوحُ فِي قَرَارِهِ حَصْبَاؤُهُ، مَاءٌ كَأَنَّمَا يَفْقَدُهُ مَنْ يَشْهَدُهُ. مَاءٌ أَرْقَ مِنْ دُمُوعِي فِيكَ وَأَعَذِبَ مِنْ أَخْلَاقِكَ، وَأَبْرَدَ مِنْ فِعْلِ الزَّمَانِ حِينَ رَمَانِي بِفِرَاقِكَ. نَهْرٌ يَتَسَلْسَلُ كَالزَّرَافِينِ، وَيَرْضَعُ أَوْلَادَ الرِّيَّاحِينَ.

في ذكر الصيف ووصف الحر

قَوِي سُلْطَانِ الْحَرِّ. فُرشٌ بِسَاطِ الْجَمْرِ. أَقْبَلْتُ أَوَائِلَ الْحَرِّ، وَغَيَّرَ الْهَوَاءَ

طبعه، وبَدَل مزاجه. حَرَّ الصَّيْف، كحد السيف. أوقدت الشمس نارها، وأذكت أوارها. حَرٌّ يُلْفَح حُرَّ الوجه. حَرٌّ يشبه قلب الصَّبِّ. ويذيب دماغ الضَّبِّ. هاجرة كأنها من قلوب العُشَّاق، إذا اشتعلت فيها نارُ الفراق. هاجرة تحكي نار الهجر، وتذيب قلب الصخر. كأنَّ البسيطة من وقدة الحرِّ، بساطُ من الجمر. حَرٌّ يَهْرُبُ له الحرُّ بآء من الشمس. قد صَهَرَت الهاجرة من الأبدان، وركبت الجَنَادِب العيدان. حَرٌّ يُنْضِج الجلود، ويذيب الصيخود. أيامُ كأيام الفِرْقَة امتداد، وحرُّ كحرِّ الوجد اشتداداً حَرٌّ لا يطيب معه عيش، ولا ينفع ثلجٌ ولا خَيْش. حَمَارَة الْقَيْظ، تغلي بصدر الغيظ، آبُ آبُ يَجِيش مِرْجَله، ويثورُ قَسْطَله. هاجرة كقلب المهجور، والتَّنُورُ الْمَسْجُور. هاجرة كالسَّعِير الجاحم، تجرُّ أذيال السَّمَائِم، ظلها يَحْمُوم، وماؤها محموم.

ذكر الخريف

انحسر قناع الصيف. خَفَّ سلطان الحرِّ. خَبَتْ جمرة الهواجر. جاشت جيوش الخريف. فَرَّت رايات المَصِيف، قد أخذ البرد يجمشنا بلواحظه، ويقرصنا بأنامله. أخذت عواصفه تَهَبُّ، وأقبلت عقابه تَدِبُّ. قد حَلَّت الشمس الميزان، وعدَّل الزَّمان الميزان، لَفَح المصيف قد كفَّ، ووقع الشمس قد خَفَّ، خَفَّت الرِّياح، وجفَّت الأعواد.

في الشتاء ووصف البرد والثلج والجمر

ألقي الشتاء كُلَّكَلَه، وأحلَّ بنا أثقاله. مدَّ الشتاء رواقه، وألقى أرواقه، وحلَّ نِطاقه. ضرب الشتاء بجرائنه، وأستقلَّ بأركانه، أناخ بنوازله، وأرسي بكلاكله، وكلح بوجهه، وكشَّر عن أنيابه. في الشتاء كَلَب، وفي الهَوَاء غِلْظ، قد عادت هامات الجبال شِيئا، ولبست من الثلج مُلَاء قَشِيئا. شابت مفارق البروج، لتراكم الثلوج. ألمَّ المشيب بهامات بيّضت لِمَمُّها، قد صار

البرد حجابا، وأثلج حجازا، برّد يعبس له الوجه الطلق. برّد يزوي الوجوه، ويعمش العيون، ويسيل الأنوف. برّد يُغيّر الألوان، ويُقشّف الأبدان. برّد يُقضض الأعضاء، وينفض الأحشاء. برّد أجمد الرّيق في الأشداق، وألذمع في الآماق. حال بين الكلب وهريه، والأسد وزئيره، والطير وصفيه، والماء وخريه، نحن بين لثقي ودمي وزلق.

في الاستظهار على البرد

ليس للبرد كالبرد والجمر، إذا كلب الشتاء، فدرّياق سموه الصّلا.

في نعت الأيام الشتوية

يومٌ كأنّ الأرض شابت لهوله. يومٌ فضيّ الجلباب، مسكيّ النّقاب. يوم عبوسٌ قمطير، كشر عن ناب الزّمهرير، وفرش الأرض بالقوارير. يومٌ أخذت الشّمال زمامه، وكساه الصّبر ثيابه. يومٌ كأنّ الدّنيا فيه كافورة. والأرض قارورة، والسماء بلّورة. يومٌ أرضه كالقوارير اللّامعة، وهوأؤه كالزّنابير اللّاسعة. يومٌ أرضه كالزّجاج، وأعالي الزّجاج. يوم يثقل فيه الخفيف إذا هجم، ويخفّ الثّقل إذا هجر.

أبواب ذكر الليل والنهار

ووصف أوقاتهما، واختلاف أحوالهما، وما يتصل بهما

في ذكر اقبال الليل وانتشار الظلمة وطلوع الكواكب

أقبلت عساكر الليل، خفقت رايات الظلام، خلع الليل علينا فروته، وألبسنا الظلام برّده. تفقد الشّفق، في ثوب الغسق، قيد الظلام الحافظ العيون. وستره الظلام بذيله. أقبلت وفود النجوم. جاءت مواكب الكواكب.

تفتحت أزاهير النجوم. نورت حدائق الجوّ. أذكى أفلك مصابيحها، طفت
النجوم في بحر الدجى.

ذكر الليالي المظلمة

لبس الليل جلباباً من الفار، ليلة كجناح الغراب، وشعر الشباب، وحقّق
الحسان، وذوائب العذارى. ليلة كأنها في لباس بني العباس، كأنها في
لباس الثكالى، كأنها من الغبش، موكب الحبش. ليلة يضلّ بها الغطاء، ولا
يُبصر فيها الوطواط. ليلة قد حلك إهابها، وكأنّ الفجر يهابها. ليلة استعارت
لون الخيل الدّهم، كأنّ الأرض مصبوغة فيها بالمديد.

في ذكر الليالي الطليقة الطيبة المشكورة

ليلة سحر كلّها. ليلة كأنها نهار. ليلة من حسنات الدّهر. ليلة هوأؤها
صحيح ونسيمها عليل. ليلة كبرد الشباب. ليلة فضية الأديم، مسكية النسيم.
ليلة هي لمعة العمر، وغرة الدّهر. ليلة مسكية الأديم، كافورية النجوم. ليلة
رقد الدّهر عنها، وطلعت سعودها، وغاب عذالها. ليلة كالمسك منظرها
ومخبرها. ليلة هي باكورة العمر، وبكر الدّهر. ليلة يلتقي طرفاها. ليلة
ظلماتها أنوار، وطوال أوقاتها قصار. ليلة كما شاء المحب. ليلة مسروقة من
الدّهر، ليلة مريضة النسيم، صحيحة الهواء، مؤشّية بالنجوم، مطرزة بالقمر.

في ضد ذلك وذكر طول الليل

ليلة من غصص الصدر، ونقم الدّهر. ليلة كلها غيوم وغموم. ليلة كما شاء
الحسود، وساء الودود. ليلة كان أول يوم الحشر آخرها. ليلة قصّ جناحها،
وضل صباحها. ليلة كليل الأعمى. ليل ثابت الأطناب طامي الغوارب، طامح
الأمواج وافي الذّوائب. ليل كان نجومه نجوم الشيب. ليل كان نجومه عُقلت

فلا تسير، ولا تدور ولا تغور. ليالٍ ليست لها أسحار، وظلماتٌ لا تتخللها أنوار.

فيما يذكر من السهر لاعتراض الهموم والفكر

بات فلان بليلة نابغية، بات بليل السقيم، بات بليل السليم، بات في الصيف بليلة شتوية، سامرته الهموم، وعانقته الغموم، قد توسد ذراع الهم، وأفترش مهاد الغم، قد اكتحل السهاد، وأفترش القتاد، اكتحل بمراود الأرق، وتقلب على مراقد القلق، جفا أجفانه الكرى، كأنما خلقت عيناه للسهر، النجوم شهود سهاد، كأن النوم قد غضب على مآقيه، اكتحل بملمول السهر، وتململ على فراش الفكر، أقض مهاد، وقلق وساده، هموم تفرق بين الجنب والمهاد، وتجمع بين العين والسهاد، سهر يفتق الجفن، ويقذي العين، ويؤدي القلب، ويوحش النفس. طرف برعي النجوم مطروف، وفراش بشعار الهم محفوف، كأنه على النجوم ريب، وللظلام نقيب.

ذكر النعاس والنوم

شرب كأس النعاس، أنتشى من خمر الكرى، خاط النعاس جفونه، أخذ الكرى يجمشه، بل ثقل رأس، وتقاضي نعاس، عسكر النعاس بطرفه، وخيم بين عينيه وجفنه. خاض ضحضاح الكرى، ملأ النعاس جفنه، وشغل عينه. مال مع النعاس. مس النوم مقلته. غلبته عيناه. كأن النعاس يطالبه بدّين. غشيّه نعاس الوحدة، ضرب على أذنه وقد ملأ عينه، غرق في لجة الكرى. تمايل من سكرة النوم. غفوة كحسوة الطائر، نومه كلا ولا قلة، وكتصفية الطائر خفة، كحل الليل ألورى بالرقاد، وشامت الأجفان أعينها في الأغمد، عبث الكرى بهم، وأرخی مفاصلهم، وأمال أعناقهم.

انتصاف الليل

قد تنصفنا عمرَ الليل، وأستغرقنا شبابه. مضى من الليل صدره، وأنقضى شطره. اكتهل الظلام. شاب رأس الليل. كاد ينم النسيم بالسحر، الصبح حَمَلٌ بين أحشاء الدجى.

تناهي الليل وتصومه

انكشف غطاء الليل. انهتك ستر الدجى. رُفِعَ سِجْفُ الظلام، رق ثوب الدجى، نعى الديك الظلام، هَرِمَ الليل، وشَمِطت ذوائبه، وتقوَّس ظهره، وتصرَّم عمره، قُوِّضت خيام الظلام، خلع الأفق ثوب الدجى، استردَّ الليل خِلعته، انتقب الليل بالصبح، أَعْرَضَ الظلام وتولى، وتدلَّى عنقود الثريا، طرَّز الصبح قميص الليل، باح الصباح بسرّه، خلع الليل ثيابه، وحذر الصبح نقابه.

إقبال الصبح وانتشار النور

لاحت تباشير الصبح، افترَّ ألفجر عن نواجذه. ضرب الصبح في الدجى بعموده. تبسّم عن نوره. فتك الصبح بالليل، بشر الديك الصبح، سل سيف الصبح في قفا الظلام. بثّ الصبح طلائعه. نشر ثياب النور. تبرقع وجه الليل بغرة الصبح أطار بازي النهار غراب الليل. عزلت نوافج المسك بشمّامات الكافور، وانهزم جند الظلام من عسكر النور. خلعنا خِلعة الظلام ولبسنا رداء الصبح، ملأ الأذان الأذان، برّق الصباح، وسطع الضوء، وطلع النور، وأشرقت الدنيا، وأضاءت الآفاق.

افول النجوم

مالت الجوزاء للغروب، ولّت مواكب الكواكب، تناثرت عقود النجوم

تَعْطَلُ الْأَفَقَ مِنْ حُلِيِّ الْكَوَاكِبِ، تَفَرَّقَتْ أَسْرَابُ النُّجُومِ، فَرَّتْ مِنْ حَدَقِ
الْأَنَامِ، وَهِيَ نِطَاقُ الْجُوزَاءِ، وَأَنْطَفَأَتْ قَنَادِيلُ الثَّرَيَا.

طلوع الشمس وانبساط الضوء

بدا حاجبُ الشمسِ. ذَرَّ قَرْنُ الشمسِ. ارتفع الحجاب عن حاجبها.
لمعت الشمس في أجنحة الطير. كشفت قناعها، ونشرت شعاعها. ارتفع
سُرادقها، وأضاءت مشارقها. انتشر جناح الضوء، في أفق الجوّ. طَبَّ شعاع
الشمس في الافاق، وذَهَبَ أطرافُ الجدران. افتضضنا عُذْرَةَ الصُّبْحِ.

منوع النهار

أَيْفَعَ النَّهَارُ وَارْتَفَعَ. تَرَجَّلَتِ الشمسُ. استوى شباب النهار. علا رَوْقُ
الضُّحَى.

انتصاف النهار

بَلَّغَتِ الشمسُ كَبِدَ السَّمَاءِ، انْتَعَلَ كُلُّ شَيْءٍ ظِلَّهُ، قَامَ قَائِمُ الْهَاجِرَةِ، رَمَتِ
الشمسُ بِجَمَرَاتِ الْهَجِيرِ.

اصفرار الشمس وغروبها

اصْفَرَّتْ غِلَالَةُ الشمسِ، صَارَتْ كَأَنَّهَا الدِّينَارُ، يَلْمَعُ فِي قَرَارِ الْمَاءِ،
نَفَضَتْ يَبْرًا عَلَى الْأَصِيلِ، وَشَدَّتْ رَحْلَهَا لِلرَّحِيلِ، بَقَلَ وَجْهُ النَّهَارِ، وَطَرَّ
شَارِبُهُ، تَصَوَّبَتِ الشمسُ لِلْمَغِيبِ، وَتَضَيَّفَتِ لِلْغُرُوبِ، وَأَذِنَ جَنْبُهَا بِالْوُجُوبِ،
شَابَ النَّهَارُ، وَأَقْبَلَ شَبَابُ اللَّيْلِ. وَقَعَتِ الشمسُ لِلْغِيَارِ، وَشَافَهُ اللَّيْلُ لِسَانَ
النَّهَارِ. شَرِقَتِ الشمسُ بِرُوحِهَا، جَنَحَتِ لِلْغُرُوبِ، وَشَارَفَتِ دَرَجَ الْوُجُوبِ،
الْغَزَالَةَ مَصُوبَةً لِلْغُرُوبِ، مُؤَذِّنَةً بِالْمَغِيبِ. وَالْجَوْ فِي أَطْمَارٍ مَبْهَجَةٍ مِنْ أَصَائِلِهِ،

وشفوفٍ مورَّسة من غلائله . استتر وجه الشمس بالنقاب ، وتوارت بالحجاب .

ذكر ابتداء الليل إلى انتهائه

كان ذلك من مُفْتَحِّ النهار إلى مُخْتَمِّمِهِ ، ومن قَرْنِهِ إلى قدمه ، من مطلع الفلق ، إلى مجمع الغسق ، فلان يركب في مقدّمة الصبح ، ويرجع في ساقية الشّمس ، من حين تفتح الشّمس جفّنها إلى أن تغضّ طرفها . من حين تسكن الطّير في أوكارها ، إلى أن تنزل السّراة من أكوارها .

أبواب الأمكنة والأبنية

في وصف البلاد

بلدٌ كأنها صورة جنة الخلد ، منقوشة في عَرْض الأرض . بلدٌ كأن محاسن الدّنيا مجموعة فيها ، ومحصورة في نواحيها ، بلدة ترائها غَير وحسبائها عقيق ، وهواؤها نسيم ومأؤها رحيق . بلدة معشوقة السّكنى ، رحيبة المشوى . كوكبها يقظان ، وجوها غُرَيان ، وحصاها جواهر ، ونسيمها مُعَطَّر ، وترائها مسكٌ أَذْفَر ، ويومها غداةٌ وليلها سَحَر ، فطعامها هنيّ ، وشرابها مريّ . بلدة واسعة الرّقعة ، طيبة البقعة . كأن محاسن الدّنيا فيها مفروشة ، وصورة الجنّة بها منقوشة ، واسطة البلاد وسُرَّتُها ، ووجهها وغُرَّتُها .

- في ضد ذلك

بلدٌ متضايقُ الحدود والآفنية ، مُتراكبُ المنازل والآبنية . بلدة حرّها مُوذى ، ومأؤها موي . بلدة وسخةُ السماء ، ومدةُ الهوآء . جوها غبار ، وأرضها خَبَار ، ومأؤها طينٌ ، وترائها سِرْجِين ، وحيطانها نَزُوز ، وتشريقها تموز ، فكم في شمسها من محترق ، وفي ظلّها من غَرِق . بلدة ضيقة الدّيار ، سيئة الجوار ،

حيطانها أخصاص، وبيوتها أقفاص، وحشوشها مسابل، وطرقها مزابل.

في ذكر الوطن

بلدة هي عُشه، وبها منزله وعيشه. بلد لا يُؤثر عليه بلداء، ولا يصبر عنه أبداً، عُشه الذي فيه درج، ومنه خرج. مقطع سُرته، ومجمع أسرته. بلد أنشأته تربته، وغذاه هواؤه، ورباه نسيمه، وحلت عنه ألتمائم فيه.

في الحصون والقلاع

حصن كأنه على مَرَقَب النجم، ومجيز من الْقَدَر الْحَتْم. حصن يحسر دونه الناظر، ويقصر عنه الْعَقَابُ الْكَاسِر. يكاد من علاه يغرف من حوض الغمام، كأنه فوق السحاب سحاب. حصن أنتطق بِالْجُوزَاءِ، وناجت بوجه أبراج السماء. قلعة قد حُلِّقَتْ فِي الْجَوِّ كأنها سحابة، كأن الغمامة لها عِمَامَة، كأنها تُناجي السماء بأسرارها. قلعة بُعد في السماء مرتقاها، حتى تساوى ثراها مع ثريائها. قلعة تتوشح بِالْغُيُومِ، وتتحلّى بِالنَّجُومِ. أصلها في التُّخُومِ، وفرعها في النجوم. قد حلق جناحها إلى عنان النجم. شَمَاءَ عَنْ المَرْتَقِي، صَمَاءَ عَنْ الرَّاقي. قد جاوزت الْجُوزَاءَ سَمْتًا، وعزلت السَّمَاءَ الْأَعَزْلَ سَمَكًا. هي في الْحَصَانَةِ مَتْنَاهِيَّة، وبِالْوَثَاقَةِ مَوْصُوفَةٌ، مَمْتَنَعَةٌ عَلَى الطَّلَبِ وَالطَّالِبِ. منصوبة عَلَى أَضْيَاقِ الْمَسَالِكِ وَأَوْعَرِ الْمَنَاصِبِ. لم تَزِدْهَا الْأَيَّامُ إِلَّا نُبُوَّ أَعْطَافٍ، وَاسْتَصْعَابِ جَوَانِبِ وَأَطْرَافٍ، قَدْ مَلَّ الْوَلَاةُ حِصَارَهَا فَفَارَقَوْهَا عَنْ طِمَاحٍ مِنْهَا وَشِمَاسٍ، وَسُمِّتِ الْجِيُوشُ ظِلُّهَا فغادرتهَا بَعْدَ قَنُوطِ وَيَاسٍ، فَهِيَ حَمِيٌّ لَا يُرَاعِ، وَمَعْقِلٌ لَا يُسْتَطَاعُ. تَعَطَّسُ بِأَنْفٍ شَامَخٍ مِنْ الْمُنْعَةِ، وَتَنْبُو بِعِطْفٍ جَامِحٍ عَلَى الْخُطْبَةِ، كَأَنَّ الْأَيَّامَ صَافَحَتْهَا عَلَى الْإِعْغَاءِ مِنْ الْحَوَادِثِ، وَاللَّيَالِي قَدْ عَاهَدَتْهَا عَلَى التَّسْلِيمِ مِنَ الْقَوَارِعِ. قلعة تحوي مِنَ الرِّفْعَةِ قَدْرًا لَا تُسْتَهَانُ مَوَاقِعُهُ، وَتَلْوِي فِي الْمُنْعَةِ جِيدًا لَا تُسْتَلَانُ إِخَادِعُهُ،

ليس للوهم قبل القدم إليها مسرى، ولا للفكر قبل الخطو نحوها مجرى.

في القصور

قصرٌ كأنَّ شُرُفاته بين النَّسرِ وَالْعَيوقِ، كأنها تُسامي الْفَرْقد. قصرٌ يُرتقى من سطحه إلى الشُّعريين. اكتست له الشَّعري الْعُبُور، ثوب الْغَيُور. قصرٌ طال مبناه، وطاب مغناه، كأنه في الْحَصانة جبلٌ منيع، وفي الْحسن ربيعٌ مريع شُرُفاتٌ كَالْعَدَارَى شددن مناطقهنَّ، وتوجنَّ بِالْأَكاليل مفارقهن. قصرٌ أَقَرَّتْ له الْقُصور بِالْقُصور عنه، كأنه سَحَاب، في نحر السحاب.

في الدور السرية

دارٌ قَوَّاءٌ تُوسع الْعَيْنُ قُرَّةً، وَالنَّفْسُ مَسْرَّةً، كأن بانيتها آستسلف الْجَنَّة فعجلت له، دارٌ تخجل منها الدُّور، وتتقاصر لها الْقُصور، إن مات صاحبها مغفوراً له فقد آنقل من جنةٍ إلى جنة. دارٌ قد أَقترن الْيَمْنُ الْيُمْنَاهَا، وَالْيَسْرُ يُيسرها، الجسم منها في حَضَر، وَالْعَيون منها عَلَى سَفَر. دارٌ هي دائرةُ الْيَمَانِ، ودائرةُ المحاسن، دارٌ دارٌ بِالسَّعد نجمُها، وفاز بِالْحسن سهمُها. دارٌ قد أَخَذَتْ أَدَاةَ الْجَنان، وضحكت عن الْعَبْقَرِيِّ الْجِسَان. دارٌ يخدمها الدُّهر، ويأويها الْبدر، ويكنفُها الْنصر. دارٌ هي مَرْتَعُ الْنواظر، وَمُتَنَفِّسُ الْخِواطر. دارٌ كأنها خان، يدخلها من وفى ومن خان. صحنٌ تسافر فيه الْعَيونُ، بِهِوَّ بهيٍّ، وَرِوِاقٌ رَاقٍ، بَيْتٌ فضيَّ الْحِيطان، رُخامي الْأَرْكان.

في الدور المتداعية الخالية

دارٌ لَيْسَتْ الْبَلَى، وتعطلت من الْحُلَى، فحالها تصفُّ للعيون الشَّكوى، وتُشير إلى دَمِّ الدُّنيا. دارٌ قد صارت منهم خالية، بعد ما كانت بهم حالية.

دار قد أنهض الدهر سُكَّانها، وأقعد حيطانها، شاهدُ اليأس منها ينطق، وحبل
الرجاء فيها يقصر، وكانَّ عُمرانها يطوى، وخرابها يُنشر، أركانها قيامٌ وقعود،
وحيطانها رُكَّعٌ وسجود، سقفها أرض، وأرضها تلّ.

آخر كتاب الأزمّة والأمكنة والله الحمد

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب أحوال الإنسان

من لدُن صِغَرِه ونَمَآئِه، إِلَى كِبَرِه وَأَنْتَهَاءِه

في ذكر الصبية الصغار

صِبْيَةٌ كَفَرَاخُ الْعَشُوشِ، وَأَوْلَادُ الْخَفَافِيشِ. صِبْيَةٌ يَسْعَهُمُ قَفِيزٌ. أَوْلَادُ جُلْهِمٍ
صِيبَانٍ، أَكَابِرُهُمْ أَصَاغِرُ، كَانَهُمْ أَفْرُخُ زُغَبٍ. صِيبَانٌ كَانَهُمْ صِيبَانٌ، وَوِلْدَانٌ
كَانَهُمْ كِيزَانٌ، قَدْ أَرْضَعْتُهُ بِلَبَانِهَا، وَحَمَلْتُهُ عَلَى لَبَانِهَا. طِفْلٌ قَرِيبُ الْعَهْدِ،
بِالْمَهْدِ.

في حسن مخايل المولود

شَهِدْتُ لَهُ الْفِرَاسَةَ رَضِيعًا، أَنَّ لَا يَكُونُ وَضِيعًا. وَالْمَخَايِلُ فَطِيمًا، أَنَّ
يَكُونُ سَمَحًا كَرِيمًا، وَالشَّوَاهِدُ صَبِيًّا، أَنَّ يَنْزِلَ مَكَانًا عَلِيًّا. وَالشَّمَائِلُ غَلَامًا
أَنَّ يَكُونُ قَرْمًا هَمَامًا.

في ذكر الغلام الامرد ووصف محاسنه

زَادَ جَمَالَهُ، وَأَقَمَرَ هَلَالَهُ. تَرَفَّرَقَ فِي وَجْهِهِ مَاءُ الْحَسَنِ. شَادَنُ فَاتِنٍ، طَرَفُهُ
فَاتِرٌ، وَنَظَرُهُ سَاحِرٌ. غُلَامٌ تَأْخُذُهُ الْعَيْنُ، وَيَقْبَلُهُ الْقَلْبُ فَتَرْتَاخُ لَهُ أَلْرُوحُ. تَكَادُ
الْعَيُونُ تَأْكُلُهُ، وَالْقُلُوبُ تَشْرِبُهُ. جَرَى مَاءُ الشَّبَابِ فِي عَوْدِهِ فَتَمَايَلُ كَالْغُصْنِ،
وَأَسْتَوْفَى أَقْسَامَ الْحَسَنِ. لَيْسَ دِيْبَاجَةَ الْمَلَاخَةِ. كَانَ الْبَذَرُ رُكِبَ عَلَى أَزْرَارِهِ.

لا يَشْبَعُ مِنْهُ الْناظِرُ، وَلَا يَرَوِي مِنْهُ الْخَاطِرُ. كَادَ النَّجْمُ يَحْكِيهِ وَالشَّمْسُ تُشْبِهُهُ. صُورَةٌ تَجْلُو الْأَبْصَارَ، وَتُخْجَلُ الْأَقْمَارُ. شَادِنٌ مُتَّقِبٌ بِالْبَدْرِ، مُكْتَجِلٌ بِالسَّحَرِ. مَا هُوَ إِلَّا نُزْهُةُ الْأَبْصَارِ، وَبِدْعَةُ الْأَمْصَارِ. غَمَزَاتُ طَرْفِهِ، تُخْبِرُ عَنْ ظَرْفِهِ، وَمِنْطَقَتُهُ تَنْطِقُ بِوصْفِهِ. وَجْهَهُ قَيْدُ الْأَبْصَارِ، وَأَمْدُ الْأَفْكَارِ، وَنَهَايَةُ الْاِعْتِبَارِ. تَخَالُ الشَّمْسُ بِرَقْعَتِ غُرَّتِهِ، وَاللَّيْلُ نَاسِبَ أَصْدَاغِهِ وَطُرَّتِهِ. الْحُسْنُ مَا فَوْقَ أَزْوَارِهِ، وَالطَّيِّبُ مَا تَحْتَ إِزَارِهِ، شَادِنٌ يَضْحَكُ عَنِ الْأَفْخَانِ، وَيَتَنَفَّسُ عَنِ الرِّيحَانِ، كَأَنَّ قَدَّهُ سَكَرَانٌ مِنْ خَمَرِ طَرْفِهِ، وَبَغْدَادٌ مَسْرُوقَةٌ مِنْ حُسْنِهِ وَظَرْفِهِ، قَدْ أَعْجَمَتْ يَدُ الْجَمَالِ، نَوْنَ صُدْغِهِ بِخَالِ. لَهُ عَيْنَانِ حَشُو أَجْفَانِهِمَا السَّحَرِ. كَأَنَّهُ أَعَارَ الطَّيِّبِ جِيدَهُ وَالْغُصْنَ قَدَّهُ. وَالرَّاحَ رِيحَهُ وَالْوَرْدَ خَدَّهُ، الشَّكْلَ فِي حَرَكَاتِهِ، وَجَمِيعَ الْحُسْنِ بَعْضُ صِفَاتِهِ. قَدْ مَلَكَ أَرْمَةً الْقُلُوبِ، *، كَأَنَّمَا وَسَمَهُ الْجَمَالُ بِنَهَائِهِ، وَلَحَظَهُ الْفَلَكَ بِعِنَايَتِهِ، فَصَاغَهُ مِنْ لَيْلِهِ وَنَهَارِهِ، وَحَلَّاهُ بِنُجُومِهِ وَأَقْمَارِهِ، وَنَقَشَهُ بِبِدَائِعِ آثَارِهِ، وَرَمَقَهُ بِنَوَاطِرِ سُعُودِهِ، وَجَعَلَهُ بِالْكَمَالِ أَحَدَ حُدُودِهِ، قَدْ صَبَغَ الْحَيَاءَ غِلَالَةَ وَجْهِهِ، وَنَثَرَ لَوْلُوءَ الْعَرَقِ عَلَى وَرْدِ خَدِّهِ، تَكَادُ أَلْاِلْحَاطُ تَسْفِكُ عَنْ خَدِّهِ دَمَ الْخَجَلِ. طَرَّةٌ كَالْغَسَقِ، عَلَى غَرَّةٍ كَالْفَلَقِ، جَاءَنَا فِي غِلَالَةٍ تَبِمُ عَلَى مَا تَسْتُرُهُ، وَتَجْفُو مَعَ رِقَّتِهَا عَمَّا تَظْهَرُهُ. وَجْهٌ بِمَاءِ الْحُسْنِ مَغْسُولٍ، وَطَرْفٌ بِمُرُودِ السَّحَرِ مَكْحُولٍ. ثَغْرٌ حُجِي حِمَايَةَ الثُّغُورِ، وَجُعِلَ ضَرَّةٌ لِقَلَائِدِ النُّحُورِ. السَّحَرُ فِي الْاِحَاظِهِ، وَالشَّهْدُ مِنْ أَلْفَاظِهِ. كَأَنَّهُ خَاصِمُ الْوِلْدَانِ، فَفَارَقَ الْجِنَانَ. وَهَرَبَ مِنْ رِضْوَانِ اخْتِلَاسِ قَامَةِ الْغُصْنِ، وَتَوَشَّحَ بِمَطَارِفِ الْحُسْنِ، وَحَكَى أَلْرُوضِ غَبَّ الْمُزْنِ، الْأَرْضُ مَشْرِقَةٌ بِنُورِ وَجْهِهِ، وَلَيْلُ السَّرَارِ فِي عِيَالِ شَعْرِهِ، وَالْجَنَّةُ مُجْتَنَاءُ مِنْ قُرْبِهِ، وَمَاءُ الْجَمَالِ يَتَرَفَّقُ فِي خَدِّهِ، وَمَحَاسِنُ الرَّبِيعِ بَيْنَ سَحَرِهِ وَنَحْرِهِ، وَالْقَمَرُ فَضْلَةٌ مِنْ حُسْنِهِ، وَالشَّمْسُ مِنْ حِمْلَةِ عَرْشِهِ، مَا هُوَ إِلَّا خَالٌ فِي خَدِّ الظَّرْفِ، وَطِرَازٌ عَلَى الْحُسْنِ، وَوَرْدَةٌ فِي غُصْنِ الدَّهْرِ وَنَقَشٌ عَلَى خَاتَمِ الْمَلِكِ، وَشَمْسٌ فِي فَلَكَ اللَّطْفِ.

في الصدغ والشارب والعدار

زرافينُ أَصداغِه مَعَالِيْقُ الْقُلُوبِ، كَأَنَّ صُدْغَه قُرْطٌ مِنْ الْمِسْكِ عَلَى عَارِضِ
الْبَدْرِ. وَجْهَه عَرْسٌ وَصُدْغَه مَاتَمٌ، وَوَصْلَه جَنَّةٌ وَهَجْرَه جَهَنَّمٌ. أَصْدَاغُه قَدْ
أَخَذَتْ شَكْلَ الْعِقَارِبِ، وَظَلَمَتْ ظَلَمَ الْأَقَارِبِ. إِنْ كَانَتْ عَقْرُبُ صُدْغَه
تَلْسَعُ، فَتَرْيَاقُ رِيقِه يَنْفَعُ، كَأَنَّ شَارِبَه زُبَيْرُ الْخَزْرِ الْأَخْضَرِ، وَعِذَارَه طَرَاؤُ
الْمِسْكِ الْأَذْفَرِ، عَلَى الْوَرْدِ الْأَحْمَرِ، إِذَا تَكَلَّمَ تَكْشِفُ حِجَابَ الزُّمْرَدِ
وَالْعَقِيقِ، عَنْ سِمْطِ الدَّرِّ الْأَنِيقِ، قَدْ هَمَّ أَرْقَمُ الشَّعْرِ عَلَى شَارِبِه، قَدْ كَادَتْ يَدُ
الْحُسْنِ تَغْلِفُه، كَادَ الْعِدَارُ يَنْقُشُ فَصَّ وَجْهَه، وَيُحْرِقُ فَضَّةَ خَدَّه. طَرَزَ
الْجَمَالُ دِيبَاجَه وَجْهَه، وَأَبَانَ عِدَارُه الْعُدْرَه فِي حُبِّه. لَعِبَ الرَّيِّعُ بِخَدَّه، وَأَنْبَتَ
الْبَنْفَسَجُ فِي وَرْدِه. لَمَّا أُحْرِقَتْ بِالشَّعْرِ فَضَّةُ خَدَّه، احْتَرَقَ سَوَادُ الْقُلُوبِ مِنْ
حُبِّه، كَيْفَ لَا يَخْضَرُّ عَارِضُه وَمِيَاهُ الْحُسْنِ تَسْقِيَه.

وصف خروج اللحية وذمها

نَسَخَ الشَّعْرُ آيَةَ حُسْنِه، وَمَحَا مَحَاسِنَ وَجْهِه. كَسَفَ الشَّعْرُ هَلَالَه، وَأَكْسَفَ
بَالَه، وَأَحَالَ خِيَالَه، وَمَسَحَ جَمَالَه، وَانْتَقَبَ بِالذِّيجُورِ، بَعْدَ النُّورِ. دَوْلَةُ حُسْنِه
أَعْرَضَتْ، وَأَيَّامُه قَدْ انْقَضَتْ، اسْتَحَالَ نُورُ خَدَّه دُجَى، وَزُمْرَدُ خَطِّه سَبَجَا.
أُحْمِدَتْ نَارُ حُسْنِه بَعْدَ الْآتِقَادِ. وَلَيْسَ عَارِضَاهُ ثَوْبُ الْجِدَادِ. قَدْ ذَبُلَ وَرْدُ
خَدَّه، وَتَشَوَّكَ زَعْفَرَانُ خَطِّه. فَارَقْنَا خِشْفًا، وَوَاثَانَا جِلْفًا، فَارَقْنَا هَلَالًا وَغَزَالًا،
وَعَاوَدْنَا نِكَالًا وَوَبَالًا.

نعت محاسن الجواري

هِيَ رَوْضَةُ الْحُسْنِ، وَضَرَّةُ الشَّمْسِ، وَبَدْرُ الْأَرْضِ. هِيَ مِنْ مَعَارِضِ
الْفَتَنِ، وَحِبَائِلِ الشَّيْطَانِ. هِيَ مِنْ وَجْهِهَا فِي صَبَاحِ شَامِسٍ، وَمِنْ شَعْرِهَا فِي

مساءً دامس، كأنها فلقة قمر، على بُرج فضة. كأنما لبست قشور الدُرِّ بدر
الْتَّم، شمس الضحى تضيء تحت نقابها، وغصنُ ألبان يهتزُّ تحت ثيابها،
نغرُّها يجمع الضُّريب والضُّرب. قد أنبت صدرها ثمر. (كذا) قد أثمر خدَّها
الْتَفَاح، وصدرها الرُّمان، خرطت لها يدُ الشَّباب حُقَيْن من عاج، كأنها ألبدرُ
قد قُرط بالثريا ونيط بها عقدٌ من الجوزاء، أعلاها كالغصن ميال، وأسفلها
كاللدغص منهاه. لها عنقٌ كإبريق اللُّجين، وسرةٌ كمُدَّهن العاج، نطاقها
مُجذب، وإزارها مخصب. مطلع الشَّمس من وجهها، ومُنبت الدُرِّ في فمها،
ومَلَقَطُ الورد من خدَّها، ومنبعُ السَّحر من طرفها، ومبادي الليل في شعرها،
ومَغْرَسُ الغصن من قدَّها، ومَهيل الرَّمْل في ردفها، سُرِّيَّة سُرِّيَّة، قَيْنَةٌ
كتصحيِّفها. الحُسْن في خَلْقها، والطَّيب في خُلُقها.

ذكر الشاب الغض الشاب

هو في اقْتِبَالِ شبابه، وحادثة أترابه، ورِيعان عمره، وعُنْفوان أمره. هو في
رِيان شبابه وأعتداله، ورِيعان إقباله وأقْبِتاله، شبابه طريٍّ، وذكاؤه قويٍّ.
غصنُ شبابه رطيب، وبرْدُ حدائثه قشيب، بعثه على ذلك أَشْرُ الصَّبِي، ومَرَحُ
الشَّبِيَّة، وسكرُ الحداثة. هو بعذرة الشَّباب، وفراغ ألبال، حَدَثٌ يَكُرُّ
الآمال، بضَّ الجمال، حسنُ الاقْتِبَال، فتى السنِّ، رطيبُ الغصن. عمره في
إقباله، ونشاطه في استقباله، وشبابه في اقْتِبَاله، ومآؤه بحاله. فلانٌ في حكم
الأطفال، الذين لم يَعْصُوا على نواجذ الرِّجال.

خلاعة الشاب وتصاويه

أطاع الشَّباب وغرَّته، وأجاب الصَّبِي وشَرَّتته. هو في عُنْفوان شَبِيَّةٍ تخافُ
سقطاتها وهَفَواتها، ولا تؤمنُ جَمَحاتها ونَزَواتها، جرَّ أزر الصَّبِي، وأذال دُيولَ
الهُوى. هو في سُكري الشَّباب والشراب. هو بين نزقات الشَّبان، ونزغات

الشَّيْطَان. شبابه أعمى عن الرُّشد، أصمُّ عن العذل، قد لَبَّى داعيَ هواه، وأنغمس في لُجَّة صباه. قد هجم بسكر الحداثة على سكرات الحوادث، جرى إلى الصُّبى، جَرَى الصُّبَا. ركض في ميدان التَّصابي، وجنى ثمرات الملاهي. أنفق صباه على الفحشاء، وشبابه على الأحشاء، وأصبح بين الزُّق والعود، وأمسى بين موجبات الحدود. فلان غُفْل من سِمة التَّجربة، صَعْبُ الرُّأس على لجام العظة، جامعٌ في عذار الغفلة. هو في سلطان الصُّبى، وفي نوبة الأولى، قد خلع عذاره ومقوده، وألقى إلى البطالة باعه ويده. هو بين خمار الغداة وسُكر العشي. فلان لا يَعْرِفُ الصُّحور، ولا يُفَارِقُ اللُّهُو. هو بين غَرَر الشَّباب، وغَرَر الأحباب. فلان لا يُفِيق، ولا يُدركه التَّوفيق.

في ذكر الشاب الرشيد وترشحه للمعالي

جمع نضارة الشُّبان إلى أبهة الشَّيب. هو على حدوث ميلاده، وقُرب إسناده، شيخٌ قديرٌ وهيبٌ، وإن لم يكن شيخَ سنٍّ وشيبه. هو بين شبابٍ مُقْتَبِلٍ، وعَقْلٍ مكتهلٍ. قد لبس بُرد شبابه على عقل كَهْلٍ، ورأى جَزْلٍ، ومنطقٍ فصلٍ. للدهر فيه مقاصد، وللأيام فيه مواعد. أرى له في ضمان الأيام، وودائع الحظوظ والأقسام، تباشيرَ نُجح، ومخايلَ نصرٍ وفتح، قد استكمل قوَّةَ الفضل، ولم يتكامل له سنُّ الكَهْل. ما زالت مخايله وليداً وناشئاً، وشمائله صغيراً ويافعا. نواطقٌ بالحسنَى عنه، وضوامنٌ للنَّجح فيه. قد سما إلى مراتب أعيان الرِّجال، التي لا تُدرك إلا مع الكمال والاكتهال، حُمِدَتْ عزائمه، قبل أن حُلَّت تماثمه. وشهدت مكرُماته، قبل أن دَرَجَ لذاته.

وخط الشيب وانتشاره

شعر الشَّيبُ بشعره. عَرَضَ البياضُ بعارضه. نورُ غصنِ شبابه. ضحك

الْمَشِيبُ بِرَأْسِهِ. لَاحَتْ جِلْيَةُ الشَّيْبِ فِي عِذَارِهِ. لَمَعَتْ نَجُومُ الشَّيْبِ فِي لَيْلِ شَبَابِهِ. لَاحَتْ الشَّعْرَاتُ الْبَيْضُ، وَجَعَلَتْ تُفَرِّجُ وَتَبْيِضُ. بَدَتْ فِي رَأْسِهِ طَلَائِعُ الْمَشِيبِ وَطَوَالِ الْعَتِيرِ. أَخَذَ الشَّيْبُ بِعَنَانِ شَبَابِهِ. ذَرَّتْ يَدُ الزَّمَانِ كَافُوراً عَلَى مَسْكِهِ. مَدَّ الْمَشِيبُ طِرَازاً عَلَى وَجْهِهِ، وَكَتَبَ أَسْطُراً فِي عَارِضِهِ. طَرَزَ الشَّيْبُ بُرْدَ شَبَابِهِ. حَطَّ الْمَشِيبُ بِرَبْعِهِ، وَخَطَّ الْعَتِيرُ عَلَى فَوْدِهِ. لَاحَ أَقْحُوَانُ الشَّيْبِ فِي بَنْفَسَجِ شَبَابِهِ، أَلَمَ وَفَدَّ الشَّيْبُ بِفَوْدِهِ. غَرَاهُ الشَّيْبُ بِجِيوشِهِ، كَتَبَتْ يَدُ الشَّيْبِ فِي فَوْدِهِ، مَوَاعِظُ يَقْرَأُهَا الْأَنَامُ عَلَيْهِ، أَقْمَرَ لَيْلُ شَبَابِهِ. صَاحَ النَّهَارُ بِجَانِبِ لَيْلِهِ. افْتَرَّ لَهُ الشَّيْبُ عَنْ نَابِ الْأَسُودِ، وَأَشَارَ إِلَيْهِ بِمُخْلَبِ الْأَسَدِ. قَدْ فَضَضَ الزَّمَانُ أَبْنُوسَهُ. اشْتَمَلَ الشَّيْبُ عَلَى عَارِضِهِ، أَلْجَمَهُ الشَّيْبُ بِلِجَامِهِ، وَقَادَهُ بِزِمَامِهِ. سَالَ وَادِي الشَّيْبِ فِي مَفْرِقِهِ. اعْتَمَّ بِالشَّيْبِ وَتَلَثَّمْ بِهِ. لَاحَ نَوْرُ الْهَمُومِ فِي عَارِضِهِ. قَنَعَهُ الشَّيْبُ خِمَارَهُ، وَأَحْلَلَ بِهِ أَثْقَالَهُ. عَلَاهُ غُبَارُ وَقَائِعِ الدَّهْرِ وَحِكَايَاتِ الزَّمَنِ. أَخَذَتْ الْأَيَّامُ مِنْ شَبَابِهِ. بَيْنَمَا هُوَ رَاقِدٌ فِي لَيْلِ شَبَابِهِ إِذْ أَيْقَظَهُ صَبْحُ الْمَشِيبِ.

فِي الْاِكْتِهَالِ وَالْاِحْتِنَاكِ وَالْاِرْعَوَاءِ عَنْ مَجَاهِلِ الشَّبَابِ

قَضَى بِاِكْوَرَةِ الشَّبَابِ، وَأَنْفَقَ نِصَارَةَ الزَّمَانِ. طَوَى مَرَاكِلَ الشَّبَابِ، وَأَنْفَقَ مِنْ عَمْرِهِ بِغَيْرِ حِسَابٍ. أَخْلَقَ بُرْدَةَ الصَّبِيِّ، وَنَهَتْهُ النَّهْيُ عَنْ الْهَوَى. جَاوَزَ الشَّبَابَ مَرَاكِلَ، وَوَرَدَ مِنَ الْمَشِيبِ مَنَاهِلَ. التَفَتَ إِلَى الْأَرْبَعِينَ، وَشَارَفَ طَلَاعَ الْخَمْسِينَ. طَارَ غُرَابُ شَبَابِهِ. انْتَهَى شَبَابُهُ، وَشَابَ أَتْرَابُهُ. اسْتَبَدَلَ بِالْأَدْهَمِ الْأَبْلَقَ، وَبِالْغُدَافِ الْعَقَّعَقَ. فَلَّ الدَّهْرُ شَبَابَهُ، وَمَحَا مَحَاسِنَ رُؤَايِهِ. انْتَهَى إِلَى أَشَدِّ الْكُهْلِ، وَاسْتَعَاضَ مِنْ حَلَكِ الْغُرَابِ قَادِمَةَ النَّسْرِ، افْتَرَّ عَنْ نَابِ الْقَارِحِ، وَارْتَفَعَ عَنْ مَقَالِ الْقَادِحِ. قَرَعَ نَاجِذَ الْحَلَمِ، وَارْتَاضَ بِلِجَامِ الدَّهْرِ، أَذْرَكَ عَصَرَ الْحُنْكَةِ، وَأَوَانَ الْمُسْكَةِ. جَمَعَ قُوَّةَ الشَّبَابِ، إِلَى وَقَارِ الشَّيْبِ. أَسْفَرَ لَهُ صَبْحُ الْمَشِيبِ، وَعَلَتْهُ أَهْثَةُ الْكَبِيرِ. خَرَجَ عَنْ حَدِّ

الْحَدَاثَةِ، وَارْتَفَعَ عَنْ عُذْرِ الْغَرَاةِ. نَفَضَ غَبْرَةَ الصَّبِيِّ، وَلَبَّى دَاهِيَةَ الْحَجَجِيِّ. عَصَى شَيَاطِينَ الشَّبَابِ، وَأَطَاعَ مَلَائِكَةَ الشَّيْبِ. سَرَى فِي طَرِيقِ الرُّشْدِ بِمَصْبَاحِ الشَّيْبِ. لَمَّا قَامَ الشَّيْبُ لَهُ مَقَامَ النَّصِيحِ، عَدَلَ عَنْ عِلَاقِ الْحَدَاثَةِ بِتَوْبَةٍ نَصُوحٍ.

استحكام الشيب وبلوغ الشيخوخة

الشَّيْبُ زُبْدَةُ مَخْضَتِهَا الْآيَامُ، وَفَضَّةُ سَبْكَتِهَا التَّجَارِبُ. فِي الشَّيْبِ اسْتِحْكَامُ الْوَقَارِ، وَتَنَاهِي الْجَلَالِ، وَمَيْسَمُ التَّجَرُّبَةِ، وَشَاهِدُ الْحُنْكَةِ. الشَّيْبُ مُقَدِّمَةُ الْهَرَمِ، وَالْمُؤَذِّنُ بِالْخَرَفِ، وَالْفَائِذُ إِلَى الْمَوْتِ. الشَّيْبُ رَسُولُ الْمَنِيَّةِ. الشَّيْبُ عُنوانُ الْفَسَادِ. الشَّيْبُ سَاحِلُ الْحَيَاةِ. الشَّيْبُ سَفِينَةُ تَقَرُّبٍ مِنَ السَّاحِلِ. صِفَا فُلَانٍ عَلَى طُولِ الْعُمُرِ. صِفَا أَلْتَبَيَّرُ عَلَى مَثَقِبِ الْجَمْرِ. مِنْ عَرَفَ أَلَسْتَيْنِ أَنْكَرَ نَفْسَهُ. فُلَانٌ قَدْ تَنَاهَتْ بِهِ الْآيَامُ تَحْلِيمًا وَتَهْذِيبًا، وَتَنَاهَتْ بِهِ السِّنُّ تَحْكِيمًا وَتَجْرِيًا. قَدْ وَعَظَهُ الْمَشِيبُ بِوَحْطِهِ وَخَبَطَهُ، وَالسِّنُّ بِآبِنِهِ وَسَبَطَهُ، قَدْ تَضَاعَفَتْ وَفُودُ عَمْرِهِ، وَأُخِذَتْ الْآيَامُ مِنْ جِسْمِهِ. وَجَدَ مَسَّ الْكِبَرِ، وَلَحِقَهُ ضَعْفُ الشَّيْخُوخَةِ، سَاءَ عَلَيْهِ أَثَرُ عُلُوِّ السِّنِّ، وَاعْتَرَاضُ الْوَهْنِ. فُلَانٌ مِنْ ذَوِي الْأَسْنَانِ الْعَالِيَةِ، وَالصَّحْبَةِ لِلْآيَامِ الْخَالِيَةِ.

في الهرم ومشاركة الفناء

هُمُّ هَرَمٍ قَدْ أَخَذَ الزَّمَانَ مِنْ عَقْلِهِ، كَمَا أَخَذَ مِنْ عَمْرِهِ. ثَلَمَهُ الدَّهْرُ ثَلَمَ الْإِنَاءِ، تَرَكَهُ كَذِي الْغَارِبِ الْمُنْكَوبِ. حَنَا قَوْسَهُ الْكِبَرِ، هَرِيقَ مَاءِ شَبَابِهِ، اسْتَشَنَّ أَدِيمُهُ، كَسَرَ الزَّمَانَ جَنَاحَهُ. نَقَضَ الدَّهْرُ مِرْتَهُ. طَوِي مَا نَشَرَ مِنْهُ، قَيَدَهُ الْكِبَرِ، رَسَفَ رَسْفَانِ الْمَقِيدِ، مَجْتَثُ الْجُتَّةِ، كَأَنَّهُ عُتَّةٌ، ثَقُلَتْ عَلَيْهِ الْحَرَكَةُ، وَاخْتَلَفَتْ إِلَيْهِ رُسُلُ الْمَنِيَّةِ. مَا هُوَ إِلَّا شَمْسُ الْعَصْرِ، عَلَى الْقَصْرِ. أَرَكَانَهُ قَدْ وَهَتْ، وَمَدَّتَهُ قَدْ تَنَاهَتْ. هَلْ بَعْدَ الْغَايَةِ مَنْزِلَةٌ؟ أَمْ بَعْدَ الشَّيْبِ سَوَى الْمَوْتِ

مَرَحَلَة ، مَا الَّذِي يُرَجَى مِمَّنْ كَانَ مِثْلَهُ فِي تَقَاصُرِ الْخُطَى ، وَتَخَاذُلِ الْقُوَى ،
وَتَدَانِي الْمَدَى ، وَالتَّوَجُّهِ إِلَى الدَّارِ الْآخَرَى ؟ أُبْعَدُ دَقَّةَ الْعِظَمِ ، وَرِقَّةَ الْجِلْدِ
وَضَعْفَ الْجِسْمِ ، وَتَخَاذُلِ الْأَعْضَاءِ ، وَتَفَاوُتِ الْأَعْتِدَالِ ، وَالْقُرْبِ مِنَ الزَّوَالِ ؟
إِنَّ الَّذِي بَقِيَ مِنْهُ ذِمَاءُ تَرْقُبِهِ الْمَنُونِ بِمَرَصَدٍ ، وَشُلْشَلَةٌ هِيَ هَامَةٌ الْيَوْمِ أَوْ غَدٍ .
قَدْ خَلِقَ عَمْرَهُ ، وَأَنْطَوَى عَيْشَهُ ، وَبَلَغَ سَاحِلَ الْحَيَاةِ ، وَوَقَفَ عَلَى ثَنِيَّةِ الْوَدَاعِ ،
وَأَشْرَفَ عَلَى دَارِ الْمَقَامِ .

آخر كتاب أحوال الإنسان من لدن صغره إلى كبره والله الحمد .

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب الطعام والشراب وما ينضاف إليهما، ويقترن بهما

في الفواكه والثمار

كَرْمٌ نُسْلَفُهُ أَلْمَاءُ الْقَرَّاحِ، وَيَقْضِينَا أُمَهَاتُ الرِّاحِ . عَنْقُودٌ كَالثَّرِيَا . عَنَبٌ كَأَنَّهُ
مَخَازِنُ الْبَلُّورِ، وَظَرْفُ النَّوْرِ، وَأَوْعِيَةُ السَّرُورِ، وَأُمَهَاتُ الرَّحِيقِ، فِي مَخَازِنِ
الْعَقِيقِ . نَخْلٌ نُسْلَفُهُ أَلْمَاءُ، وَيَقْضِينَا الْعَسَلِ . رَطْبٌ كَأَنَّهُ شَهْدَةٌ بِالْعَقِيقِ
مَقْنَعَةٌ، وَبِالْعَقِيَّانِ مَقْمَعَةٌ . رُمَانٌ كَأَنَّهُ صُرُرُ أَلْيَاقُوتِ الْأَحْمَرِ . سَفَرَجَلٌ يَجْمَعُ
طَيِّباً وَمَنْظَراً حَسِناً، كَأَنَّهُ زَيْبُرٌ أَخْخَزَ الْأَغْبَرِ، عَلَى الدَّيْبَاجِ الْأَصْفَرِ . تَفَّاحٌ نَفَّاحٌ،
يَجْمَعُ وَصْفَ الْعَاشِقِ الْوَجِلِ، وَالْمَعْشُوقِ الْخَجِلِ، لَهُ نَسِيمُ الْعَنْبَرِ، وَطَعْمُ
السُّكَّرِ . وَرَسُولُ الْمَحَبِّ، وَشَبِيهَ الْحَبِيبِ . تَيْنٌ كَأَنَّهُ سَفَرٌ مَضْمُومَةٌ عَلَى
الْعَسَلِ . مَشْمَشٌ كَأَنَّهُ أَلْشَّهْدُ فِي بَنَادِقِ الذَّهَبِ .

ذكر الجوع

لَاهُجُوعٌ، مَعَ الْجُوعِ، سُلْطَانُ الْجُوعِ يُسَيِّئُ أَلْمَلَكَةَ، هُوَ أَجُوعٌ مِنْ ذَنْبٍ
مُعْشَشٍ بَيْنَ أَعَارِبٍ، قَدْ أَثَّرَ الْجُوعُ فِي الْأَخْلَاطِ . الْعَيُونُ قَدْ أَنْقَلَبَتْ،
وَالْأَكْبَادُ قَدْ أَتَهَبَتْ . تَحَلَّيْتُ أَلْفَوَاهِ، تَوَقَّدْتُ الْأَكْبَادَ . امْتَدَّتْ إِلَى
الْخِيَوَانِ الْأَعْنَاقِ، وَأُحْدَتِ نَحْوَهُ الْأَحْدَاقِ، وَتَحَلَّيْتُ لَهُ الْأَشْدَاقِ .

وصف القدور

قد قامت خطباء القدور. فاحت القدور بأطيت من المسك الأصهب،
بالعنب الاشهب، قدور أبكار، بخواتيم النار. قدّر طار عرفها، وطاب عرفها،
دهماء تهدر كالفتيق، وتفوح بالمسك الفتيق.

مقدمة الطعام

أفرش طعامك اسم الله، وألحفه حمد الله. كل من الطعام ما حدث. لا
يطيب حضور الإخوان، إلا مع الإخوان. الأكل منا للحاجة، ومنك للمساعدة.
البخل بالطعام، من أخلاق الطعام، الكريم لا يحظر تقديم ما يحضر.

وصف الموائد

مائدة كدارة آلدور. مائدة تباعد بين أنفاس الجلّاس، مائدة مثل عروس.
مائدة نظيفة، محفوفة بكل طريفة. مائدة تشتمل على بدائع المأكولات،
وغرائب الطيبات. مائدة كالعروس مجلوة، من الطيبات مملوءة. مائدة قد
زخرت رياضها، ومليت حياضها، فمن قاني بإزائه فاقع، ومن حالك في
تلقائه ناصع. مائدة كأنما عملها صنّاع صنّعاء. مائدة تجمع بين أنوار الربيع،
وأثمار الخريف.

وصف الالوان من الاطعمة

رغفان كالبُدر المنطق بالنجوم. أحسن ما يكون وجه الإخوان، إذا
اخضرت شوارب الرغفان. ترى البقل على وجه الخوان، كما بقلت أوجه
الغلمان الحسان. جدّي كأنما ندف على جنبه القز. حمل ذهبي الدثار،
فضي الشعار. أطيّب ما يكون الحمل، إذا حلت الشمس الحمل، حمل
خلف شهرين، على الخلفين، ثم رعى شهرين، فهو شبران في شهرين، زير

باجة، هي للمائدة ديباجه، تشفي السقام، ولونها لونُ السَّقِيم. سَكْبَاجَة تَفِيْق الشَّهْوَة، وأسفيد باجة تُغْذِي، وطَبَاهِجَة يُتَفَكَّه بها، وَخَبِيص يَخْتَم بِخَيْر. مَضِيرَة تُثْنِي عَلَى الْحَضَارَة، وتترجرج في الغضارة، وتؤذن بالسلامة، وتشهد لمعاوية بالإمامة. في قصعة يزل عنها الطُّرْف، ويموج فيها الطُّرْف. طَبَاهِجَة من شرط المملوك، كأعراف الدُّيُوك. قَلِيَّةٌ كَالْعُودِ الْمَطْرَى، مغمومةٌ تَفْرَجُ غَمَّ الْجَائِع. هَرِيْسَةٌ نَفِيْسَة، كأنها خيوط خَزْ مشتبكة. كأنها قمرٌ بِالشَّمْسِ ملتحف. كَأَن الْمَرِي عَلَيْهَا عُصَارَة الْمَسْك، عَلَى سَبِيكَةِ الْفِضَّة. شَوَاءٌ يَنْقَطِرُ عَرَقًا، ويتسائل جُرْدَابُه مَرَقًا. أُرْزَةٌ مَلْبُونَة، فِي الْسُكَّرِ مَدْفُونَة. دَجَاجَةٌ مَشْوِيَةٌ لَهَا مِنْ الْفِضَّةِ جَسِيم، وَمِنْ الْذَهَبِ قَشْر. دَجَاجَة دِينَارِيَّة، ثَمَنًا وَلَوْنًا. شَوَاءٌ وَشَرَّاسٌ وَفَالُوذَجٌ رَجْرَاج. طَبَاهِجَة تَغْذِي، وَفَالُوذَجَة تَغْذِي. أَسْفِيدْبَاجَة تَصْفَحُ قَفَا الْجُوع.

في وصف ألوان من الحلواء

فَالُوذَجُ بُلْبَابُ الْبُرِّ، وَلُعَابُ النَّحْلِ. كَأَن أَلْوَزٌ فِيهِ كَوَاكِبٌ فِي سَمَاءٍ عَقِيق. قَطَائِفٌ، فِيهَا لَطَائِف. عَصِيدَة تَجْمَعُ بَيْنَ جَنَى النَّحْلِ وَالنَّحْلِ. مَا الْخَبِيصُ إِلَّا نَعْمَة مَجْمُوعَة، وَلَذَّةٌ مَعْجُونَة. تَوْدِي طَعْمَ الْعَافِيَة، وَتَخْتَمُ بِحَسَنِ الْعَاقِبَة. لُوزِينَجٌ لَيْلِي الْعَمَر، يَوْمِي النَّشْرِ، رَقِيقُ الْقَشْرِ، كَثِيفُ الْحَشْوِ. لَوْلَبِي الْدَهْن، كُوكَبِي أَلَلُون.

ذكر النهم الاكول

شَيْطَانٌ مَعِدَتُهُ رَجِيمٌ، وَسُلْطَانُهُ ظَلُومٌ، هُوَ آكَلٌ مِنَ النَّارِ، وَأَشْرَبٌ مِنَ الرَّمْلِ. كَأَن فِي أَمْعَائِهِ مَعَاوِيَة، يَأْكُلُ أَكْلَ الْحَوْتِ الْمَلْتَقَمِ، وَالْثَعْبَانِ الْمَلْتَهَمِ، وَاللَّيْثِ الْهَاصِرِ، وَالْعُقَابِ الْكَاسِرِ. لَوْ أَكَلَ الْفِيلُ لَمَّا كَفَّاهُ، وَلَوْ شَرِبَ الْنَّيْلُ لَمَّا أَرَوَاهُ. يَجُوبُ جُوبُ أَلْبَلَادِ، حَتَّى يَقَعَ عَلَى جَفْنَةِ جَوَادٍ. يَقُولُ بِالْقِصَاعِ، لَا أَلْمِصَاعِ، يَرَى رُكُوبَ الْبَرِيدِ، فِي حُضُورِ الْثَرِيدِ. أَصَابِعُهُ أَلْزَمُ لِلشَّوَاءِ مِنْ

سُفود. أنامله كالشبكة، في صيد السمكة. يستكثر من الجوارشات المنقذة للسُدد، المقوية للمعد، المشهية للطعام، المسهلة لسبل الانهضام. إذ هو في تناولها كالكاتب الذي يقط أقلامه، والجندي الذي يصقل حُسامه. تسافر يده على الخوان، وتسفر بين الألوان، وتأخذ وجوه الرغفان، وترعى أرض الجيران. لما عكفنا على الخوان، أسرع في الرغفان، وكرع في الجفان، وفقاً أعين الألوان.

في وصف مجالس الانس وآلات اللهو

مجلس* نوره دُر، ونارنجُه ذهب، ونرجسه دينار ودرهم، ويحملها زبرجد. عندنا أترج كأنه من خلقت خلق، ومن شمائلك سُرق. ونارنج ككرات من سفن ذهب، أو ثدي أبكار خلقت. مجلس أخذت فيه الأوتار تتجاوب، والأقداح تتناوب. أعلام الأنس خافقة، وألسن الملاهي ناطقة. مجلس قد فرش بساطه وبسط أنماطه، ومدّ سباطه، بين آس مخضود، وورد منضود*، وناي وعود. نحن بين بدور، وكاسات تدور*، قد نشأت غمامة ألند، على بساط الورد. مجلس قد تفتحت فيه عيون النرجس، وفاحت مجامر الأترج، وفُتقت فارات النارنج، ونطقت ألسن العيدان، وقامت خطباء الأوتار، وهبت رياح الأقداح، وطلعت كواكب الندمان، وأمتدت سماء ألند. مجلس من رآه حسب الجنان قد أصطفيت عيونها فجمعت في قدر من الأرض، وتُخبرت فصوصها فنقلت إلى مطلع الأنس واللهو. قد فضّ اللهو ختامه، ونشر الأنس أعلامه. قد هبت للأنس ريج* سحبها الأقداح، وعودها الأوتار، ورياضها الأقمار. قد فرغنا للهو وألدهر عنا في شغل. قد أقتعدنا غارب الأنس، وجرينا في ميدان اللهو. عمَدنا لقдах اللهو فأجلناها، ولمراكب السرور فأمطيناها. قد أمطينا غوارب الأفراح، وقد حنا نار السرور بالأقداح.

فيما يتصل به من الألفاظ

في الاستزارة

نحن في مجلس قد أبت راحته أن تصفو إلا أن تصافحها يُمنالك، وأقسم غناؤه لا طاب أو تعيه أذنالك، فأما حدود نارنجه فقد أحمرت خجلاً لإبطائك وعيون نرجسه فقد حدقت تأملاً للقائك، فبحياتي عليك إلا تعجلت، وما تمهلت. نحن بغيتك كعقد قد غيبت واسطته، وشباب قد أخذت جدته. إذا غابت شمس السماء عنا، فلا بد من أن تدنو شمس الأرض منا. أنت من يُنظم به شمل أطرب، وبلقياه يُبلغ إلى كل أرب. طر إلينا طيران آلسهم، واطلع علينا طلوع النجم. ثب إلينا وثبة الغزال، واطلع علينا طلوع الهلال، في غرة شوال. كن إلينا من آلسهم إلى ممره، والماء إلى مقره. جشم إلينا قدمك، وأخلع علينا كرمك. إن رأيت أن تحضرنا لتتصل الواسطة بالعقد، ونحضل بقربك في جنة الخلد. إن رأيت أن تسهم لنا في قربك الذي هو قوت النفس، ومادة الأنس.

في الكناية عن الشراب

قد نشط لتناول ما يستمد البشر، ويشرح الصدر. قد أستمطر سحاب الأنس، وأستدر حلوبة السرور، وقدح زند اللهو.*

وصف الشراب

* شراب أصفى من مودتي لك، وأحسن من نعمة الله فيك، وأطيب من إسعاف الزمان بلقائك. أصفى من البلور، ودمع المهور. أصفى من ماء السماء، ودمع العاشقة الممره. أحسن من الدنيا المقبلة، والنعيم المكمل. أحسن من العافية في البدن، وأطيب من الحياة في السرور. أرق

من نسيم الصَّبَا، وعَهْدِ الصَّبَى. أَرْقُ من دمع مُجَبِّ، وشكوى صَبِّ. أَرْقُ
من دُموع العُشَّاق، مرتها لوعةُ الفِراق. *

في تأثيره في القوم

دَبَّتْ أَلْكَاسُ فِيهِمْ دَبِيبُ النَّارِ فِي الْفَحَمِ، وَالْبُرْءُ فِي السَّقَمِ. سَارَتْ فِيهِمْ
سَوْرَةُ الْكُؤُوسِ، وَنَالَتْ مِنْهُمْ نَشْوَةُ الْخَنْدَرِيسِ. شَرِبَتْ الرِّاحُ عُقُولَهُمْ،
وَمَلَكَتْ قُلُوبَهُمْ. تَمَشَّتْ الصُّهْبَاءُ فِي عِظَامِهِمْ، وَتَرَقَّتْ إِلَى هَامِهِمْ، وَمَاسَتْ
فِي أَعْطَافِهِمْ، وَمَالَتْ بِأَطْرَافِهِمْ. بَلَغَ حَدًّا، يوجبُ الْحدَّ.

فقر وغرر تليق بهذا الباب

* الصَّاحِي بَيْنَ السَّكْرَى، كَالْحَيِّ بَيْنَ الْمَوْتَى، يَضْحَكُ مِنْ عِقْلِهِمْ،
وَيَأْكُلُ مِنْ نَقْلِهِمْ.

ذكر الغناء والمغني

غِنَاؤُهُ كَالْغِنَى بَعْدَ الْفَقْرِ*. غِنَاءُ يَبْسُطُ أَسْرَةَ الْوَجْهِ، وَيَرْفَعُ حِجَابَ الْأُذُنِ،
وَيَأْخُذُ بِمَجَامِعِ الْقَلْبِ، وَيَمْتَزِجُ بِأَجْزَاءِ النَّفْسِ. غِنَاءُ يُحْرِكُ الْنَفُوسَ، وَيُرْقِصُ
الرُّؤُوسَ*. قَدْ سَمِعْنَا غِنَاءَ، يَعِيدُ الْأَمْوَاتَ أَحْيَاءَ، إِذَا غَنَى وَدَتِ أَعْضَاءُ
السَّامِعِينَ أَنْ تَكُونَ آذَانًا. فَلَانَ طَبِيبُ الْقُلُوبِ وَالْأَسْمَاعِ، مُحْيِي مَوَاتِ الْخَوَاطِرِ
وَالطَّبَاعِ. يُطْعِمُ الْآذَانَ سُورًا، وَيَقْدَحُ فِي الْقُلُوبِ نُورًا. الْقُلُوبُ مِنْ غِنَائِهِ
عَلَى خَطَرٍ، فَكَيْفَ الْجُيُوبِ. كَأَنَّهُ خُلِقَ مِنْ كُلِّ نَفْسٍ فَهُوَ يُغْنِي كُلًّا بِمَا
يَشْتَهِيهِ*. كُلُّ مَا يُغْنِيهِ مَفْتُوحٌ. لِيغْنَاهُ فِي الْقَلْبِ، مَوْقِعَ الْقَطْرِ فِي الْجَدْبِ.
نَعْمَ نَغْمَتُهُ تَطْرِبُ، وَضُرُوبُ ضَرْبِهِ لَا تَضْطَرِبُ.

في ذم المغني

يترنم فيتعب ولا يطرب، وليتنا وجدنا الكفاف ولكن يُكرب. فلان إذا غنى
عني، وإذا أدى آذى، يُميت الطرب، ويُحيي الكُرب. ضربة يوجب ضربه،
وسماعه يوجب الأسماع به. من عجائب غنائه أنه يورد الشتاء في الصيف.
بيتُ وسي (كذا) باردُ النعمة مختلُ الديدن. ما رآه أحدٌ في دار قومٍ مرتين.

في استهزاء الشراب

قد تألف لي شملُ إخوانٍ كاد أن يفترق لعوز المشروب، فأعتمدنا فضلك
المعهود، ووردنا بحرك المورود. أنا ومن سامحني الدهر بزيارته من إخواني
وأولياك وقوفٌ بحيث يقف بنا اختيارك من النشاط أو الفتور، ويرتضيه لنا إيثارك من
آلهم أو السرور، لأن الأمر في ذلك إليك، والاعتماد في جمع شمل المسرة عليك،
فإن رأيت أن تكلني إلى أولى الظنين بك فعلت. ألطف المنن موقعا، وأجلها
في النفوس موضعا. ما عمر أوطان المسرة، وطرد عوارض آلهم وآلفكرة،
وجمع شمل المودة والآلفة. قد انتظمت مع رفقة لي في سمط الثريا، فإن لم
يحفظ علينا النظام، بإهداء المرام، عُذنا كبنات نعشٍ والسلام. فأريك في
إرواء غُلَّتنا بما ينقعه، والتطول على جماعتنا بما يجمعها.

آخر كتاب الطعام والشراب والله الحمد

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب وصف النظم والنثر

وأصحابها وآلاتها وأدواتها

وصف حسن الخط

خَطٌ يَجْرِي مَجْرَى السَّحَرِ، وَيَرْتَفِعُ حُسْنُهُ عَنِ النَّعْتِ. رَأَيْتُ مِنْ خَطِّهِ
يُؤَاقِبَتِ فِي نِظَامٍ، وَصَفَّحَاتٍ نُورٍ عَلَيْهَا سَطُورٌ ظَلَامٌ. خَطٌّ أَحْسَنُ مِنْ عَطْفَةِ
الْأَصْدَاغِ، وَبِلَاغَةٍ كَالْأَمَلِ آذَنٌ بِالْبِلَاغِ. خَطٌّ كَأَنَّهُ صَبِيحٌ مَنْقُشٌ بِظَلَامٍ، كَأَنَّهُ
لَيْلٌ عَلَى صَفَّحَاتٍ نُورٍ، كَأَنَّهُ حَدِيقَةُ الْأَحْدَاقِ. خَطٌّ كَالرُّوضِ الْمَمْطُورِ،
وَالْوَشِيِّ الْمَنْشُورِ، وَالْدُّرِّ الْمَشُورِ. خَطٌّ كَمَا يُفْتَحُ الزُّهْرُ غَبَّ الْمَطَرِ، كَأَنَّهُ
خَطُوطُ الْغَوَالِي، فِي خُدُودِ الْغَوَانِي. خَطٌّ أَمْلَحُ مِنْ بَنْفَسَجِ الْخَطِّ، وَأَحْسَنُ
مِنَ الدُّرِّ فِي السَّمَطِ. خَطٌّ أَخَذَ مِنَ الطَّوَاوِيسِ ظُهُورَهَا، وَمِنَ الْبَزَاةِ صَدُورَهَا.
خَطٌّ كَالْتَبَرِ الْمَسْبُوكِ، وَالْوَشِيِّ الْمَحْكُوكِ. خَطٌّ أَمْلَحُ مِنْ صَوْلَجَانِ الْمَسْكِ، فِي
مِيدَانِ الْوَرْدِ، أَحْسَنُ مِنْ بُدُورِ الْغُرْرِ، فِي لِبَالِي الطَّرْرِ. فَلَانٌ يُغْرِسُ الدُّرَّ فِي
أَرْضِ الْقَرَاطِيسِ، وَيَنْشُرُ عَلَيْهَا أَجْنَحَةَ الطَّوَاوِيسِ. كَأَنَّ يَدَهُ تَنْشُرُ وَشْيًا، أَوْ
تَنْظِمُ دُرًّا. كَأَنَّهُ مَطَرٌ بِالظَّلَامِ رِدَاءُ الصَّبَاحِ. خَطٌّ كَأَنَّ الْقَلْبَ يَشْعُرُ مِنْهُ نُورًا،
وَالْعَيْنَ تَجْنِي نُورًا. خَطٌّ يَبْهَرُ الطَّرْفَ، وَيَفُوتُ الْوَصْفَ. خَطٌّ كَالرِّيَاضِ،
وَالْمَقْلِ الْمَرَاضِ، وَالْإِقْبَالِ بَعْدَ الْإِعْرَاضِ. أَمْتَعْتُ طَرْفِي مَا شَتَّتْ بِمَحَاسِنِ
خَطِّهِ وَلَفِظِهِ، وَأَخَذْتُ مِنْهُمَا بِأَوْفَرِ قِسْطِ الْمُسْتَفِيدِ وَحِظِهِ. تَحِيرْتُ بَيْنَ ظَلَامِ
وَصَبَاحٍ، وَعَقْدٍ وَوَشَاحٍ. خَطُّهُ خُطَّةُ الْحُسْنِ.

في سرعة الكتابة

يَدُهُ ضَرَّةُ الْبَرْقِ، وقلمه فلكيُّ الْجَرِي. يَدُهُ ظَرُّ الْبَلَاغَةِ، وَأُمُّ الْكِتَابَةِ، وَضَرَّةُ الْرِيحِ، وَيَنْبُوعُ الْفَضْلِ. كَانَ يَدُهُ عَلَى الْقِرطاسِ جَنَاحُ طَائِرٍ فِي سَرَابٍ مَائِرٍ. فَلَا نَأْمَلُهُ الرِّيحَ، وخواطره البحار. فَلَا نَسْرِعُ الْبَنَانَ، بَدِيعُ الْبَيَانِ. لَا يَحْبِسُ عَنَانُ قَلَمِهِ، أَوْ يَنْثُرُ الدُّرَّ فِي كَلِمِهِ. قَلَمُهُ يَهِيمُ عَلَى وَجْهِهِ، غَادِرًا رَأْسَهُ فِي دَرَجِهِ. أَخْفَ مِنْ حَسَاةِ طَائِرٍ، وَلَمْعَةٍ بَارِقٍ، وَخُلْسَةِ سَارِقٍ.

وصف النثر بما يشتمل عليه من الالفاظ والمعاني

أَلْفَاظٌ كَغَمَزَاتِ الْأَلْحَاطِ، وَمَعَانٍ كَأَنهَا فَكٌ عَانَ. أَلْفَاظٌ كَمَا نَوَّرَتِ الْأَشْجَارُ، وَمَعَانٍ كَمَا تَنَفَّسَتْ الْأَسْحَارُ. أَلْفَاظٌ قَدْ اسْتَعَارَتْ حَلَاوَةَ الْعَتَابِ، بَيْنَ الْأَحْبَابِ، وَاسْتَرْقَتْ تَشَاكِي الْعُشَّاقِ، يَوْمَ الْفِرَاقِ. حَسِبْتُ أَلْفَاظَهُ دُرَّ السَّحَابِ، أَوْ أَصْفَى قَطْرًا وَدِيمَةً، وَمَعَانِيَهُ دُرَّ السِّخَابِ، بَلْ أَوْفَى قَدْرًا وَقِيمَةً. كَلَامٌ قَرِيبٌ شَاسِعٌ، وَمُطْمَعٌ مَانِعٌ. كَأَلَشَّمْسِ تَقَرَّبَ ضِيَاءُ، وَتَبَعَدَ عِلَاءُ، وَكَأَلْمَاءِ يَرُخِّصُ مَوْجُودًا، وَيَغْلُو مَفْقُودًا. كَلَامٌ يَصْعُبُ عَلَى التَّعَاطِي، وَيَسْهُلُ عَلَى الْفِطْنَةِ. كَلَامٌ لَا تَمُجُّهُ الْأَذَانُ، وَلَا يُبْلِيهِ الزَّمَانُ. أَلْفَاظٌ كَالْبُشْرَى مَسْمُوعَةٌ، وَأَزَاهِيرُ الرِّيَاضِ مَجْمُوعَةٌ، وَمَعَانٍ كَأَنْفَاسِ الرِّيَاحِ، تَعَبُّقُ بِالرَّيْحَانِ وَالرَّاحِ. كَلَامٌ مُسْتَهْلٌ مُتَسَلِّسٌ كَأَلْمَدَامِ بِمَاءِ الْغَمَامِ، يَقْرُبُ إِذْنَهُ عَلَى الْأَفْهَامِ. مُلَحٌّ كَنُوافِذِ السِّحْرِ، وَفَقْرٌ كَالْغِنَى بَعْدَ الْفَقْرِ. كَلَامٌ كَبَّرَدِ الشَّرَابِ، عَلَى أَكْبَادِ الْجَرَارِ، وَبُرْدِ الشَّبَابِ، فِي خَلْعِ الْعَذَارِ. كَلَامٌ كَثِيرُ الْعِيُونِ، سَلَسُ الْمَتُونِ رَقِيقُ الْحَوَاشِي، سَلِسُ النِّوَاحِي. كَلَامٌ هُوَ السَّحَرُ الْحَلَالُ، وَالْمَاءُ الزُّلَالُ، وَالْبُرُودُ وَالْجَبَرُ، وَالْأَمْثَالُ وَالْجَبَرُ، وَالنَّعِيمُ الْحَاضِرُ، وَالشَّبَابُ الْنَاضِرُ. نَظَرْتُ مِنْهُ إِلَى صُورَةِ الظَّرْفِ بَحْتًا، وَسُورَةِ الْبَلَاغَةِ سَبْكَأُونَحْتًا. أَلْفَاظٌ هِيَ خُدْعُ الدَّهْرِ، وَعَقْدُ السَّحَرِ. أَلْفَاظٌ تَسْرُّ الْمُحْزُونَ، وَتَسْهَلُ الْحُزُونَ، وَتَعَطِّلُ الدَّرَّ

المخزون. كلامٌ بعيدٌ من الكلف، نقيٌّ من الكلف. كلامٌ كما تنفس السحر عن نسيمه، وتبسم الدر عن نظيمه. ألفاظٌ تأنق الخطر في تذهيبها، ومعانٍ غنيّ الطبع بتهذيبها. ألفاظٌ حسبتها في رقتها منسوخة من صحيفة الصبي، وظننتها لسلامتها مكتوبةً عن إملاء الهوى. كلامٌ كالبشرى بالولد الكريم، قرع بها سمع الشيخ العقيم. كلامٌ قرب حتى أطمع، وبعد حتى امتنع، ودنا حتى صار قاب قوسين أو أدنى، ثم سما حتى صار بالمنظر الأعلى. كلامٌ حسنٌ الديباجة، صافي الزجاجة، رقيق المزاج، حلو المَساغ، نقيّ السمك، مقبول اللفظ، قرأت جلياً، حوى معنى خفياً، وكلاماً قريباً، رمى غرضاً بعيداً. لو أنّ كلاماً أذيب به صخر، أو أطفئ به جمر، أو غوفي به مريض، أو جبر به مهيب، لكان هذا. كلامه يقود سامعيه إلى السجود، ويجري في القلوب كجري الماء في العود. فلان ألفاظه أنوار، ومعانيه ثمار. كلامه أنس المقيم الحاضر، وزاد الراحل المسافر. كلامٌ تسعى إليه الفُور، وينتفض إليه العُصفور. كلامٌ يقضي حق البيان، ويملك رقّ الحُسن والإحسان. كلامٌ منه يُجتنى الدرّ، وبه يُعقد السحر، وعنده يُعتب الدهر، وله يُشرح الصدر. كلامٌ يقرب جناه، ويبعد مداه، ويونس مسمعه، ويؤيس مصنعه.

ذكر البلاغة والبلغاء

ليست البلاغة أن يطال عنان القلم أو سينانه، ويُسطر رهان القول أو ميدانه، بل هو أن يبلغ أمد المراد، بألفاظ أعيان ومعانٍ أفراد، من حيث لا مزيد على الحاجة، ولا إخلال يفضي إلى ألفاقة. البلاغة ميدانٌ لا يُقطع إلا بسوابق الأذهان، ولا يُسلك إلا ببصائر البيان. فلان يعبث بالكلام، ويقوده بالين زمام، حتى كأنّ الألفاظ تتحاسد في التسابق إلى خواطره، والمعاني تتغاير في الانثيال على أنامله. فلان مشرفي المشرق، وصيرفي المنطق، البيان أصغر صفاته، والبلاغة عفو خطراته. كأنه أوحى بالتوفيق إلى صدره،

وحُبس الصواب بين طبعه وفكره. فلانْ يَحْزُ مفاصل الكلام، ويسبق فيها إلى
درك المرام، كأنما جمع الكلام حوله حتى انتقى منه وأنتخب، وتناول منه
ماطَلَب، وترك بعد ذلك أذناً لا رؤوساً، وأجساداً لا نفوساً. فلانْ لا يبلغ
المعنى ويرضى بعفو الطبع، ويقنع بما يَخْفُ عَلَى السمع. يُوجز فلا يُخل،
وَيُطنبُ فلا يُمل. لله فلانْ أخذ بأزمة القول يقودها كيف أراد ويجذبها أنى شاء،
فلا يعصيه بين الصَّعب والذَّلُول، ولا يسلمه عند الحُزون والسهول. كلامٌ
يشتد مرة حتى تقول الصخر ألامس، ويلين تارةً حتى تقول الماء أو أسلس.
يقول، فيصول، ويجيب، فيصيب، ويكتب فيطبق المَفْصِل؛ وينسق الدُّر
المُفْصَل. يَرِدُ مشارع الكلام وهي صافية لم تُطَرَّق، وجامَّة لم ترنق.

في سرعة الخاطر ونفاذ الطبع

خاطره البرق أو أسرع لمعا، والسيف أو أحد قطعاً، والماء أو أسلس
جريا، والفلك أو اقوم هديا. هو من يسهل الكلام على لفظه، وتزاحم
المعاني على طبعه، فيتناول المرمى البعيد بقريب سعي، ويستنبط المَشْرُوعَ
العميق بيسير جري. كلامه عفو اللسان، وفيض اليد، ومساوقة القلم،
ومسابقة اليد للفم، وجَمَرَاتُ الحِدة، وثمراتُ المِدة، ومجاراة الخاطر
للناظر، ومُباراة الطَّبع للسمع.

زلاقة اللسان والفصاحة

لسانه يُغِيضُ البحور. وَيَقْلِقُ الصخور. وَيُسَمِعُ الصُّمَّ، ويستنزل العُصم.
خَطِيبٌ لا تناله حُبسة، ولا ترتنهنة لُكنة، ولا تتمشى في خطابه رُتة، ولا تسلطُ
على جواره فترة، ولا يتحيف بيانه عُجْمة، ولا تعترض لسانه عُقدة. فلانْ
رقيق الأسلة، عذب العذبة. لو وُضع لسانه على الشعر حَلَقَه، أو على
الصخر فلقه، أو على الجمر أحرقه، أو على الصفا خرقه. أما ترى، فلانْ

وَلَسَنَهُ؟ وكيف يجرّ في الفصاحة رسنه. كأن لسانه ثعبان ينساب بين رمال، أو ماء يتغلغل بين جبال. كأن لسانه مخراق لاعب، أو غرار سيف قاضب. قد أحسن السِفارة، وأستوفى العبارة، وأدى الألفاظ وأستغرق الأغراض، وأصاب شواكل المراد، وطبق مفاصل السداد. لسانه كلسان ابن الحمره، أو سنان عنتره.

ذكر الاطناب

بَسَطَ عِنانَ الخطاب، ومدَّ أَطنابَ الإطناب، وطلب الأمد في الإسهاب. قال حتى قال الكلام لو أعفيت، وكتب حتى قالت الأقلام قد أحييت. قد اتسع به مَشَرعُ الإطناب، وأنفرج مَسلكُ الإسهاب، أرسل لسانه في ميدانه، وأرخى من عنانه. نفّض ما في راسه، وفرغ جُعبَة وَسْواسِه. تصرّفت في كذا فأطلت وأطبت، وقلت فأطنبت. قال فأطال، وجال في بسط المقال كل مجال. إذا أسحَنَفَرَ في الكلام طفح آذيه، وسال أئيّه، انثال عليه الكلام، أنثيال الغمام، واستجاب له الخطاب، ولا صوب الرباب.

وصف النثر والنظم معاً

نثرٌ كنثر الورْد، ونظمٌ كنظم العقْد. نثرٌ كالسحر أو أدق، ونظمٌ كالماء أو أرق. رسالة كالروضة الأنيقة، وقصيدة كالمدخرة الرشيقة. رسالة تقطر ظرفاً، وقصيدة تمزج بها الراح لطفاً. نثره سحر البيان، ونظمه قطع الجنان. نثرٌ كما تفتح الزهر، ونظمٌ كما تنفس السحر. نثرٌ ترق نواحيه وحواشيه، ونظمٌ تسحر ألفاظه ومعانيه. نثرٌ كالحديقة تفتحت أحداق وردها، ونظمٌ كالخريدة توردت أشجار نهدها. رسالة تضحك عن زهر وغرر، وقصيدة تنطوي على جبر ودُرر، لم ترض في برك بأخوات النثرة من نثر، حتى وصلت بها نبات الشعري من

شعرك . كلامٌ كما هب نسيمُ السَّحَرِ عَلَى صَفَحَاتِ الزَّهَرِ، وَلَدَّ طَعْمَ الْكَرَى
بعد برح السَّهَرِ، وشعْرٌ في نفسه شاعر، تُوسِّمُ بهِ المَواسِمُ والمُشاعِرُ . كلامٌ
أنسى حلاوةَ الأولاد بحلاوته، وطلاوةَ الرَّبيع بطلاوته، شعْرٌ من حُلَّةِ الشَّبابِ
مسروق، ومن طينة الوصال مخلوق.

وصف الشعر

قصيدةٌ في فنِّها فريدة . قصيدةٌ أخلصت عَلَى قصد، وفريدةٌ أتت من فَرْد .
هي صَوْبُ العقول، تغبّر في نواصي الفحول . عروسٌ كَسَتْها القوافي، وحلَّتْها
المعاني . شعْرٌ يَتَرَقَّرُ فيه ماءُ الطبع، ويرتفع له حجابُ القلب والسَّمْع . شعْرٌ
ملكني العُجْبُ به، وبهرني التعجُّبُ منه . شعْرٌ لا مِزِيَّةَ الإيجاز أخطأته، ولا
فضيلةَ الإعجاز تخطأته . شِعْرٌ رَوَيْتُهُ، لَمَّا رَأَيْتُهُ، وحفظتُهُ، لَمَّا لحظتُهُ . أبياتٌ
لو جُعِلَتْ خِلْعَةٌ عَلَى الزَّمان لتحلّى بها مُكاثراً، أو تجلّى فيها مفاخرأ . راقني
الشعر حتى شاقني، فإنه مع قُرْب لفظه بعيد المرام، مستمرُّ النظام . قويُّ
الأسر، صافي النحر . قد ألبس من البداوة فصاحتها، وعُشى من الحضارة
سجاحتها، فإن شئت قلت عبيدٌ ولبيد، وإن شئت قلت حبيبٌ ووليد . شعْرٌ
يختلط بأجزاء النفس لنفاسته، ويكاد يعين كانه من سلاسته . قصيدته تُجتنى
بالأفكار، ونَقْلُ يُتناول بالأسماع والأبصار، ونقلُ العلم والأدب، السَّدُّ من نَقْلِ
المأكَل والمشرب . وفاكهة الكلام، أطيبُ من فاكهة الطعام . نظمٌ كنظم
الجُمان، وروض الجنان، وأمن الفؤاد، وطيب الرُّقاد . لم أر غيرها بكَراً
أستوفت أقسام الحُنْكة، وأستكملت أحكام الدُّرْيَةِ، فعليها رونق الشباب،
ولها قوَّةُ المُذْكِيات الصِّلاب . رُوحُ الشعر، وتاجُ الدهر . مقدِّمةُ عساكر
السَّحر . كلُّ بيتٍ شعر، خيرٌ من بيتٍ يَبْر . شعْرٌ يُحكّم له بالإعجاز والتبريز،
ويُشَبِّه في صفاء سبكه بالذهب الإبريز . شعْرٌ تأتلف أَلْقُلُوبُ عَلَى دُرِّهِ آتِلافاً،
وتصير أَلْأذان لها أصدافاً .

وصف الشعراء

لله دُرُّه ما أحلى شِعْرَه، وأنقى دُرُّه، وأصفى قَطْرَه، وأعجب أمره. قد أخذ برباب القوافي، وملك رِقَّ المعاني. فضله برهان حق، وشعره لسان صديق. أجمع أهل جلدته، على أنه معجز بلدته. فلان يغرب، بما يجلب، ويدع بما يُبضع. حَسَنُ السِّبْكِ، محكم الرِّصْفِ، بديع الوصف. مَرغوبٌ في شعره، متنافسٌ في سحره. فلان ضاربٌ في قول الشعر بأعلى السهام، أخذ من عيون الفضل بأوفى الأقسام. ماء أشعار وطيتها، وكثر القوافي ومديتها. شِعْرُه، أشعاره، ودأبه، آدابه. فلان ممن يبتدع فيبتدع. فلان يجمع بين الإسراع، والإبداع. طبعه يمل عليه، ما لا يمل الاستماع إليه. قريحة غير قريحة، وطبع غير طبع، وخيم غير وخيم. لبيد عنده بليد، وعبيد وأقرانه له عبيد. ألفرزدق عنده أقل من فرزدقة خمير، وجريز، يقاد إليه بجريز. قد نسج حُللاً لا يلي جدتها الجديدان، ولا تزداد حسناً إلا على مرور الزمان.

في نعت الشعر السائر

نظمه قد نَظَمَ حاشيتي البر والبحر، وناحيتي الشرق والغرب. أشعاره قد وردت المياه، وركبت الأفواه، وسارت في البلاد، ولم تسر بزاد، وطار في الآفاق، ولم تمش على ساق. شعره أسير من الأمثال، وأسرى من الخيال. سار مسير الرياح، وطار بغير جناح. أشعار سارت مسير الشمس وهبت هبوب الرياح، فطبقت تخوم الأرض، وانتظمت الشرق إلى الغرب. قد كادت الأيام تُنشدُّها، والليالي تحفظها والجن تدرسها، والطير تتغنى بها.

في ذكر شعر الاكابر والملوك

قرأت الآيات التي أسفر عنها طبع المجد فعلمت كيف يتكسر الزهر على صفحات الحقائق، وكيف يغرس الدُرُّ في رياض المهارق. شعر قد احتبس

جريه عَلَى فكره، ووقف كيف شَاء عند أمره. شعرٌ يُعلّق في كعبة المجد،
وَيُتَوَجُّ به مَفْرُق الدّهر. جاءت القصيدة ومعها غُرة المُلْك، وعليها رُواء
الصِّدْق، وفيها سيما العلم، وعندها لسان المجد، ولها صيال الحقّ، لا غَرَوُ
إذا فاض بحرُ العلم عَلَى لسان الشعر أن ينتج ما لا عينٌ وقعت عَلَى مثله،
ولا أُذُنٌ سَمِعَتْ بشبهه. شعرٌ يكتب في غُرة الدّهر، وَيُشَدّخ في جبهتي
الشمس والبدْر.

وصف الكتب البليغة الغزيرة وحسن موقعها

كتابٌ كتب لي أماناً من الدّهر، وهنّاني أيام العمر. كتابٌ أوجب من
الاعتداد، أوفر الأعداد، وأودع بياض الوداد، سوادَ ألفؤاد. كتابٌ الظُّفرُ به
نعيم، والَنْظَرُ فيه فتحٌ عظيم. كتابٌ آرَحتُ لعيانه، وأهتزّزتُ لِعنوانه. كتابٌ
هو من كُتُبِ الميامين، التي تأتي من قِبَلِ اليمين. كتابٌ عدّدته من حُجُولِ العمر
وَعُرَّره، واعتدّدته من فرصِ العيش وعرَّره. كتابٌ آنس مَسْموعاً ومَلْحوظاً،
وكاد مُودَعُهُ يكون مدروساً ومَحْفُوظاً. كتابٌ هو أنفُس طالع، وأكرم مُتطلع،
وأحسن واقع. كتابٌ لو قُرئ عَلَى الحجارة لانفجرت، أو عَلَى
الكواكب لانتشرت. كتابٌ كدّت أبلية طياً ونشراً، وقبَلْتُهُ أَلْفاً ويد حامله
عَشْراً. كتابٌ نسيْتُ لحسنه الرّوض والزّهر، وغفرتُ للزمان ما تقدّم من ذنبه
وما تأخّر. كتابٌ قد أملتُه مزية المجد عَلَى بنانك، ونطق به لسان أفضّل
عَلَى لسانك، أما النقط عَلَى كل حرفٍ نذيرة أناملك بحقه، وآخذ من كل
سطرٍ تتجشّم تخطيطه نزهة. (كذا) إذا قرأت من خطك حرفاً، وجدت عَلَى
قلبي خفّاً، وإذا تأملت من كلامك لفظاً، ازْدَدْتُ من أنسي حظّاً.

تشبيهات هذه الكتب

كتابٌ كَتَبَ لي أماناً من الزّمان، وتوقّع وقع عندي موقع الماء من العطشان.

كتابٌ هو تَعَلَّةُ الْمَسَافِرِ، وَأُنْسَةُ الْمَسْتُوحِشِ، وَزَبْدَةُ الْوِصَالِ، وَعُقْلَةُ الْمُسْتَوْفِزِ. كتابٌ هو رُقِيَّةُ الْقَلْبِ السَّلِيمِ، وَغُرَّةُ الْعَيْشِ الْبَهِيمِ. كتابٌ هو سَمَرُ بِلَا سَهَرٍ، وَصَفْوُ بِلَا كَدَرٍ. كتابٌ تَمَتَّعْتُ مِنْهُ بِالنَّعِيمِ الْأَبْيَضِ، وَالْعَيْشِ الْأَخْضَرِ، وَاسْتَلَمْتُهُ اسْتِلَامَ الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ، وَكَلْتُ طَرَفِي مِنْ سَطُورِهِ بَوْشِي مَهْلٍ، وَتَاجٍ مَكْلَلٍ، وَأَوْدَعْتُ سَمْعِي مِنْ بَدَائِعِهِ مَا أُنْسَانِي سَمَاعُ الْأَغَانِي، مِنْ مَطَرِبَاتِ الْغَوَانِي. نَشَأْتُ سَحَابَةً مِنْ رَوْضِكَ غَيْمُهَا نَعْمَةٌ سَابِغَةٌ، وَغَيْثُهَا حَكْمَةٌ بِالْغَةِ. سَقَّتْ رَوْضَةَ الْقَلْبِ، وَقَدْ جَهْدَتْهَا يَدُ الْجَذْبِ، فَاهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ، وَآكَسْتُ مِمَّا آكَسْتُ. كتابٌ حَسْبُهُ سَاقِطًا إِلَيَّ مِنَ السَّمَاءِ اهْتِزَازُ الْمَطْلَعِ، وَابْتِهَاجٌ بِحَسَنِ مَوْقِعِهِ. تَنَاوَلْتُهُ كَمَا يُتَنَاوَلُ الْكِتَابُ الْمَرْقُومُ، وَفَضَضْتُهُ كَمَا يُفَضُّ الرُّحِيقُ الْمَخْنُومُ. كتابٌ كَالْمَشْرِقِ شَرِقَ بِهِ الْمَسِيرُ وَقَمِيصُ يَوْسُفَ جَاءَ بِهِ الْبَشِيرُ. هُوَ فِي الْحَسَنِ رَوْضَةٌ حَزْنٌ، بِلْ جَنَّةٍ عَذْنٌ، وَفِي شَرْحِ الْإِنْفَسِ، وَبَسْطِ الْأَنْسِ، بَرْدُ الْأَكْبَادِ وَالْقُلُوبِ، وَقَمِيصُ يَوْسُفَ فِي أَجْفَانِ يَعْقُوبَ. قَدْ أَهْدَيْتُ إِلَيَّ مُحَاسِنَ الدُّنْيَا مَجْمُوعَةً فِي وَرَقِهِ، وَمَبَاهِجَ الْحُلَلِ وَالْحُلِيِّ مَحْصُورَةً فِي طَبَقِهِ. كتابٌ أَلْصَقْتُهُ بِالْقَلْبِ وَالْكَبِدِ، وَشَمَمْتُهُ شَمَّ الْوَلَدِ. وَرَدَّ مِنْهُ الْمِسْكُ ذَكِيًّا، وَالزَّهْرُ جَنِيًّا، وَالْمَاءُ مَرِيًّا، وَالْعَيْشُ هَنِيًّا، وَالسِّحْرُ بَابِلِيًّا. كتابٌ مَطْلَعُهُ أَهْلَةُ الْأَعْيَادِ، وَمَوْقِعُهُ مَوْجِعُ نَيْلِ الْمُرَادِ.

وصف قصر الكتب

كتابٌ وَجَدْتُهُ قَصِيرَ الْعَمْرِ، كَلِيلًا لِی الْوَصْلِ بَعْدَ الْهَجْرِ. لَمْ أَبْدَأْ بِهِ حَتَّى اسْتَكْمَلَ، وَقَارِبَ الْآخِرَ الْأَوَّلِ. كِتَابٌ مِّنْتَقِصُ الْأَطْرَافِ، مَقْتَطَعُ الْأَكْنَافِ، أَبْتَرُ الْجَوَارِحِ، مُضْطَرِبُ الْجَوَانِحِ. كَأَنَّهُ تَعْرِیضٌ مَتَحَرَّرٌ، أَوْ تَوْقِيعٌ مُبْرَزٌ. كِتَابٌ يَلْتَقِي طَرَفَاهُ، وَيَتَقَارِبُ مُفْتَتِحُهُ وَمُنْتَهَاهُ. كِتَابٌ أَتَّفَقَ طَرَفَاهُ صِغَرًا، وَاجْتَمَعَتْ حَاشِيَتَاهُ قِصْرًا، مَا أَظُنُّنِي ابْتِدَائُهُ، حَتَّى خَتَمْتُهُ، وَلَا افْتَتَحْتُهُ حَتَّى اسْتَمْتَمْتُهُ، وَلَا لِمَحْتُهُ، حَتَّى اسْتَوْفَيْتُهُ، وَلَا نَشَرْتُهُ، حَتَّى طَوَيْتُهُ، وَأَحْسَبُنِي لَوْ لَمْ أَجُودْ

ضبطه ولم ألزم يدي حفظه لطار حتى يختلط بالجو فلا أرى منه إلا هباءً
 مَنثورًا، وهواءٌ مَنثورًا. كتابٌ حسبته يطيرُ من يدي لخفته، ويلطف عن حسي
 لِقَلته. عَجِبْتُ كيف لم تحتمله الريح قبل وصوله إليّ، وكيف لم يختلط
 بالهواء عند حصوله لذي. كتابٌ قصُّ الاختصار أجنته فلم يدع قوادِم ولا
 خوافي، وأخذ الاختصارُ جدته فلم يُبق ألفاظاً ولا معاني، كتابك كإيماءٍ
 بطرفٍ، أو وحيٍ بكفٍّ، لم أفتحه حتى استوفيته ولا نشرته حتى طَوَيْته.

في ذم الخط والقلم

خطه مُضطرب الحروف، متضاعفُ الضَّعْف والتَّحْرِيف. خطٌ مُمَجِّج،
 ولفظٌ مُلْجَلَج. خطٌ سقيم، وخاطرٌ عَقيم. خطٌ مجنون، لا يُدرى ألف أم
 نون، وسطور، فيها شطور. خطٌ يُقْذِي العين، ويشجي الصدر. خطٌ مُنْحَطٌّ،
 كأرجل البطِّ، على الشُّط، وأنامل السرطان، على الحيطان، قلمه لا يستجيب
 بريه، وآلدادُ لا يُساعد جريه. قلم كالولد العاق والأخ المشاق إذا أدركه
 استطال، وإذا قومه مال، وإذا بعثته وقف، وإذا وقفته انحرف. قلمٌ أحْدَل
 الشَّقِّ، مُضطرب الشَّقِّ. متفاوت البري، معدومُ الجري. مُحَرَّفُ الْقَطِّ، مَبْجَعُ
 الْخَطِّ. قلمٌ لم يُقْلَم طُفْرُهُ فهو يَخْدِشُ الْقُرْطاس، وَيَنْفُشُ الْأَنْفاس، ويأخذ
 بِالْأَنْفاس. فلم لا ينبعث إذا بعثته، ولا يَقِف إن وقفته. قد وقف اضطراب
 بريه، دُونَ استمرارِ جريه، واقتطع تفاوت قطه، عن تجويد خطه.

في ذم الكلام

كلامٌ تنبو عن قبوله الطباع، وتتجافى عن استماعه الأسماع. ألفاظٌ تنبو
 عنها الأذان فتَمُجُّها، وتنكرها الطباع فتزجُّها. كلامٌ لا يرفع السَّمْع له حجاباً،
 ولا يفتح القلب لوفده باباً. كلامٌ يُصدِّي الرِّيان، ويُصدِّي الأذهان. كلامٌ قد
 تعمل فيه حتى تبدل، وتكلّف، حتى تعسّف. طبعٌ جاسي، ولفظٌ قاسي. لا

مَسَاغٌ لَهُ فِي سَمْعٍ، وَلَا وُصُولٌ لَهُ مَعَ خُلُوعِ ذَرْعٍ. كَلَامٌ لَا آلُ رُيَّةٍ فِيهِ ضَرْبَتْ بِسَهْمٍ، وَلَا أَلْفَكْرَةٌ أَجَالَتْ فِيهِ بِقَدَحٍ، كَلَامٌ تَتَعَثَّرُ الْأَسْمَاءُ مِنْ حُزُونَتِهِ، وَتَتَحَيَّرُ الْأَفْهَامُ فِي وُجُودَتِهِ. كَلِمَاتٌ ضَعِيفَةٌ أَلَاتِفَاقٌ، قَلِيلَةٌ الْأَعْيَانُ، مُضْمَحَلَةٌ عَلَى الْأَمْتَحَانِ. أَلْفَاظٌ تُسْتَعَارُ مِنَ الْرَبَاجِيِّ، وَمَعَانٍ تَقْدُ مِنَ الْأَثَافِيِّ. كَلَامٌ كَأَنَّهُ ثَمَرٌ قُطِفَ قَبْلَ أَوَانِهِ، وَشَرَابٌ نَزَلَ دَنَّهُ قَبْلَ إِبَانِهِ. كَلَامٌ بِمَثَلِهِ يَتَسَلَّى الْآخَرَسُ عَنْ بَكْمِهِ، وَيَفْرَحُ الْأَصْمُ بِصِمَمِهِ. بِمَثَلِ ذَلِكَ الْكَلَامِ رُزِقَ الْأَصَمْتُ أَلْمَحَبَّةَ، وَأُعْطِيَ الْإِنْصَاتُ أَلْفَضِيلَةَ. كَلَامٌ أَمْلَسَ أَلْمَتُونَ، قَلِيلُ أَلْعَيُونِ. أَثْقَلَ مِنَ أَلْجَنْدَلِ، وَأَمْرٌ مِنَ أَلْخَنْظَلِ. لَفْظٌ أَخْلَاطٌ، فَلَا يُدْرِكُهُ اسْتِنْبَاطٌ، وَلَا يُفْسِرُهُ بُقْرَاطٌ. لَفْظُهُ هَذَيَانُ أَلْمَحْمُومِ، وَسَوْدَاءُ أَلْمَهْمُومِ. كَلَامٌ رَثٌّ، وَمَعْنَى غَثٌّ. لَا طَائِلَ فِيهِمَا، وَلَا حَلَاوَةَ عَلَيْهِمَا.

فِي ذَمِّ الْكَاتِبِ

الْخَرَسُ أَحْسَنُ مِنْ كَلَامِهِ، وَآلِجِي أَبْلَغُ مِنْ بَيَانِهِ. خَاطِرُهُ يَنْبُو، وَقَلَمُهُ يَكْبُو، يَسْهُو وَيَغْلُطُ، وَيُخْطِئُ وَيَسْقُطُ. هُوَ فِي آدَابِ، دَعَايُ النَّسَبِ، ضَيْقُ الْمَضْطَرَبِ، سِيءُ أَلْمُنْقَلَبِ. قَصِيرُ بَاعِ الْكِتَابَةِ، قَاصِرُ سَعْيِ الْبَلَاغَةِ. كَتَبَهُ مُضْطَرِبَةُ أَلْأَلْفَاظِ، مُتَفَاوِتَةُ الْأَبْعَاضِ، مُتَشَتِّرَةُ الْأَوْضَاعِ، مُتَبَايِنَةُ الْأَغْرَاضِ. الْجَلَمُ، أَوْلَى بِكَفِّهِ مِنْ أَلْقَلَمِ، وَأَلطَّاسُ، أَلْيَقُ بِهَا مِنَ الْقَرْطَاسِ.

فِي الشَّاعِرِ وَالشَّعْرِ

أَبْيَاتٌ لَيْسَتْ مِنْ مُحْكَمِ الشَّعْرِ وَجِكْمِهِ، وَلَا مِنْ أَحْرَارِ الْكَلَامِ وَغُرَرِهِ. شِعْرٌ لَا حَلَاوَةَ فِيهِ وَلَا طَلَاوَةَ. شِعْرٌ ضَعِيفُ أَلصَّنْعَةِ، رَدِيءُ أَلصِّيغَةِ، بَغِيضُ أَلصَّبِغَةِ. قَدْ جَمَعَ بَيْنَ إِقْوَاءٍ وَإِطْآءٍ، وَإِخْطَاءٍ وَإِطْآءٍ. مَا قَطَعَ شَعْرَةً، وَلَا سَقَى قَطْرَةً. لَوْ شَعَرَ بِأَلْنَقِيضِ مَا شَعَرَ. فَلَانٌ لَا يُمَيِّزُ بَيْنَ خَبِيثِ الْقَوْلِ وَطَيْبِهِ، وَلَا يُفَرِّقُ بَيْنَ بَكْرِهِ وَثَبِيهِ. فَلَانٌ مُنْقَادٌ لِسَازِجِ الْكَلَامِ يَسْتَعْمَلُهُ، نَفُورٌ مِنْ بَدِيعِهِ

يُهمله. شاعر باردُ العبارة، ثَقِيلُ الاستعارة، بَغِيضُ الإشارة. هو من بين
الشُّعراء، مَنبُذُ بالعَرَاء. لم يَلْبَسْ شِعْرُهُ حُلَّةَ الحلاوة. شِعْرُ لا يَطِيبُ دَرَسَهُ،
ولا يَخْفُ سِرَّهُ.

أوصاف أدوات الكتاب وآلات الكتاب

الدَّوَاةُ من أنفع الأدوات. هي للكتابة عتاد، وللخاطر زناد. غديرٌ لا يَرُدُّه غيرُ
الأفهام، ولا يمتح بغير أرشية الأقلام. أنيقة الصَّبغة، رَشِيقَةُ الصَّبِغَةِ.
مِسْكِيَّةُ الْجِلْدَةِ، كَافُورِيَّةُ الْجِلْيَةِ. غديرٌ تَفِيضُ يَنَابِيعِ الْحِكْمَةِ من أَقْطَارِهِ،
وتَشَاءُ سُحْبِ أَلْبَاغَةٍ من قَرَارِهِ. دَوَاةٌ تُدَاوِي مَرَضَ عُفَاتِكَ، وتُدْوِي قُلُوبَ
عِدَاتِكَ، عَلى مَرَفَعٍ يُؤْذَنُ بِدَوَامِ رِفْعَتِكَ، وَارْتِفَاعِ النُّوَابِ عَن سَاحَتِكَ.

في نعت المداد

مِدَادٌ كَسَوَادِ الْعَيْنِ، وَسُوَيْدَاءُ الْقَلْبِ. مِدَادٌ كَجَنَاحِ الْغِدَافِ وَلُعَابِ اللَّيْلِ،
وَالْوَانِ دُهِمِ الْخَيْلِ. مِدَادٌ نَاسِبٌ خَافِيَةِ الْغُرَابِ، وَاسْتِعَارَ لَوْنُهُ شَعَرَ الشَّبَابِ.
مِدَادٌ هُوَ أَبْهَى لَدَيَّ مِنْ أَلْفِ فَرَسٍ بِهِيمٍ، وَأَشْهَى إِلَى مِنْ مُلْكِ الْأَقَالِيمِ.

في نعت القلم

أَقْلَامٌ جَمَّةُ الْمَحَاسَنِ، بَعِيدَةٌ عَنِ الْمَطَاعَنِ. تُعَاصِي الْكَاسِرَ الْمُعَاصِرَ،
فَتُمَانِيعُ الْغَامِزِ الْقَاصِرِ. صُلْبَةُ الْمَعَاجِمِ، لَذَنَةُ الْمَقَاطِعِ. أَنَابِيْبُ نَاسِبَتِ رِمَاحِ
الْخَطِّ فِي أَجْنَاسِهَا، وَسَاكِنَتِ أُسُودِ الْغِيلِ فِي أَخْيَاسِهَا، وَشَاكَلَتِ الذَّهَبَ فِي
أَلْوَانِهَا، وَضَاهَتِ الْحَرِيرَ فِي لَمَعَانِهَا، كَأَنَّهَا الْأَمْيَالُ اسْتَوَاءً، وَالْأَجَالُ مَضَاءً.
بَطِيَّةُ الْحَفَى، قَوِيَّةُ الْقَوَى. لَا يُشْطِطُهَا الْقَطُّ، وَلَا يَتَشَعَّتْ بِهَا الْخَطُّ. أَقْلَامٌ
نَجْرِيَّةٌ مَوْشِيَّةٌ اللَّيْطِ، رَاقِيَّةٌ التَّخْطِيطِ، كُلُّ مُعْتَدِلِ الْكَعُوبِ، قَوِي الْأَنْبُوبِ.
بَاسِقُ الْفُرُوعِ، رَوِيَّ الْيَنْبُوعِ. هُوَ أَوْلَى بِالْيَدِ مِنَ الْبَنَانِ، وَأَنَسُ بِخَفِيِّ أَلْسَرٍ مِنَ

اللِّسَانُ . هو للأنامل مطيَّةٌ ، وَعَلَى الْكِتَابَةِ مَعُونَةٌ مَرْضِيَّةٌ . نِعَمَ الْبَجْدَةُ الْقَلَمُ .
يُقَلِّمُ أَظَافِيرَ الدَّهْرِ ، فَيَمْلِكُ الْأَقَالِيمَ بِالنَّهْيِ وَالْأَمْرِ . إِنْ أَرَدْتَ كَانَ مَسْجُونًا لَا
يَمِلُ إِلَّا سَارَ ، وَإِنْ شِئْتَ كَانَ جَوَادًا لَا يَعْرِفُ الْعَثَارَ . لَا يَنْبُو إِذَا نَبَتِ الصِّفَاحُ ،
وَلَا يَحْجُمُ إِذَا أَحْجَمَتِ الْقَلْبَاحُ . الْقَلَمُ مَطِيَّةٌ تَمْشِي بِرَاكِبِهَا رَهْوًا ، وَتَكْسُو
الْأَنَامِلَ زَهْوًا .

فِي نَعْتِ السَّكِينِ

سَكِينٌ كَانَ الْقَدَرُ سَائِقَهَا ، وَالْأَجَلَ سَابِقَهَا . مُرْهَفَةً الصَّدْرُ ، مُخْطَفَةً
الْخَصِرُ . يَجُولُ عَلَيْهَا فِرْنَدُ الْعِتْقِ ، وَيَتَرَقَّرُ فِيهَا مَاءُ الْجَوْهَرِ . كَانَ أَلْمَنِةً تَبْرُقُ
مِنْ حَدَّهَا ، وَالْأَجَلَ يَلْمَعُ فِي مَتْنِهَا . رُكِبَتْ عَلَى نِصَابِ ابْنُوسَ ، كَانَ الْحَدَقُ
نَفَضَتْ عَلَيْهِ صَبْغَهَا ، وَحَبَّ الْقُلُوبِ كَسْتَهُ لِبَاسَهَا . أَخَذَ لَهَا حَدِيدَهَا الْنَاصِعَ
بِحِظٍّ مِنَ الْرُومِ ، وَضَرَبَ لَهَا نِصَابُهَا الْحَالِكُ بِسَهْمٍ مِنَ الزُّنْجِ . فَكَأَنَّمَا لَيْلٌ مِنْ
تَحْتِ نَهَارٍ ، أَوْ فَحْمٌ أَبْدَى سَنَا نَارٍ ، ذَاتُ غِرَارٍ مَاضٍ ، وَذُبَابٌ قَاضٍ ، وَمِنْسَرٍ
بَازِيٍّ ، وَجَوْهَرٍ هَوَآئِيٍّ ، وَنِصَابٍ زَنْجِيٍّ ، إِنْ أَرْضَيْتِ وَلَّتْ مَتْنًا كَالِدِهَانِ ، وَإِنْ
أَسْخَطْتَ اتَّقَتْ بِنَابَ الْأَفْعَوَانِ . سَكِينٌ أَحْسَنَ مِنَ التَّلَاقِ ، وَأَقْطَعَ مِنَ الْفِرَاقِ .
تَفْعَلُ فَعْلَ الْأَعْدَاءِ ، وَتَنْفَعُ نَفْعَ الْأَصْدِقَاءِ . هِيَ أَمْضَى مِنَ الْقَضَاءِ الْمَبْرَمِ ،
وَأَنْفَذُ مِنَ الْقَدْرِ الْمَتَّاحِ ، وَأَقْطَعُ مِنْ ظُبَّةِ الْحَسَامِ ، وَالْمَعُ مِنْ الْبَرْقِ فِي
الْغَمَامِ . جَمَعَتْ حُسْنَ الْمَنْظَرِ ، وَكَرَمَ الْمَخْبَرِ ، فَتَمَلَّكَتْ عَيْنَانَ الْقَلْبِ وَالْبَصَرَ ،
وَلَمْ يُحَوِّجْهَا عِتْقُ الْجَوْهَرِ ، إِلَى إِمْهَاءِ الْحَجَرِ .

آخر كتاب النظم والثر والله الحمد

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب الممدوح والأثنية وما يجري مجراها، ويأخذ مأخذها

الممدوح بشرف الاصل وكرم النسب

فلان من سِرِّ الْعُنْصُرِ الْكَرِيمِ، وَمَعْدِنِ الشَّرَفِ الْصَمِيمِ. أَصْلُ رَاسِخٍ،
وَفَرْعٌ شَامِخٌ، وَمَجْدٌ بَازِخٌ، وَحَسَبٌ شَادِخٌ. طَيِّبُ الْعُنْصُرِ وَالْمَرْكَبِ، كَرِيمُ
الْمَنْصَبِ وَالْمُنْتَسَبِ. فلان كَرِيمُ الطَّرْفَيْنِ، شَرِيفُ الْجَانِبَيْنِ. قَدْ رَكَّبَ اللَّهُ
دَوْحَتَهُ فِي قَرَارَةِ الْمَجْدِ، وَغَرَسَ نَبْعَتَهُ فِي مَحَلِّ الْفَضْلِ. أَصْلُ شَرِيفٍ، وَعِرْقُ
كَرِيمٍ، وَمَغْرَسٌ عَظِيمٌ، وَمَغْرَزٌ صَمِيمٌ. الْمَجْدُ لِسَانُ أَوْصَافِهِ، وَالشَّرْفُ نَسَبُ
أَسْلَافِهِ. نَسَبٌ فَخْمٌ، وَشَرَفٌ ضَخْمٌ. يَسْتَوْفِي شَرَفُ الْأَرُومَةِ، بِكَرَمِ الْأَبْوَةِ
وَالْأُمُومَةِ. مَا أَتَتْهُ الْمَحَاسِنُ عَنْ كِلَالَةٍ، وَلَا ظَفَرَ بِالْهَدَى عَنْ ضَلَالَةٍ، بَلْ تَنَاولَ
الْمَجْدُ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ، وَأَخَذَ الْفَخْرَ بَيْنَ أَسْرَةٍ وَمَنَابِرٍ، وَآكْتَسَبَ الشَّرْفَ عَلَى
الْأَصَاغِرِ وَالْأَكَابِرِ.

ما يختص من ذلك بأبناء النبوة

استقى عِرْقُهُ مِنْ مَنَبَجِ النُّبُوَّةِ، وَرَضِيعَتُ شَجَرَتُهُ مِنْ ثَدْيِ الرِّسَالَةِ، وَتَهَدَّلَتْ
أَغْصَانُهُ عَنْ نَبْعَةِ الْإِمَامَةِ، وَتَبَجَّجَتْ أَطْرَافُهُ فِي عَرِصَةِ الشَّرَفِ وَالسِّيَادَةِ،
وَتَفَقَّاتَ بَيْضَتُهُ عَنْ سُلَالَةِ الطَّهَارَةِ. قَدْ جَذَبَ الْقُرْآنُ بَضْبِعَهُ، وَشَقَّ الْوَحْيُ عَنْ
بَصَرِهِ وَسَمْعَهُ، مَخْتَارًا مِنْ أَكْرَمِ الْمَنَاسِبِ. مُمْتَحَبٌ مِنْ أَشْرَفِ الْعَنَاصِرِ.

مرتضى من أعلى المحاتد. مؤثر من أعظم العشائر. قد ورث جامعاً عن جامع، وشهد له نداء الصوامع. هو من مضر في سويداء قلبها، ومن هاشم في سواد طرفها، ومن الرسالة في مهبط وحيها، ومن الإمامة في موقف عزها.

في المدح بجمع بين شرفي الأصل والنفس وفضلي الإنتساب والإكتساب
فلان ينزع إلى المحامد بنفس وعرق، ويحن إلى المكارم بوراة وخلق،
يتناسب أصله وفرعه، ويتناصف نجره وطبعه. هو أطيّب أصله وفرعه، الزكي
بذره وزرعه، يجمع إلى عزّ النصاب، مزية الآداب. لا غرو أن يجري الجواد
على عرقه، وتلوح مخايل أليث في شبلة، ويكون النحيب فرعاً مشيداً لأصله،
له مع نباهة شرفه، نزاهة ظلّفه، ومع كرم أرومته وجذمه، مزية أدبه وعلمه.
لن تخلف ثمرة غرس آرتيد له من المنابت أزكاها، ومن المغارس أطيّبا
وأغذاها، عصابة خيرة فضلها زاهرٌ وشرفها على شرف النماء. وشجرة طيبة
أصلها ثابت وفرعها في السماء. قد جمع شرف الأخلاق، إلى شرف الأعراق،
وكرم الآداب، إلى كرم الأنساب. له في المجد أول وآخر، وفي الفضل قديم
وحديث، وفي الكرم تليدٌ وطريف. ليس كل من شرف عرقه، شرف خلقه.
ولا كل عود طاب منجمه، طاب معجمه. لا غرو أن يغمر فضله وهو نجل
الصيد الأكارم، أو يغزر علمه وهو فيض البحور الخضارم. دوحة ضرب
عرقها وسمق فرعها، وطاب عودها، وأعتدل عمودها، وتفيأت ظلالها،
وتهدلت ثمارها، وتفرعت أغصانها، وبرد مقلها.

المجد والشرف والعلی

مجدٌ يلحظ الجوزاء من عال، ويطولُ النجوم كل مطال. شرفٌ تضع له
الأفلاكُ خدودها وجباهها، وتلثم النجوم أرضه أفواها وشفاهها. نسبُ
المجد به عريق، وروض الشرف به أنيق، ولسان الثناء بفضله نطوق. مجدٌ

يشير إليه النجم الثاقب، وشرفٌ تحفظ طرفيه المناقب. فلكُ المجد عليه يدور، ويدُّ العُلَى إليه تشير، يأنس ربيع المجد إذا استوحش من آستيلاء النقص، ويسكن إليه جأش الفضل. سما من المجد إلى رواسي الأعلام، حين رضي بمواطء الأقدام، محلّه سامق، ومجده باسق، وشرفه نجم طارق.

الجود والكرم

فلان رفیقُ الجود وخليله، وزميل الكرم ونزيله، وغرة الدّهر وتحجيله، مواهبه الأنواء، وصدره الدهناء. بحرٌ لا يظمأ واردُّ، ولا يُمْنَع بارده. غوْثُه موقوفٌ على اللّهيْف، وعونه مبدولٌ للضعيف. يطغى جوده على وجوده، وهمته على قدرته. يوجب الصّلات، كوجوب الصّلاة. بابه غيرُ مرتج، لكل مُرتج. ينابيع الجود تتفجر من أنامله، وربيع السّماح يضحك عن فواضله. هو أوحْدٌ في الكرم، وغُرةٌ في وجه العالم. هو الكرم أنشيء نفساً، وآلفضل تمثّل شخصاً. لو أن البحر مدّده، وآلسحاب يدّه، والجبال ذهبه، لقصرت عما يهبّه. إن طلبت كريماً في جوده، متّ قبل وجوده، أو ماجداً في أخلاقه. متّ ولم ألاقه، صدره بحر ووعدّه نذر، قد حكم الآمال في أمواله، واستعبد الأحرار بفعاله. يهتزُّ عند المكارم كالغصن، ويثبت عند الشدائد كالرُّكن. يدُّ حاتم كبنانه من شماله. لا يبلغ كعبٌ في الجود كعبه. له في كل مكرمة غُرة الأوضاح، وقادمة الجناح. كريمٌ ملُّ لباسه، موفق مر أنفاسه. صدره تضيق عنه الدهناء، وتفرّغ إليه الدهماء. لا مكارم إلا ما صدّر عن خلائقه، ولا مناجح إلا ما شيم من بوارقه. غمائم كرمه تفيض، ومآثر جوده تستفيض. يرى تحمل المغارم، من أعظم المغانم. مخلوقٌ من طينة كريمة، ومجبولٌ على أحسن شيمة. حوار العنان في ميدان المكارم.

الجمال وحسن الصورة

قمري التصوير، شَمْسِيُ التَّأثير. خلقة سوية صحيحة، وصورة مقبولة صبيحة. منظرٌ يملأُ العيون، ويملك النفوس. منظرٌ ما أحوجه إلى عيب يصرفُ عين كماله، عن جماله. طَلْعَةٌ يطلُّعُ منها النيران؛ ويسجدُ لها الثَّقَلان. مُبرِّقُ الغرة بالجمال، مُسفرُ الطلعة بتباشير الإقبال. للعيون في محاسن وجهه مرتع، وللأرواح بها مُستمتع. خَلَقَ وَضِي وَخَلَقَ رَضِي، وفضلُ مَضِي.

البشر والبشاشة

طَلْعَةٌ عليها للبشاشة ديباجة خُسْرَوانية، وفيها للطلاقة روضة ربيعية. غُرَّةٌ يجول فيها ماء الكرم، وتقرأُ منها صحيفة حسن الشيم. وَجْهٌ كَأَنَّ بَشَرَتَهُ قِشْرُ البُشْرِ، ومواجهته أمان من الدهر. فلانٌ يصل ببشره، قبل أن يصل ببره، ويحيي القلوب بلفائه، قبل أن يُميتَ أَلْفَقْرَ بعطائه. شَمِيتُ من وجهه بارقة المجد، ورأيت في بشره تباشير النجاح. قد لحظتُ من وجهه الأنوار، ومن بنائه الأنواء. أنا من كَرَمِ عِشْرَتِهِ، وطلاقة أَسْرَتِهِ، في رَوْضَةٍ وغدير، بل في جَنَّةٍ وحرير.

العلم والادب

هو بحرٌ من العلم ممدود بسبعة أبْحُرَ، ويومه في الأدب كعُمُر سبعة أنْسُر. العلمُ حَشْوُ ثِيَابِهِ، والأدبُ ملءُ إهابِهِ، هو شَخْصُ الأدب ماثلاً، ولسانُ العلم قائلًا. شجرةٌ فضل عودها أدب، وأغصانها علم، وثمرتها عقل، وعُروقتها شرف. تسقيها سماء الحرية، وتغذيها أرضُ المُرُوَّة. هم ملح الأرض إذا فَسَدَتْ، وعمارَةُ الدنيا إذا خَرِبَتْ، ومعرضُ الأَنَامِ إذا أَحْتَشَدَتْ. هم جَمالُ الأيام، وخواصُّ الأَنَامِ، وفُرسانُ الكلام، وفلاسفةُ الإسلام. فلانٌ

غُصْن طبعه نضير، وليس له بحمد الله نظير. قد جمع الحفظ الغزير، والفهم الصحيح، والآدب القوي القويم. ما يؤنسه عن الوحشة إلا الدفاتر، ولا تصحبه في الوجدة إلا المحابر. همه مهرة فكرة يستفيدها، وشروء من الكليم يصيدها. فلان يحل دقات الأشكال، ويزيل معترض الإشكال.

حسن الخلق

خُلِقَ لو مزج به البحر لنفى مُلوحته، وصفى كُدُورته. خُلِقَ كنسيم الأسحار، على صفحات الأنوار. خلق كالماء صفاء، والمस्क ذكاء. أخلاق قد جمعت المروءة أطرافها، وحرس الحرية أكنافها. أخلاق تجمع الأهواء المتفرقة على محبته، وتؤلف الآراء المتشتتة في مودته. أخلاق أعذب من ماء الغمام، وأحلى من ريق النحل، وأطيب من زمن الورد. أخلاق أحسن من الدُرِّ والعقيقان في نحر الحسنان، وأزكى من حركات الريح بين الورد والريحان.

الظرف واللباقة وحسن العشرة

فلان يستحط العُصم بظرفه، ويستنزل النجم بلطفه. ما هو إلا غذاء الحبرة، ونسيم العيش، وقوت النفس، ومادة الأنس، وشمامة الظرفاء، وريحانة الندماء. فلان حلو المذاق، عذب المساغ، أعلى الناس في جد وأحلام في هزل. يتصرف مع القلوب، كتصرف السحاب مع الجنوب. ذو جد كعلو الجد، وهزل كحديقة الورد. قد طابت عشرته إذ عاشته، ولانت قشرته، وواصلته فأستحسنته وصاله، وأحمدت خصاله. له عشرة ماؤها يقطر، وصحوها من الغضارة يمطر. هو ريحانة على القدح، وذريعة إلى الفرح. عشرته اللطف من ريح نسيم الشمال، على أديم الماء الزلال، وألصق بالقلب، من علائق الحب. إن أردت فهو سُبحة ناسك، أو أحبيت فهو تفاعلة

فائك، أو اقترحت فهو مدرعة راهب، أو أثرت فهو تحية شارب.

طيب الخبر

فلان أخباره ذكية، وآثاره زكية. أخباره تأتيها كما وشت بالمسك رياه، ونم على الصبح محياه. قد أنتشر من طيب أخباره ما زاد على المسك الفتيق، وأوفى على الزهر الأنيق. مناقب تشدخ في جبينها غرة الصباح، ويتهادى أنباءها وفود الرياح. فلان أخباره آثاره، وعينه فراره. قد حصل له من حميد الذكر، وجميل النشر، ما لا تزال الرواة تدرسه، والتواريخ تحرسه. سألت عن أخباره فكأنني خرجت المسك فتيقا، وصبحت الروض أنيقا. أحبيته بالخبر، قبل الأثر، وبالوصف، قبل الكشف. أخباره متضوعة كتضوع المسك الأذفر، ومشرقة إشراق الفجر الأنور. أخباره أرجة، وصفحاته بهجة.

حسن العهد وكرم الود

هو من يثقل ميزان وده، ويحصيف ميثاق عهده. فلان كريم العهد، صحيح العقد. سليم الصدر في الود، حميد الصدر فيه والورد. هو لإخوانه عدة يشدهم ويقويهم، ونور يسعى بين أيديهم. هو ثابت ركن الإخاء، صافي شرب الوفاء. حافظ على الغيب ما يحفظه على اللقاء. هو من لا تدور المداهنة في عرصات قلبه، ولا تحوم المواربة على جنبات صدره. فلان يسري إلى كرم العهد، في ضياء من الرشد. عهده نقش على صخر، ووده نسب ملان من فخر. يقبل من إخوانه العفو، كما يؤليهم من إحسانه الصفو. في وده غنى للطالب، وكفاية للراغب، ومراد للصحب، وزاد للركب. هو في حبل الوفاء حاطب، وعلى فرض الإخاء مواظب.

اصابة الرأي

النجح معقود بنواصي آرائه، واليمن معتاد في مذاهب أنحائه. له الرأي الثاقب الذي تخفى مكائده، وتظهر عوائده، والتدبير أنافذ الذي تنجح

مبادئه، وتبهج تواليه. رأي كآلسهم أصاب غرة الهدف، ودهاء كآلبحر في بُعد الغور وقرب المغترف. لا يضع رأيه إلا مواضع الإصابة، ولا يصرف تدبيره إلا إلى مواقع السداد والأصالة. له فكر عميق، ورأي وثيق. يعرف من مبادئ الأفعال، خواتم الأعمال، ومن صدور الأمور، أعجاز ما في الصدور. رأيته رأي طيب، وبديته قدر مصيب. يسافر رأيه وهو دان لم ينزح، ويسير تدبيره وهو ثاو لم يبرح. له رأي لا يخطيء شاكلة الصواب، ولا يخشى عليه بادرة العثار. فلان يُخمر الرأي ويُجيله، ويُجيد الفكر ويطنيله، حتى يحصل على لب الصواب ومحض الرأي. إذا أذكى سراج الفكر أضاء الظلام. هو قطب الصواب تدور به الأمور، ومستنبط صلاح يرد إليه التدبير، يرى العواقب في مرآة عقله، وبصيرة ذكائه وفضله. رأي يرد الأسيف مثلما، والرُمح مُقلما. آراؤه سكاكين في مفاصل الخطوب. له رأي لا تغيب كواكبه. رأي طيب دآء المملكة. رأي منير، وللأعداء مُبِير. كأنه ينظر إلى الغيب من وراء ستر رقيق، ويطالعه بعين الإلهام والتوفيق. فلان يرى بأول رأي آخر الأمر، وأصاب شاكلة الصواب في رأي محضه، وتدبير مَحْضه. عجباً لرأيه الذي يستنبط دَفائن القلوب، ويستخرج ودائع الغيوب. قد سرينا من مشورته في ضياء ساطع، ومن رأي الصواب في حكم قاطع.

التجربة والحكمة

قد وضعت كثرة التجارب في يده مرآة العواقب. قد نجدته مصارف الدهور، وحنكته مصائر الأمور. قد أرضعته الحنكة بابانها، وأدبته الدربة في إبانها. فلان بازل، التجارب حنكته، والآيام عركته. لا تكاد الآيام تريه من أفعاله عجيبا، أو تسمعه من أحواله غريبا. فلان عارف بتدبير الزمان، عالم بتصاريف الآيام. آخذ ببرهان التبريز، نافذ في مجال التحصيل والتمييز. قد صحب الآيام، وتولى النقض والإبرام. هو آبن الدهر حنكة وتجريبا، وعوداً

على الغمز صليباً. قد أدبته الليل والنهار، ودارت على رأسه الادوار، واختلفت به الأطوار. قد آرتضع أفويق الزمان وحلب أخلاف الليالي والأيام. قد ركب ظهري البر والبحر. ولقى وفدي الخير والشر، وصافح صفحتي النفع والضر، وبلا طعمي الحلو والمر، ورضع ضرعي العرف والنكر، وضرب إبطي العسر واليسر.

في الهمة العالية

له همة على هامة النجم. فلان رفيع مناط الهمة. فسيح مجال الفضل. له همة تعزل السيماك الأعزل سُموا، وتجر ذيلها على المجرة علوا. همة حلق جناحها إلى عنان النجم، وامتد صباحها من شرق إلى غرب. لا يتعاضمه أنتراف البحر إذا أخطره بفكره، ولا أنتساف الصخر إذا ألقاه في وهمه. همته أبعد من مناط الفرقد، وأعلى من منكب الجوزاء، وأوسع من الأرض، ذات العرض.

الشهامة والنفاذ والجِد والجَلادة

فلان حي القلب، مُنشرح الصدر. ذكي الذهن، سجاج الطبع. ليس بالنوم، ولا السؤوم. فذ فرد، وأسد ورد. كأن له في كل جارحة قلبا، كأن قلبه عين، وكأن حسه سمع. شهاب مقدم، وقذح مقوم مشدود النطاق، قائم على ساق. لا يجف ليد، ولا يستريح قلمه، ولا تسكن حركته. قد جد وأجتهد، وحشر وحشد. شمر عن ساق الجد ما أطاق، وشد له النطاق. قد ركب الصعب والذللول، وتجشم الحزون والشهول، وقطع البر والبحر، وأعمل السيف والرُمح، وأسرج الدهم والشهب.

التقى والزهد

فلان عَذِبُ المشرب، عَفُ الْمَطْلَب. نَقِي السَّاحَةِ مِنَ المَائِم، بريء الذِّمَّة من الجرائم. إذا رضي لم يَقُلْ غير الصدق، وإن سَخِطَ لم يتجاوز جانب الحق. يتبع أَفْضَلَ الطَّرْق، وأرشد الخُلُق. يرجع إلى نفس أَمارة بالخير، بعيدة من الشر، مدلولة على سُبُل البر. أَعْرَضَ عن زِبْرِج الدُّنْيَا وخُدْعِهَا، وأَقْبَلَ عَلَى اكْتِسَابِ نِعَمِ الْآخَرَى ومُتْعِهَا. كَفَّ عن زُخْرِفِ الدُّنْيَا ونُضْرَتِهَا، وَغَضَّ طرفه عن مَتَاعِهَا وزَهْرَتِهَا، وأَعْرَضَ عنها وقد عَرَضَتْ لَهُ بَزِيَّتِهَا، وَصَدَّ عنها وقد تَصَدَّتْ لَهُ فِي حَلِيَّتِهَا. فلانٌ لَيْسَ مِمَّنْ يَقِفُ فِي ظِلِّ الطَّمْعِ، فَيُسْفَ إلى حَضِيضِ التَّضَع. نَقِي جَبِيْهِ، وَسَلِمَ غِيْبِهِ، وَلَمْ يَدْنُسْ ذِيْلَهُ، وَأَسْتَوَى فِي الزَّاهَةِ نَهَارُهُ وَلَيْلُهُ. فلانٌ جَلِي الصَّفْحَةِ، نَقِي الصَّحِيفَةِ، عَفُ الْإِزَارِ، طَاهِرٌ مِنَ الْأَوْزَارِ. قد عاد لإِصْلَاحِ الْمَعَادِ، بِإِعْدَادِ الزَّادِ. اعْتَزَلَ الدُّنْيَا وَأَفْرَجَ عَنْ كُلِّ مَا زَادَ عَلَى الزَّادِ الْمَبْلَغِ، وَالْقَوْتَ الْمَقْنَعِ.

الكمال والانفراد عن النظراء

فلانٌ مُؤَلَّوِدٌ فِي طَالِعِ الْكَمَالِ، وَهُوَ جُمْلَةُ الْجَمَالِ. قد أَصْبَحَ عَيْنَ الْكَمَالِ، وَصُبْحَ الْمُحَافَلِ، وَزَيْنَ الْمُحَاضِرِ وَالْمَجَالِسِ. فَرِيدَ دَهْرِهِ، وَشَمْسَ عَصْرِهِ، وَزَيْنَةَ مِصْرِهِ. فلانٌ عَلِمَ الْفَضْلَ، وَوَاسَطَةُ قِلَادَةِ الدَّهْرِ، وَنَادِرَةُ الْفَلَكَ، وَنَكْتَةُ الدُّنْيَا، وَغُرَّةُ الْعَصْرِ. قد بَايَعَتْهُ يَدُ الْمَجْدِ، وَمَالَتْ فِيهِ الشُّورَى إِلَى النَّصِّ. كَيْفَ يُدْمُ زَمَانٌ هُوَ عَيْنُهُ الْبَصِيرَةُ، وَلَمَعَتُهُ الثَّاقِبَةُ الْمَنِيرَةُ.

التفضيل والترجيح

فلانٌ يَزِيدُ عَلَيْهِمْ زِيَادَةَ الشَّمْسِ عَلَى الْبَدْرِ، وَالْبَحْرَ عَلَى الْقَصْرِ. هُوَ رَأِشُ نَبْلِهِمْ، وَبَقِيَّةُ فَضْلِهِمْ. وَجَمَّةُ وَرْدِهِمْ، وَوَاسِطَةُ عِقْدِهِمْ. هُوَ صُدْرُهُمْ وَبَدْرُهُمْ، وَمَنْ عَلَيْهِ يَدُورُ أَمْرُهُمْ. يُنِيفُ عَلَيْهِمْ إِنْافَةَ صَفْحَةِ الشَّمْسِ عَلَى كُرَّةِ

الأرض، كأنهم فلَكٌ هو قطبه، وجسَدٌ هو قلبه، ومملوكٌ هو رَبُّه. هو مشهورٌ بسيادتهم، وواسطة قلاذتهم. هو بيتُ القصيدة، وأوّلُ الجريدة، وعينُ الكتيبة، وواسطة القلادة، وإنسانُ الحَديقة، ودُرّةُ التّاج، ونقشُ ألفصّ. موضِعُه من أهل الفصل، موضِعُ الواسطة من العقْد، وليلِ التّم من الشهر، كلاً بل ليلة القدر إلى مطلع الفجر.

ما يليق ببعض هذه المدائح
من حكاية أفعال المحسنين، وحُسن آثار المنعمين
والألفاظ التي تقع في الشكر، ونشر البرّ
ذكر الافضال والانعام والاحسان والاصطناع

أفضل وأنعم، وأسدى في الإحسان والحم، وأسرج في الإكرام والجم. قسم له من إحسانه ما يسع أمما، ويلقي السعادة أمما. أهدي إليه من كرائم البر ما لا يساق مهوَرُه إلا من كرائم النفوس ومخايل الصدور. أعطاه عنان الاهتمام، حتى آستولى على قصب المرام. ردّ عنه الدّهر أحصّ الجناح، وملّكه مقادة النّجاح. أولاه من معهود البر ومألوفه، ما يُربى على مثيه وألوفه. أولاه إسعافاً سَمحاً، وعطاءً سَحاً، ومنناً صفواً، وعَفواً عفواً. أفاض عليه شعاب البر ومساليه، وجمع له شُعب الجميل وقبائله. هطلت عليه سحائب عنايته، ورَفَرَتْ حوله أجنحة رعايته، قد فكّه بكرمه من قيد السّؤال، ومَعَرَة الاختلال. راشه بعد ما حصه الفَقْر، وأرضاه وقد أسخطه الدّهر، وربما نمنا أملاء الجفون، وسهر دوننا لتحقيق الظنون. قد شِمِت من كرمه أصدق سَحَاب، وحصلت من إنعامه في أخصب جناب. قد سدّ ثلّمة حالي، وأدر خلوبة مالي.

حسن آثار المنعم

ما أدخل من طَلّ إحسانه ووابله، وعام إنعامه وقابله. قد آستمطرت بنوء

غزير، وسريت منه في ضو قمر مُنير. لم يرض بأول آلُسقيا حتى أتى
الآنسكاب بعد آلقطر، وطَلَعَت الشمسُ في أعقاب الفجر. قد كَرَعْتُ من بره
في مشارع تَغْزُر، ولا تَنْزُر، ورَفَلت من طوله في ملابس تطول ولا تقصر. أنا
منه في ظلٍ ظليل، وفضلٍ جزيل، وريحٍ بليل، ونسيمٍ عليل، وماءٍ روي،
ومهادٍ وطِيٍّ، وكَنّ كنين، ومكان مكين. أنا آوي إلى ظله كما يَأوي الصيْدُ
إلى الحرم، وأواجه منه وجه المجد وصورة الكرم. انا من إنعامه بين خيرِ
مستفيض، وجاهٍ عريض، ونعمٍ بيض. قد استظهرت على جور الأيام
بعدله، واستترت من دهري بظله. جميعُ ما أُرَدِد فيه طرفي وأَعِدُّه من خاص
ملكي مُتَنَسِبُ إلى عطائه، أو مكتسبٌ بجميل رأيه. مسافةٌ بصري تبعدُ إن
سافرتُ بها في مواهبه، وركائبُ فكري تَطْلُحُ إن أنصيتها في استقراء
صنائه. جمالي مقرونٌ بجماله، وحالي قطعةٌ من حاله.

وصف النعم

نِعْمَةٌ عَمَّتْ الأُمم، وسبقت النعم، وكشفت الهموم ورفعت ألهمم. نِعْمَةٌ
قد سطع صباحها مُستنيرا، وطنّب شعاعها مُستطيرا. قد غرقتني نعمه حتى
استنفدت شكر لساني ويدي وأثقلت ظهري، وتملأت صدري. نِعْمَةٌ عندي
مُشرقةٌ آلجو، مُغدقةٌ ألنو، نُيرةٌ ألضوء. تتابعت نِعْمه تتابع آلَقَطَر، على البلد
آلفقر، وترادفت منه ترادف ألغنى إلى ذي الفقر. نِعْمَةٌ أشرقت لها أرضي،
ومُطرٌ بها روضي، ووري بها زندي، وعلا معها جدّي، وأتاني الزمان يعتذر
من إساءته بي، وجآءني الدهر ينتظر أمري. نِعْمَةٌ أنعمت البال، وقوت النفس
وآلحال. نِعْمَةٌ تَعْمُ عموم المطر، وتزيد عليه بإفراد النفع والضرر. نِعْمٌ
تَضَعُفُ الخواطر عن آلتماحها، وتَصْغُرُ القرائح عن اقتراحها.

وصف الأيادي والمنن

له مع كلِّ صباحٍ يدٌ كالصباح أو اشدُّ وضوحاً، وكآلنهار أو أصدق ظهوراً.

قد عمت الآفاق، ووسمت الأعناق. أيادٍ قد حبست الشكر وأستعبدت لك
الحر. مننٌ توالى توالي القطر، وآتسعت سعة البحر، وأثقلت كاهل العبد
والحر. عندي قلادةٌ منتظمةٌ قد جعلتها وقفاً على نحور الأيام وجلوتها على
أبصار الأنام. أيادٍ يقصُر عن عفوها جهْدُ القول، وتزهر بينها سواطع الإنعام
والطول. أياديه أطواقٌ في أجساد الأحرار، وأفلاكٌ تدور على ذوي الأخطار. مننٌ
تضعفُ حملها عواتق الاطواد، ويتضاعف حملها على السبع الشداد. لو تحمّل
الثقلان، ثقل هذا الامتنان، لأثقل كواهلهم وأضعف عواتقهم. أيادٍ يفرض
الشكر لها ويحتّم، ويفتح الذكر بها ويحتّم. أيادٍ تثقل الكاهل، ومننٌ تتعب
الأنامل. مننٌ تضعف متن الشكر، وتُنشَر معها قوى النشر. مننٌ هي أحسن
أثراً من الغيث في ازاهير الربيع، وأحلى موقعاً من الأمن عند الخائف المروع.

ذكر وفورها وكثرتها

مننٌ لا تُحصى، أو تحصى الحصى، إذا اطمعت نفسي في تعداد مننه
وحصرها، فأطمعتها في إحصاء السحاب وقطرها. أيادٍ لا تحصى حتى تحصى
محاسن النجوم، ومننٌ لا تحصر أو تحصر قطارات الغيوم، وذلك مُعوّز عمر
النسور، باقٍ إلى يوم النشور. أياد كعدد الرمل والنمل أعيت على العد، ولم تقف
على حدّ. زادت أياديه حتى كادت تجهد الإعتداد. وتسبق الأعداد أياديه عندي
أغزر من قطر المطر، وعوارفه أسرع من لمح البصر.

التشريف والتنويه

رفعه من قعر التراب، إلى سمك السحاب. استنبطه من حضيض الدّلة،
وأنهضه من محط الدناءة والضيعة. جذب بضبعه من أخس مطارح الأتباع،
وأخفض منازل الرّعاع، إلى أعلى المنازل، وأرفع المراتب. استنبطه من
الحضيض الأوهده، إلى البناء الأجمد. قد نبهه عن خمول، وأجرى الماء في عوده

بعد ذُبول. رقاہ إلى ذروة من المجد تَزَلْ أقدام النجوم لو وطئتها، وتقصّر همم
الأفلاك إن طلبتها. ثبت قدمه في المحل المنيف، ومكنه من جوامع التشريف.
جذب بضبعه من المسقط المنحط، إلى المرفع المشتط. رفع خسيسته، وجبر
نقيضته.

ذكر الشكر

الشكر ترجمان النية، ولسان الطوية، وشاهد الإخلاص، وعنوان
الاختصاص. الشكر نسيم النعم، وهو السبب إلى الزيادة، والطريق إلى
السعادة. الشكر قيد النعمة، ومفتاح المزيد، وثمر الجنة. من شكر قليلا
استحقّ جزيلا. شكر المولى، هو الأولى. أشكر لمن أنعم عليك، وأنعم على من
شكرك. الشكر قيد النعم وشكالها وعقالها، وهي مشبهة بالوحش التي لا تقيم
مع الإيحاء، ولا تريم مع الإيناس. موقع الشكر من النعمة موقع القرى من
الضيف، إن وجدته لم يرم، وإن فقدته لم يقم. الشكر غرس إذا اودع سمع
الكریم أثمر الزيادة، وحفظ العادة، الشاكر يعرض المزيد البالغ والنعم
السابع.

العجز عن الشكر لتكاثر الانعام والبر

عندي من يده ما ملك أاعتدأد أزمته، وقبض أمراء الكلام وأثمتته. عندي
له مَبَارٌ أعجزني شكرها، كما أعوزني حصرها. شكره شأؤ بعيد لا تبلغه
أشواطى، ولا أتلأفي ألتفريط في حقه بإفراطى. إحسانه يعيد العرب عجباً،
والفصحاء بكماً. إذا سلم المرء مُقرأً بالعجز فقد خرج عن تبعّة التقصير،
وبرىء من عهدة المعاذير. قد زحمني من مكارمه ما يحصر ألبين، ويصحبه
العجز وبس القرين، عندي من إنعامه، وخاصّ بره وعامه. ما يستغرق منه
الشكر، ويستنفد قوة النشر. لو أستعرت آلدهر لسانا، وآتخذت الرّيح ترجماناً،
لُشيعا شكر إنعامه حقّ الإشاعة، لقصرت بهما يدُ الاستطاعة.

حسن الافصاح عن الشكر والثناء

شكره شكرَ الأسير لمن أطلقه، والمملوك لمن أعتقه. شكره شكرَ البَلَدِ الْقَفْرِ، لألمامة القطر. أثنى عليه ثناء الرّوض الممحل، عَلَى الغيث المسبل. أثنى عليه ثناء لسان الزّهر، عَلَى راحة المطر. أثنى عليه ثناء آلعطشان الوارد، عَلَى الزُّلال البارد. شكره شُكر الرّوض للديّم، وزهير لهرم. بسط لسان الثناء والدعاء، وبلغ عِنان الشكر عنان آسماء. شكراً ترتاح له المكارم، وتهتزُّ له المواسم. لأشكره شكراً تتسع أنواعه، وتنسبط أبواعه، ويلدُّ ذكره وسّماعه. شكرٌ مِلُّ القلب واللسان، وكشكر حَسَن لال غَسَّان. أطال عِنان الشكر وفسح مجاله، ورفع أعمدته، ومدَّ أروقته. شكرٌ كأنفاس الأحباب أو أنفاس الأسحار، بل أنفاس الرياض غب الأمطار. فلانٌ يتلو فضائلك تلاوة القرآن، ويسرُّد محامدك سرد الفرقان.

دلالة الحال على ما وراءها

لو سكت الشاكر، لنطقت المآثر، ولو صمت المخاطب، لأثنت الحقائق. لقد شهدت شواهد حاله، عَلَى صدق مقاله، أما تفضله فقد نطقت به جوارحي، ولو سكتُ لأثنت حقايبى، لئن جحدت ما أولانيه، وكندتُ ما أعطانيه، نطقت آثاره أياديه علىّ، ولعت أعلام عوارفه لدي. جوارحي انطق بالشكر من السنة خطباء إياد، وشعرآء مُراد.

أدعية تليق بهذه الاحوال بهذا الباب

أطال الله له البقاء، كطول يده بالعطاء، ومدَّ له في العمر، كامتداد ظلّه عَلَى الحرّ. أدام الله له المواهب، كما أفاض به الرّغائب، وحرس لديه الفواضل، كما عوَّذ به البرّ الشامل. تولى الله عني مكافاته، وأعان عَلَى الخيز نياته، وأصبح بقاءه عزاً ييسط يديه لأوليائه، وَعَلَى أعدائه، وكَلَّاه تذبّ عن ود ائع مِنْته

عنده، وزاد في نِعَمِهِ وإن عظمت، وبلغه آماله وإن انفسحت. لا زال الفضل يأوي منه إلى رُكنٍ منيع، وجناب مريع. لا زالت أَلْسُنُ عليه بالثناء ناطقة، وأَلْقُلُوبٌ على مودته متطابقة، والشهادات له بالفضل متناسقة. لا زال يعطف على الصادر والوارد، عطف العم والوالد. أبقاه الله للجميل يُعَلِّي معالمة، ويُحْيِي مكارمَهُ، ويعمر مدارجه، ويثمر نتائجه. أدام الله أيامه التي هي أيام الفضائل ومواقيتها، وأزمان المآثر وتواريخها. أدام الله له المواهب، سامية الذوائب. مُوفيةً على مُنيةٍ الراجي وبُغية الطالب. أبقاه الله للعطاء يفرضه بين خدمه، والجمال يفرضه على إنشاء نعمه. والله يتابع له أيام العلاء والغبطة، والنماء والبسطة، لترتع انواع الخدم في رياض مواهبه، وتكرع أصناف الحشم في حياض فواضله، والله يبقية طويل الذراع، مديد الباع، مَلِيًّا بالإفضال وألاصطناع. جزاه الله عن نعمةٍ هناها، بعد أن أسبغها، وعارفةٍ ملاها، بعد أن سوغها. أفضل ما جُزي به مبتدي إحسان، ومُحيي إنسان. لا زال مكانه معاناً للنعم لا تريمه المواهب، ولا ترومه النوائب. بسط الله بِالْعُلَاء يده، وقرن بالسعادة جده، وجعل خير يوميه غَدَهُ، ولا زالت الأيام والليالي مطاياهُ إلى أمانيه وآماله، وصرف الله صروف الغير عن إصابة إقباله وكماله.

آخر كتاب المدائح والأثنية، والله الحمد والمنة

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب المساوىء والمقابح

وما يدانيها

اللؤم والخسة

فلانٌ عُصارة لؤم، في قرارة خُبث. ألامٌ مُهَجَّة، في أسقط جُثَّة. حديثُ النعمة، خبيثُ الطُّعْمَةِ. هو كالكَمأة لا أصل ثابت، ولا فرعُ نابت، فلانٌ خبيثُ المركب، لثيْمُ المكتسب. يكاد من لؤمه يُعدي من جلس إلى جنبه، أو تَسْمى بِأَسْمِهِ. فلانٌ قد أَرَضَعَ بِلَبانِ اللؤم، ورُبِّي في حجر الشر والشؤم، وفُطِمَ عن ثديِ الخير، ونشأ في عَرِصَةِ الخُبث. قد طُلِقَ الكرم ثلاثاً ولم ينطق فيه استثناء، واعتقَ المجد بتاتاً لم يستوجب عليه ولاء. فلانٌ أتى من اللؤم بنادر لم تهتد له فطنة مادر. فلانٌ قصيرُ الشُّبر، صغيرُ القُدْر، قاصرُ القُدْر، ضيقُ الصُدْر. لو قذفَ الليلُ بلُومه، لطمسَ أنوارَ نجومه رُدَّ إلى قيمة مثله في خُبث أصله وفرط جهله. فلانٌ لا أَمْسَ ليومه، ولا قديم لقومه.

في البخل

سائله محروم، وماله مكتوم. لا يَجِيزُ إنفاقه، ولا يَحِلُّ خناقه. خُبْزُه كالأروى يُسمع بها ولا تُرى. خُبْزُه في حائق، وأدمه في ساهق. غناه فقر، ومطبخه قفر. يملأُ بطنه وأجار جائع، ويحفظ ماله والعرض ضائع. قد أطاع سلطان البخل بجهده، وأنخرط كيف شاء في سلكه. فلانٌ لا يبض حجره، ولا يُثمر شجره.

ما هو إلا حجرٌ لا يُروى، وزندٌ لا يوري. فلانٌ لا يجلب إلا من ضرع بكى،
ولا يسقى إلا من أنضب رُكي. قد جعل ميزانه وكيله، وأسنانه أكيله، وكيسه،
أنيسه، ورغيفه، أليفه، ويمينه، أمينه، ودرهمه شقيقه، ومفتاحه رفيقه، وخاتمه،
خادمه، وصناديقه، صديقه.

القبح والدمامة والحقارة

وجهٌ كهؤل المطلع، وزوال النعمة، وقضاء السوء، وموت الفجأة، ما هو إلا
قذى العين، وشجى الصدر، وأذى القلب، ونهى الروح. وجهٌ كأنه تبرقع
بألخنادس، وأكتسى قشور ألخنافس. كأن النحس تطلع من جبهته، وأخل
يقطر من وجنته. وجهٌ مسترق بالحسن، مُنتقبٌ بالقبح. وجهه طلعة ألهجر،
ولفظه قطع الصخر. وجهه يشق على العين، وكلامه لا يسوغ في الأذنين. وجهٌ
كحضور الغريم وحصول الرقيب، وكتاب العزل وفراق الحبيب. خلقة
الشيطان، وعقل الصبيان. قد لا يزيد فيه القيام. يبدق الشطرنج في القيمة
وآلقامة. له من الدينار قصره، ومن الورد صفرته، ومن السحاب ظلمته، ومن
الأسد نكهته.

الثقل والبغض والبرد

فلانٌ ثقیلٌ أطلعة، بغیضٌ ألتفصیل وألجملة. باردٌ ألسكون والحركة، قد
خرج عن حدّ الاعتدال، وذهب ذات اليمين وذات الشمال، يحكي ثقل
الحديث العاد، ويمشي على العيون والأكباد. لا أدري كيف لم تحمل الأمانة
أرض حَمَلته، وكيف اجتاحت إلى ألجبال بعد ما أقلته. كأن وجهه أيام
المصائب، وليالي ألنوائب، وكأنما قربه فقد ألجائب، وسوء ألعواقب،
وكانما وصله عدم ألحياة، وموت ألَفجأة، وكانما هجره قوت ألمنة، وريح

الجنة. يا عجبني من جسم كَالْخَيَال، وروح كَالجبال، كأنه يُقَلِّدُ الدِّين، عَلَى وَجَع العَيْن. مَا الْحِمَام عَلَى الْإِصْرَار، وَمُواصلة الصَّوم فِي الْأَسْفَار، وَحُلُولُ الدِّين عَلَى الْإِقْتَار، بِأَثْقَلِ مِنْ لِقَاءِ فُلَان. هُوَ ثَقِيلُ السَّكُونِ بِغِيضِ الْحَرَكَةِ، كَثِيرُ الشُّومِ قَلِيلُ الْبَرَكَةِ. هُوَ بَيْنَ الْجَفْنِ وَالْعَيْنِ قَذَاةً، وَبَيْنَ النَّعْلِ وَالْأَخْمَصِ حَصَاةً. مَا هُوَ إِلَّا غَدَاةُ الْفِرَاقِ، وَكِتَابُ الطَّلَاقِ، وَمَوْتَ الْحَبِيبِ، وَطُلُوعِ الْرَقِيبِ. مَا هُوَ إِلَّا الْأَرْبَعَاءُ الْآخِرَاءُ فِي الصَّفْرِ، وَالْكَابُوسُ فِي وَقْتِ السَّحْرِ. هُوَ أَثْقَلُ مِنْ خَرَاكِ بِلَا غَلَّةٍ، وَدَوَائِي بِلَا عِلَّةٍ، وَأَبْغَضُ مِنْ مَثَلِ غَيْرِ سَائِرٍ، وَأَبْرَدُ مِنْ خَشِيفٍ عَلَى خَيْشُومِ مِيزَابٍ، وَأَجْمَعُ لِلْعُيُوبِ مِنْ بَغْلِ أَبِي دُلَامَةِ، وَحِمَارِ طَيَّابٍ، وَطَيْلِسَانَ أَبْنِ حَرْبِ*.

البحر وترك التنظف

لَا يُدْرِي أَفْسًا أَمْ تَنْفَسًا، وَأَحْدَثُ أَمْ حَدَّثُ. مَدْخُلُ أَكْلِهِ أَخْبَثُ مِنْ مَخْرَجِ نُقْلِهِ. لَا فَرْقَ بَيْنَ مَجْشَاهُ، وَمُفْسَاهُ، أَنْتَنُ مِنْ هُذْهِدٍ مَيِّتٍ مَكْفَنٍ، فِي جَوْرَبٍ عَفْنٍ. مَالِي أَرَى الْآبَاطَ حَاشِنَةً، وَالْآنَافَ مُعْشَبَةً، وَالْعُيُونَ مَنْوَرَةً، وَالْأَزْوَارَ مَرْعَى، وَالْأَظْفَارَ جِمَى، وَاللَّحَى لُبُودًا، وَالْأَسْنَانَ خُضْرًا وَسُودًا.

الجهل والخرق والسخف

جَهْلٌ كَثِيفٌ، وَعَقْلٌ سَخِيفٌ، قَالِبُ جَهْلٍ مُسْتَوِرٍ بِثُوبٍ. فُلَانٌ جَاهِلٌ لَا يُمَيِّزُ، وَأَهْوَجٌ لَا يَتَحَرَّزُ، أَخْرَقُ مُتَخَلِّفٌ، أَهْوَجُ مُتَعَجِّفٌ. لَا يَسْتَرُ مِنَ الْعَقْلِ بِسَجْفٍ، وَلَا يَشْتَمِلُ إِلَّا عَلَى سُخْفٍ. يَمُدُّ يَدَ الْمُجُونِ فَيَعْرُكُ بِهَا أُذُنَ الْحَزَمِ، وَيَفْتَحُ جِرَابَ السُّخْفِ فَيَصْفَعُ بِهَا قَفَا الْعَقْلِ. لَا تَزَالُ الْأَخْبَارُ تَوْرِدُ سَفَاتِجَ جَهْلِهِ وَخُرْقِهِ، وَالْأَنْبَاءُ تَنْقُلُ نَتَائِجَ سُخْفِهِ وَحُمَقِهِ، قَدْ ظَلَّ يَتَعَثَّرُ فِي فَضُولِ جَهْلِهِ، وَيَتَسَاوَقُ فِي دُيُولِ خُرْقِهِ. قَدْ أَتَى مَا دَلَّ عَلَى خُرْقِهِ، وَرَكَكَاهُ خُلْقُهُ.

الخسة مع الثروة والإقتصار من الانعام والافضال على التمتع والتجمل

وجمع المال وترك التطول

فلان سمينُ آمال، مهزولُ النوال. عظيمُ الرواق، صغيرُ الأخلاق. يصونُ فلسه، ويبدلُ نفسه. الدهر يرفعه، ونفسه تضعه. ثروة في الثريا، وهمّة في الثري. لا يكّدح إلا لتطيب الطّعم، وتنعيم الجسم، ثم يرى المكارم، من المحارم. قد وفرّ همّه على مطعم يُجوده، وملبس يُجده، ومَرَقَد يمهده، وبُنيان يُشّيده، ثم يُنْجده، فما يُشد للمكارم رَحلاً، ولا يحمل للفضل كَلاً، همّه أن يتشبع ويتضلع، ويكتسي ويتمشّق، ويتجلّل ويتبرّع، ويترفع ويترفّع، وقصاراه أن ينصبّ تخته، ويوطىء آسته دَسته، وحسبه من الشرف أن يُصهرج أرضها، ويزبرج بعضها، ويكفيه من الكرم أن تعدو الحاشية أمامه، وتحمل الغاشية قدامه، ويجزيه من الفضل ألفاظُ فقاعية، ووثياب مشقاعية. يلبسها ملوماً، ويحشوها لوماً. ما اتسعت دُورهم، إلا ضاقت صدورهم، ولا أوقدت نارهم، إلا انطفأ نورهم، ولا هملجت عتاقهم، إلا قطفت أخلاقهم، ولا صلحت أحوالهم، إلا فسدت أفعالهم، ولا كثر مالهم، إلا قلّ جمالهم.

القلة والدلة

ريخٌ صيف، وطارقٌ طيف. فوته غنيمة، وأظفرُ به هزيمة. هو العودُ المركوب، والزند المضروب، يطأه الخفُّ والحافر، ويستضيئه الوارِدُ والصادر. هو كالعصفور إن تركته فات، وإن قبضت عليه مات. يغمض عن الذكر، ويصغر عن الفكر. ذلة لا تُوسمُ أغفالها، وضعة لا تنفِرُ أفعالها. نهزة الطالب، وفرصة المغالب، وعرضة القاذف والحاذف. أقل من تنبه، في

لبنة، ومن قُلامة، في قُمامة.

خبث الطوية ومخالفة الباطن للظاهر

قَلْبٌ نَغِلٌ، وصَدْرٌ دَغِلٌ. طويةٌ معلولة، وعقيدةٌ مدخولة. ظاهرٌ يُسرُّ النَّاطِرَ، وباطنٌ يسو الخابر. صديقُ الْعِيَانِ، عدُوُّ الْمَغِيبِ. ما أَكْذَبَ سَرَابَ اخِلاقِهِ، وأكثرَ أَسْرَابَ نِفَاقِهِ. صَفْوَهُ رَنَقٌ، وَبَرُّهُ مَلَقٌ، وَوَدُّهُ مَذَقٌ. هو لابسٌ مِنَ الْغِشِّ ثوباً لا يَنْضَوُهُ، ولازمٌ مِنَ الْفَعْلِ سَمْتاً لا يَعْودُهُ، يَنْتَهِزُ الْفُرْصَةَ كَيْفَ يَنْشُرُ أَجْنَحَةَ الْإِحْتِيَالِ، وَكَيْفَ يُعْمَلُ أَسْلِحَةُ الْإِغْتِيَالِ. يَدِبُ الْخَمْرُ، وَيَمْشِي الْضُرَاءُ، وَيُسَرُّ حَسَواً فِي أَرْتِغَاءٍ. قَدْ مَلِءَ قَلْبُهُ رِيناً، وَشُحِنَ صَدْرُهُ مِيناً. خَبِيثُ النِّيَّةِ، فَاسِدُ الطَّوِيَةِ، مَقْلَبُ لِسَانِ الْمَلُوقِ، سَاثِرٌ بِالتَّخْلِيقِ وَجْهَ الْخُلُقِ. عِنْدَ الرِّجَاءِ مَوْجُودٌ، عِنْدَ الْبَلَاءِ مَفْقُودٌ. يَمْشِي الضُّرَاءُ فِي الْغِيلَةِ، وَيَتَنَفَّقُ بِالْإِنْفَاقِ وَالْحِيلَةِ. يَبْتُ حَبَائِلُ الزُّورِ، وَيَنْصَبُ أَشْرَاكُ الْغُرُورِ، وَيَدْعِي ضُرُوبُ الْبَاطِلِ، وَيَتَحَلَّى بِمَا هُوَ مِنْهُ عَاطِلٌ. يَدْعِي الْفَضْلُ وَهُوَ فِيهِ دَعِي. يُبْدِي وَجْهَ الْمَطَابِقِ الْمَوَافِقِ، وَيَخْفِي نَظَرَ الْمَسَارِقِ الْمَنَافِقِ. دَابَهُ بَثُّ الْخُدَائِعِ، وَالنَّفْثُ فِي عُقْدِ الْمَكَارِهِ وَالْمَكَايِدِ. ضَمِيرُهُ خُبْتُ، وَيَمِينُهُ جُنْتُ وَعَهْدُهُ نَكْتُ.

ما يختص من هذا الباب بالمراثين من الفقهاء والعدول والقضاة

بَيَّضَ لَحِيَّتَهُ لِيُسَوِّدَ صَحِيفَتَهُ، وَأَظْهَرَ وَرْعَهُ، لِيَخْفِيَ طَمَعَهُ، وَقَصَّرَ سَبَالَهُ لِيَطِيلَ يَدَهُ، وَتَغَشَّى مِحْرَابَهُ، لِيَمْلَأَ جَرَابَهُ. مَا ظَنَنْتُكَ بِذُنَابِ طُلُسٍ، فِي ثِيَابِ مِلْسٍ. قَوْمٌ يَحْمِلُونَ أَلَامَانَ عَلَى مَتُونِهِمْ، لِيَأْكُلُوا النَّارَ فِي بَطُونِهِمْ، حَتَّى تَغْلُظَ قَصَرَاتِهِمْ مِنْ مَالِ الْإِتَامِ، وَتَسْمَنَ أَكْفَالُهُمْ مِنْ غَزْلِ الْإِيَامِ. عَدَلُ يَبْرُزُ فِي ظَاهِرِ أَهْلِ السَّمْتِ، وَبَاطِنِ أَصْحَابِ السَّبْتِ. فَعَلَهُ الظُّلْمُ الْبَحْتُ، وَأَكَلَهُ الْحَرَامُ السُّحْتُ، سَوْسٌ لَا يَقَعُ إِلَّا فِي صَوْفِ الْإِيْتَامِ، وَجَرَادٌ لَا يَسْقُطُ إِلَّا عَلَى أَرْزَعِ الْحَرَامِ، وَكُرْدِيٌّ لَا يَغِيرُ إِلَّا عَلَى الضُّعَافِ، وَلِصٌّ لَا يَنْقِبُ إِلَّا عَلَى

خزانة الأوقاف، وذئب لا يفترس عباد الله إلا بين الركوع والسجود، وحارب لا ينهب مال الله إلا بين العهود والشهود. قاض لا شاهد عنده أعدل من أسلة والجم، يُدلي بهما إلى الحكام، ولا مزكي أصدق لديه من الصُفر، الذي يرقص على الظفر، ولا وثيقة أحب إليه من غمزات الخصوم، على الكيس المختوم، ولا كفيل أوقع بواقفه من خُبنة الذيل، وحمال الليل، ولا خليل أعز إليه من المندبل والطبق، في وقت العشاء والفلق، ولا حكومة أبغض إليه من حكومة المجلس، وخصومة المفلس، ثم الوليل للفقير إذا ظلم فما يُنجيه مجلس القضاء، إلا بالنار من الرّمضاء، وأقسم أن أليّتم إذا وقع إليه فقد وقع بين مخالِب الأسود، وأنياب الحَبّات السود.

الكذب والبهتان

فلان مُنغمِس في عيبه، يكذب لذيله على جيبه. يقول بهتاً، وزوراً بهتاً. قد ملئ قلبه رينا، وقوله مينا، يدين بالكذب مذهبا، ويستلين الزور مركبا، الفاخنة عنده أبو ذر. لا أصغي إلى ما يلفق وينمق، ويخلق ويُزوق. أقاويل يتمشى الزور في مناكبها، ويتردد البهتان في مذهبها. حسب الكاذب بفعله شتماً، وبقلبه خصما، أما يخاف الكذوب، أن يذوب؟

خبث اللسان والفعل

لسانه مقرّاض، للأعراض. فلان يأكل خبزَه بلحوم الناس. عرضُ دنيّ، وفمٌ بذيّ. لا يزال تخرج من فمه كلمة يَقْطُرُ منها دمه، ويتبرأ منها لسانه ويده، وتطلقه نفسه. من أغمد فيه سيف آرية، انسل منه لسان الغيبة، ومن طعن عجانَه، طعن لسانه، ومن وارى سوءَ أخيه صغيرا، تنقل بأعراض الكرام كبيرا. فلان مقصوّر الهمة على ما يستهجن ذكره، فكيف ارتكابه وفعله. فلان فيه بغى مُشتق من البغاء، وبه وجع في الوجعاء. فلان لسهام

الغائبين مُستهدف، ولعصي ألفاسقين مُتلفف. فلانٌ يخبأُ أعصابه، في
أدهليز الأقصى. هو أبغى من إبر الخياطين، ومحابر الوراقين.

الاستهداف لسهام الغائبين

فلانٌ غرضٌ يُرشقُ بسهام الرّيبة، وعَلَمٌ يُقصد بالوقية. قد تناولته الألسنُ
العاذلة، وتناقلت حديثه الأندية الحافلة، قد لزمه عارٌ لا يُمحي رسمه، ولزبه
شَنارٌ لا يزول وَسْمُه. قد قلّد نفسه عاراً لا يرحضه الاعتذار، ولا يُغفيه الليلُ
والنهار. قد أصبح نقل كلّ لسان، وضُحكة كلّ إنسان، وحملت أمهاته سفاتج
إلى البلدان. قد صار دَوْلَةُ الألسن، ومُثْلَةُ الأعين. قد عَرَضَ عرضه لسهام
الغائبين، وألْسِنَةُ القاذفين والحادفين. قد قلّد نفسه عظيم العار والشَنار،
والبَسَها أَلْبِسَةُ الخالدة عَلَى اللَّيْلِ والنَّهَار.

التيه والكبر

قد أسكرته خمرَةُ الكِبَر، وأستهوته غُرَّةُ التيه. كأن كسرى حاملُ غاشيته،
وقارون وكيل نفقته، ويلقيس إحدى داياته، وكأن يوسف لم ينظر إلا بمقلبه،
ولقمان لم ينطق إلا بحكمته. كأن الشمس تطلع من جبهته، والغمام يندي
من يمينه. كأنه أمتطى السّماكين، وأنتعل الفرقدين، وتناول النّيرين بيدين،
وملك الخافقين، وأستعبد الثّقَلَيْن. كأن الخضرَاء له عُرشَت والغبرَاء باسمه
فُرشت.

الحسد

قد دَبَّت عَقارب الحَسَدَة، وَكَمَنْت أفاعيهم بكل مرصدة. فلانٌ معجُونٌ من
طينة الحسد والمنافسة. مضروبٌ في قالب الضيق والمنافسة. قد وكل بي
لحظاً ينتضل بأسهم الحسد. فلانٌ جسد، كله حسد، وعقلٌ كله حقد.

الحاسد يعمى عن محاسن الصبح، بعينٍ تدرك فائق الفتح. الحسود، لا يسود. الحسد، آفة الجسد.

دناءة النفس مع شرف الأبوة

فلانٌ من الطأؤوس رجله، ومن الوردِ شوكة، ومن الماء زبدٌ، ومن النار دُخانها، ومن الخمر خمارها، ومن الدار كنيفها. يا عجباً أيلدُ البهيم، وولد أزر إبراهيم.

النميمة

لعنَ الله من يُفسدُ ذاتَ البين، ويسعى بالنميمة بين المحبين. النمام يُحاربُ بسيفٍ كليلٍ إلا أنه يقطع، ويضربُ بعضُدهنٍ إلا أنه يوجع. فلانٌ لا يزال ينمنم حلةَ النمام، وينثث في عقد المكاره. قد هبت سمام نمامه ودبت عقارب مكائده. النميمة من سلاح النساء، وحصون الضعفاء.

الجبن

ليست البراعة الجوفاء إلا أثبت منه قوة، وأشد مئة. فهو يحسب كل صيحة عليه، وكل هيعه عدواً يقبض على يديه. فلانٌ تمثال الجبن، وصورة الخوف، ومقر الرعب، ومن لو سُميت له الشجاعة لخاف لفظها قبل معناها، وذكرها قبل فحواها، وأسمها قبل مسمّاها. هو من تخوفه أضغات الأحلام، فكيف مسموع الكلام. إذا ذكرت السيوف لمس رأسه هل ذهب، وإذا ذكرت الرماح مس جنبه هل ثقب. كانه أسلم في كتاب الجبن صبيّاً ولقن كتاب الفشل أعجمياً.

خلف الوعد وكثرة المطل

يا له من وعدٍ أخذ من البرق الخلب خلّقا، وتناول من العارض الجهم

طبعاً، وتركني أرعى رياض رَجَاء لا تنبت، وأجني ثمرَ أَمَلٍ لا يُورق. هو في ضمائر الانتظار، وإسارِ عِدَّةِ ضِمَار. جعل يلوذ بِدَمَةِ الْمَطْل، ويُرجي يوماً إلى غد. وعده بَرَقُ خُلْب، وزوغان ثعلب. غيَمَ وعده جَهَام، وسيف بذله كَهَام. وعده مُقَرَّمَط، ومطله مفرط. حصلتُ معه عَلَى مواعيدَ عُرْقوبية، وأحزان يعقوبية. قد حَرَمَ ثمرة الْوَعْد، وجَرَّه على شوك المِطْل. أثبت بوعده روضَ الْأَمَال، ثم حَصَدَه بِالْخَلْفِ وَالْمِطَال. وَعَدَّ كالوعيد، بمطل شديد، يُشِيب الوليد. ولاية فلانٌ وَعَدٌ وَصَرَفَه أَعْتَذَار. وعده ضِمَارٌ لا يَنْجِز، وسحابه جَهَامٌ لا يَسْكَب. لا وَعَدٌ نَجِيج، ويَأْسُ مُرِيح. سَحَائِبُ الْصَيْفِ أثبت من قوله، وَالْخَطُّ فِي صَفْحَةِ الْمَاءِ أَقْوَى من عَهْدِهِ، ومواعيدُ عُرْقوبِ أَقْرَبُ إِلَى الْإِنْجَازِ من وعده. خُلِفَ الْوَعْد، خُلِقَ الْوَعْد. فلانٌ يرسل برقه، ولا يسيل ودقه، وَيُقَدِّمُ رَعْدَهُ، ولا يمطر بعده. وعده الْخَطُّ فِي بَسَطِ الْهَوَاءِ، والرقم عَلَى بَسَاطِ الْمَاءِ.

صعوبة الجانب

صخرةٌ خَلَقَاء لا تستجيبُ لِلْمُرْتَقِي، وحيَّةٌ صَمَاءٌ لا تسمع للراقي. كَأَنِّي اسْتَفْزْتُ مِنْهُ بِالْحُدَاءِ عَوْدًا، وَأَهْزْتُ بِالْذُّعَاءِ طَوْدًا. كَأَنِّي أَنَادِي صَخْرَةً وَأَرْقِي حَيَّةً. فلانٌ ثانِي الْعِطْفِ، ناثي الْعِطْفِ. فلانٌ صَعِبُ الْمَعِطْفِ، بعيدُ الْمَرْجِعِ، رُحْلِي خَطُو الْعِطْفِ، جمادي حركة الصَفْح. لا تَنْحَلُّ عُقْدُهُ، ولا تَنْحَافِي عَنْ فَرِيَسَةِ يَدِهِ.

العجز

فلانٌ عاجزُ الْمُئِنَّةِ، قاصرُ الْقُوَّةِ. يتعلق بأَذْنَابِ الْمَعَاذِيرِ، ويحيل عَلَى ذُنُوبِ الْمَقَادِيرِ. ما قطع في ذلك شعرة، ولا سقى قطرة، ولا فاه فيه بفصيح ولا أعجم. هو كَالنِّعَامَةِ يَكُونُ جَمَلًا إِذَا قِيلَ طَيْرِي، وَطَائِرًا إِذَا قِيلَ سِيرِي. الطَّيْرُ

تغدو خماصاً، وتروح بطاناً، وهو عاجز عما يقتاتة، قاصر عما تتماسك به حياته. يُقام له نُزل، ولا يُفوض إليه شغل، ويُملأ له وَطْب، ولا يُرفع إليه خطب، وهذا والله عيشُ العجائز، والزَّمنُ العاجز.

آخر كتاب المساوىء والمقاييح، والله الحمد

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب العيادة وما يجانسها

ذكر التشكي والمرض

عَرَضَ لي مرضٌ أساءَ بالنجاة ظَنِّي، وكاد يصرف وجه الإفاقة عني. لو
رَأَني لرَأَني خللاً، ولو شئتَ لطرقته خيالاً. هو شوري بين أمراض أربعة:
حُمى لا تُغَبِّ، وصداع لا يَخَفُّ، وزكام يَكُدُّ، وسعال لا يَكْفُّ. عِلَّةٌ هُوَ في
أَسْرِها مُعْتَقِلٌ، وبقيدها مُكْبَلٌ. أَمْرَاضٌ تَوَالَتْ عَلَيَّ، وآسَاءَتْ بي وإِلَيَّ، فَأَنَا
أَشْكُوها وأُشْكِرُ الله تعالى إذ جعلها عِظَةً وتذكيراً، ولم يبق منها حتى الآن إلا يسيراً.
أَحْسَبُ الْأَمْرَاضَ قَدْ أَقْسَمْتُ عَلَى أَنْ تَجْعَلَ أَعْضَائِي مَرَابِعَهَا، وَأَلْتِ عَلَى أَنْ
تَصِيرَ جَوَارِحِي مَرَاتِعَهَا. عِلْلٌ لَا يَصْدُرُ مِنْهَا آتٍ إِلَّا لَتَكْرِيرٍ وَرِدٍّ، وَلَا يُعْزَلُ
فِيهَا وَالٍ إِلَّا بُولِي عَهْدٍ. قَدْ كَرَّرْتُ تِلْكَ الْعِلَّةَ فَعَادَتْ عَلَلًا، وَسَقَانِي بَعْدَ نَهْلٍ
عَلَلًا، حَلِيفُ عِلَّةٍ أَقْعَدْتَنِي عَنِ الْحَرَكَةِ، وَالزَّمْتَنِي مِنَ الْمَنْزِلِ عَرَصَةَ الْعَجْزَةِ.
عِلَّةٌ بَرَّتْهُ بَرِّي الْأَخْلَةَ، وَنَقَصَتْهُ نَقْصَ الْأَهْلَةِ. تَرَكْتُهُ حَرَضًا، وَأَوْسَعْتُهُ مَرْضًا،
وَعَادَرْتُهُ وَالْخِيَالَ أَكْثَفَ مِنْهُ جُثَّةً، وَالطَّيْفَ أَوْفَرَ مِنْهُ قُوَّةً.

اشتداد العلة وسوء الظن بها

عَرَضَ لِي مِنَ الْمَرَضِ مَا صَارَ لَهُ الْقَنُوطُ يُغَادِيهِ وَيُرَاوِحُهُ، وَالْيَأْسُ يُخَاطِبُهُ
وَيُصَافِحُهُ، وَرَدَّ مِنْ سُوءِ الظَّنِّ أَوْخَمَ الْمَنَاهِلِ، وَبَاتَ مِنْ حُسْنِ الرَّجَاءِ

على مراحل. طالعت الكرم يترجح نجمه بين الإضاءة والآفول، وتتمثل شمسه بين الإشراق والغروب، أصبح فلان لا ينقل رأسه، ولا يجزُّ ظله. ويد ألمنية تفرع بابه. ما هو إلا خرض، ولسهم ألمنية غرض. شاهدت نفسي وهي تخرج، ولقيت رُوحِي وهي تعرج، وعرفت كيف تكون السكره، وكيف تقع الغمرة، وكيف طعم البعد والفراق، وكيف يلتف الساق بالساق.

الانزعاج لعارض العلة

مريض فلحقتني روعة، وملكتني لوعة. وجدت في نفسي ألماً مما مسه، وتخون أنسه، بلغني من شكاته ما أوحش جناب الأنس، وأراني الظلمة في مطلع الشمس. بلغني ما عرض له من المرض، وألم به من الألم، فتحامل على سوء صدري، وأقذى سواد طرفي. قد استنفذ ألقلق لعلتك ما أعده الصبر من ذخيرة، وأضعف ما قواه العزاء من بصيرة. أثقلب على حدّ السيف إلى أن أعرف أنكشف العارض وزواله، وأتحقق انحساره وانتقاله. أنهى إلي من خبر العارض حسَم الله مآذته، وقصر مدّته. ما أراني آفاق مُظلماً، وطريق العيش مُبهماً.

تهوين أمر العارض بحسن الرجاء

هذه العوارض قد تكون، ثم تزول بإذن الله وتهون. إن الذي يبلغني من ضعفه قد أضعف المنة، وإن لم يُضعف الظن بالله والثقة. قد استشف العافية من وراء ثوب رقيق، وبات منها على وعد قريب، ربما يُشفى من أشفى، وحسبنا الله وكفى، ما أكثر ما رأينا هذه العِلل جلّت ثم جَلّت، وتوالت ثم تولّت.

ذكر المشاركة في العلة

خبرني فلان بعلتك فأشركني فيها همّاً وقلقاً، ولا أعل الله لك جسماً ولا

حالاً، وردَّ إليك العافية وأدامها لك. ليست نكايَةُ الشَّغل في قلبي بأقل من نكايَةِ الشَّكَاية في جسدك، ولا أَسْتِيلاء القلق على نفسي بأيسرَ من أَعْتِراض السَّقام لبدنك، ومن ذا الَّذي يَصِحُّ جسمه إذا تألمت إحدى يديه، ومن يَحُلُّ محلَّها في القُرب إليه. ما كنتُ أعلم خبر أَعراض لك حتى تحققت ذلك من مُشاركتي إياك في عِلَّتكَ وصِحَّتكَ. ما أنفرد جسمك بألم العلة دون قلبي ولا أختصت نفسك بمعاملة المرض دون نفسي. ليعلم سيدي أنني سقيمٌ بسُقمه، وواحدٌ بقلبي ما يَجِدُه بجِسمه.

الاهتمام للعلة ثم الاستبشار بزوالها

أنا مُنزعج لشكاتك، مُبتهج لمعافاتك. إن كانت عِلَّتكَ قد قرحت وجرحت، فإن صِحَّتكَ قد أُسِتْ وأنست. بلغني شَكَاةُكَ فَأَرْتَعْتُ، ثم عرفتُ خَفَّتْهَا فَأَرْتَحْتُ. أَلْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى قُربِ أَلْمَدَّةِ بينِ أَلْمِحْنَةِ وَالْمُنْحَةِ، وَأَلْبَلَوِي وَالنَّعْمَةَ، عَلَى أَنَا لَمْ نَهْلك بِأَيْدِي أَلْمَخَافَةِ، حَتَّى تَدَارَكَنَا اللَّهُ بِحَسَنِ أَلرَّافَةِ، وَلَمْ نَسْتَسَلِمْ لَحُطَّةِ الْحَذَرِ، حَتَّى سَلَّمَ مِنْ وَرْطَةِ أَلْقَدَرِ.

شكاة أهل الفضل والسؤدد

شكاته أَلْتِي تَتَأَلَمُ لَهَا المُرُوءَةُ وَأَلْفَضْلُ، وَيَسْقُطُ لَهَا أَلْكَرَمُ المَحْضِ. شكاته أَلْتِي غَضَبَتْ بِهَا حُلُوقُ المَجْدِ، وَخَرَجَتْ لَهَا صُدُورُ أَلْأَدَبِ، وَبَدَا أَلشُّحُوبُ مَعَهَا عَلَى وَجهِ الحُرِّيَةِ، وَحَرُمَ عِنْدَهَا أَلْبِشْرُ عَلَى غُرَّةِ المُرُوءَةِ، عِلَّتَهُ أَلْتِي أَعْلَتْ أَكْثَرُ أَلْقُلُوبِ، وَطَيَّرَتْ أَلْأَرْوَاحَ عَنْ جُلِّ أَلنَّفُوسِ، قَدْ أَعْتَلَّ بَعْلَتُهُ أَلْكَرَمُ، وَشَكَا بِشِكَايَتِهِ أَلسَيْفَ وَأَلْقَلَمَ. شكاةٌ عَرَضَتْ مِنْهُ لِشَخْصِ أَلْكَرَمِ أَلْغَضِ، وَأَلشَّرَفِ المَحْضِ، لَوْ قَبِلْتُ مُهْجَتِي فِدِيَّةً دُونَ وَعَكَّةٍ تَجِدُهَا، وَسَاعَةً أُنْسُ تَفْقِدُهَا، لَبَدَلْتُهَا عِلْماً بِأَنِّي أَفْدِي أَلْكَرَمَ لَا غَيْرَ، وَأَلْفَضْلَ وَلَا ضَيْرَ.

أدعية العيادة

أغناك الله عن البَطْبِ والأطباء، بِالسَّلامة والشفاء. كفاك الله بِالسَّلامة، وشفاك بالطافه الخاصه والعامة. جعله الله عليك تمحيصا، لا تنغيصا، وتذكيرا، لا تنكيرا، وأدبا، لا غضبا، والله يُدرِّلك صَوْبَ العافية، ويُضفي عليك ثوب الكفاية ألوفية. أَذِنَ الله في شفاءك، وتلقى داءك بدوائك، ومَسَحَكَ بيد العافية، ووجه إليك وافد السَّلامة، وجعل علتك ماحيةً لذُنُوبك، مُضاعِفَةً لثوابك. أوصل الله إليك من برد الشفاء، ما يكفيك حرَّ الأدوية.

تنسم الاقبال بعد اليأس

قد شِئْتُ بَارِقَةَ العافية، وشمنت رائحة الصحة. أقبل صنع الله من حيث لم أرتقب، وجاءني لُطْفُهُ من حيث لم أحتسب، وتدرجت إلى الإبلال وقد حسبته حُلما، ورضيتُ به دون الاستقلال غُنما. قد تخلصتُ إلى شط العافية، وصافحتُ كف حُسن العاقبة. كما تداركني الله بلطفيةٍ من لطائفه، نوجعل هبة أَلْروح عارفةً من عوارفه. تنسمت روائح الحياة بعد أن أشفيت على الوفاة، وثنيت وجهي إلى الدُّنيا، بعد مواجهتي الدار الأخرى. تداركني صنع الله ولطفه فأقالا عشرة ما خلّنتني أقالها، وأزالا علةً لم يُحتسب زوالها.

ذكر الابلال وحمد الله عليه والدعاء عنده

قد صافح الإقلال والإبلال، وقارب النهوض والإستقلال. سيُرويك الله من العافية أَلتي ذوقك ويسبغ ثوبها عليك، ولا يُعيد مكروهاً إليك. المرض قد انحسر، وآللم قد آنحسم. قد آستقل آستقلال آسيف حُودث حدّه، وأعيد فِرْنْدَه، والقمر آنكشف سراره، وذاعت أسرارهِ. حين آستقلت يدي بِالْقلم، بشرتك بآنحسار آللم. قد أقال الله بِالسَّلامة ألفائضة، وأدال من آالشكاية

العارضة، فأنشِرت الصدور، وشَمِلَ السرور. أبلَ فَعادت به الصُّدُور
مثلوجة، وألْكَرَب مفروجة. الحمدُ لله الَّذي حرس جِسْمَكَ وعافاه، ومحا عنه
أثر السُّقْم وعَفَّاه. الحمد لله الَّذي جعل الْعافية عَقْبِي ما تشكيت، وَالسَّلامة
عَوْضاً مما عانيت. الحمد لله على أَنَّ أعفَاكَ من مُعانةِ الأَلَم، وعافَاكَ للفضل
وَالكُرم، ونظمني معكَ في سلك النِّعمة، وضمَّنِي إِلَيْكَ في مسلكِ الصِّحَّة،
وَالله يجعل السَّلامة أطول بُرْدِيكَ، وأشدَّهما سُبوغاً عَلَيْكَ، ويدفع في صدور
الْمُكَّارِه دون رُبْعِكَ، وفي نَحْوِ المَحاذِر قبل الْانْتِهَاءِ إِلَى ظِلِّكَ. لا زالت
العافية شعارك، ما وَصَلَ ليلك نهارك. سَوَّغَكَ اللهُ الْعافية وهَنَّاكَ الْعيشة
الرَّاضية.

الاستشفاء بكتب العيادة

كلامك قد أدَّى روح السَّلامة في أَعْضَائِي، وأوصل برد الْعافية إِلَى
أَحْشَائِي، تركني كتابك وَالظَّليم ينتسب إِلَى صحتي بعد أمراضٍ اكْتَنَفْتُ،
وَأَسْقَامٍ اخْتَلَفْتُ. قد آسَبَقَ كتابك وَالْعافية إِلَى جِسْمِي، حتى كَانَهُمَا فِرْسَا
رِهَانٍ تَبَارِيَا، وَرَسِيلاً مَضْمَارِ تَجَارِيَا. أَبْدَلْنِي كتابك من حُزُونِ الشَّكَاةِ،
سهولِ الْمَعَاةِ، ومن شِدَّةِ التَّأَلَمِ، رِخَاءَ التَّنْعَمِ، ومن ضِيقِ الصَّدْرِ بِاضْطِرَابِ
الْبَدَنِ، سَعَةً الصَّدْرِ بِاسْتِقْرَارِ الْجِسَدِ، حتى كَأَنَّهُ مَسْحَةٌ مَلَكٌ مَنْزِلٌ، أو سَبْحة
نَبِيٍّ مُرْسَلٍ.

آخر كتاب العيادة، والله الحمد والمِنَّة

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب التهاني والتهادي

وما ينخرط في سلكها، ويأخذ مأخذها

ألفاظ التهئة بمولود

مرحباً بالفارس المحقق للظنون، المقرّ للعيون. المقبل بالطالع السعيد،
والخير العتيد. أنجب الأبناء، لأكرم الآباء. أنا مُستبشّرُ بطلوع النّجم الذي
كُنّا منه على أمل، ومن تطاول أسراراه على وَجَل. إن يشأ الله يجعله مُقدمة
إخوة في نسق، كالفرد المتسق. قد طلع في أفق الحرية أسعد نجم، ونجم
في حدائق المروءة أزكى نبت. يا بُشراي بطلوع الفارس الميمون جدّه،
المضمون سعدّه. عليه خاتم الفضل وطابعه، وله سهم الخير وطالعه. الحمد
لله على طلوع هذا الهلال الذي نراه إن شاء الله بدرأ لا يُضمير السرار ضياه،
ولا يبلغ ألمحاق سَناعة وسناه. قد بشرت قوابله بالإقبال وعلوّ الجَدّ، وأقترن
قدومه بالطائر السعد. هنّاك الله قوّة الظهر، وأشتداد الأزر، بالفارس المكثّر
لسواد الفضل، الموفر لجمال الأهل، المستوفي بشرف الأرومة، كرم الأبوة
والأمومة، وأبقاه حتى نراه، كما رأينا جده وأباه. عرفت أنفياً ما كثر الله به
عدده، وشد عضده، بطلوع الفارس الذي أضاء له أفق النجابة، وطال به باع
السعادة. بُشرت بالنور الساطع في أفق النّجابة، وألبدر الطالع في فلك
السعادة، فعظمت النعمى لديّ، وأوردت البُشرى غاية المُنَى عليّ.

ما يختص منها بالملوك

مرحباً بالفارس القادم، بأعظم المغانم. سوي الخلق، سامي العرق. تلوح عليه سيما المجد، وتتجاذبه أطراف الملك. وردت البشري بالفارس الذي أوسع ربيع المجد تأهلاً، وأطراف الملك تحضناً، ومناكب الشرف ارتفاعاً، وأعضاء العز اشتداداً. أتنني بشري البشائر، وأنعمي المحروسة عن النظائر. في سلالة العز وسليله، وأبن منبر الملك وسريه. الأمير القادم، بغرة المكارم. الناهض إلى ذروة العلياء، بآباء أمره وملوك عظماء. مرحباً بالفارس المأمول لشدة الظهور، المرجو لسدة الشعور. الحمد لله الذي شد أزر الدولة، ونظم قلادة الأمر، وعمر سرير العز، ووطد منابر المملكة، بالقمر السعد، وشبل الأسد الورد. قد تبسمت المكارم والمعالي، وتباشرت الخطب والقوافي، بالفارس المأمول لشدة أزر الملك، وسد ثغر المجد، وتناول السرير شوقاً إليه، وأهتزت المنابر حرصاً عليه. قد أفرج جفن العالم عن العين البصيرة، وأستغرب مضحكه عن اللمعة المنيرة. أما الأمير المولود فالتاج بجبينه يبهى، والركاب بقدمه يزهي.

الادعية للمولود والوالد

اللهم أرني هذا الهلال بدراً، قد علا آلاقران قدرا. بلغه الله فيه مناه، حتى يراه وأخاه، مُنِيفَيْنِ عَلَى ذِرْوَةِ الْمَجْدِ، آخِذِينَ بِأَوْفَرِ الْخُطُوطِ مِنْ عُلوِّ الْجَدِّ، وَاللَّهُ يَمْتَعُهُ بِهِ، وَيَرْزُقُ الْخَيْرَ مِنْهُ، وَيُحَقِّقُ الْأَمَلَ فِيهِ. عَرَفَ اللَّهُ مَوْلَايَ بِرَكَّةِ الْمَوْلُودِ الْمَسْعُودِ، وَعَضِدَ الْفَضْلَ بِالزِّيَادَةِ فِي عَدَدِهِ، وَأَقَرَّ عَيْنَ الْمَجْدِ بِالسِّيَادَةِ مِنْ وَلَدِهِ، عَرَفَهُ اللَّهُ مِنْ سَعَادَةِ مَقْدَمِهِ، مَا يَجْمَعُ أَعْدَاءَهُ تَحْتَ قَدَمِهِ. عَمَّرَكَ اللَّهُ حَتَّى تَرَى هَذَا الْهَلَالَ قَمَرًا بَاهِرًا، وَبَدْرًا زَاهِرًا. يَكْثُرُ بِهِ عَدُوُّ حَفَدَتِكَ، وَتَعْظُمُ مِنْهُ غُصَّةُ حَسَدَتِكَ، مِنْ حَيْثُ لَا تَهْتَدِي النُّوَابِثُ إِلَى

عِرَاصِكُمْ، ولا تطمع الحوادث في انتقاصكم. متّعك الله بالولد، وجعله من أقوى العدد، ووصله بإخوة مُتَوَافِرِي العدد، شادّين للأزر والعضد. هنّاك الله مولده، وقرن باليُمن مورده، وأراك من بنيه أولاداً بَرَّةً، وأسباطاً وَحَفْدَةً. عرفك الله بركة قدمه، ونجح مقدمه، وسعادة طالعه، ويُمن طائرته، وعمرك حتى ترى زيادة الله منه، كما رأيتها به.

ما يختص منها بالملوك والسادة

الله يُبْلِغُه أَفْضَلَ ما تقسمه السُّعود، وتعلو به الجدود، حتى يستغرق مع إخوته مساعي الفضل، ويُشيدوا قواعد آلفخر، ويَزَحَمُوا صدور الدهر، ويضبطوا أطراف الأرض، والله يَحْرُسُه من نواظر الأيام أن ترنُو إليه، وأطماع الليالي أن تتوجّه عليه، حتى يستقلّ بأعباء الخدمة، وينهض بأثقال الدّولة، ويخفّ في الدّفع عن ألبیضة، ويتسرع إلى حماية الحوزة، والله يديم لمولانا من العمر أكلاًه، ومن العزاهناه، ليُطبّق العالم بفضلله وعدله، ويُدبّر الأرض بالنُجباء من نسله.

ذكر المولود العلوي

عُصْنُ رسول الله ﷺ شجره، حقيق أن يحلو ثمره، وفرع بين الرسالة والإمامة مُنتهاه. خليق أن يحمّد بدوّه وعُقباه. مرحباً بالطالع بأيمن الطالع، ومن أشرف المناصب والمناصب. حيث الرّسالة والإمامة، والخلافة والرّعاية. أبقاه الله حتى تنهأ فيه سوابغ المنن، ويُعدّ حسنة في بني الحسن.

ذكر التوأمين

تيسرت منحتان في موطن، وانتظمت موهبتان في قرن. طالع في أفق الملك نجماً سعد، وشهاباً عز، وكوكبا مجد، فتأهلت بهما رباع المحاسن، ووطئت لهما أكتاف المكارم، واستشرفت اليهما صدور الأسرة والمنابر. عرفه

الله السَّعادة في طلوع بدرين انبعثا من نُوره، واستنارا في دُوره. بلغني خبر
الموهبة المشفوعة بمثلها، وألنعم المقرونة بَعَدَها، في الفارسين المقبلين
رضيحي العزَّ والرَّفة، وقريحي المجد والمنعة، فشملي من الاغبطا ما يوجبه
ازدواج البُشري، واقترا عارِفَة بأخرى.

في التهتة بالبنت

هنا الله سيدي وُرود الكريمة عليه، وثمر بها أعداد النسل الطيب لديه،
وجعلها مؤذنة بإخوة بَرَّة، يَعمرون أندية آلفضل، ويُعمرون بقية الدهر.
اتَّصل بي خبر المولودة كَرَم الله عُرتَها، وانبتها نباتاً حسناً، وما كان من تغيرك
عند اتّصاح الخبر، وإنكارك ما اختاره ما اختاره لك سابقُ القَدَر، وقد علمت
أنهن أقرب من أَلقُوب، وأن الله بدأ بهنَّ في الترتيب، فقال جلُّ من قائل:
﴿يَهَبْ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَّا لَهُ وَهَبٌ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ﴾، وما سَمَّاه الله هبةً فهو بالشُّكر
أولى، وبِحُسن التقبل أخرى. أهلاً وسهلاً بعقيلة النِّساء، وأمُّ الأبناء، وجالبة
الأصهار، والأولاد الأطهار، والمبشرة بإخوة يتناسقون، ونجباء يتلاحقون.

فلو كان النِّساء كمثل هَذي لَفُضِّلَت النِّساء على الرجال
وما التأنيث لاسم الشَّمس عَيْبٌ ولا التذكير فخرٌ للهلال
والله يُعرفك البركة في مطلعها، والسعادة بموقعها، فادَّرع اغتباطاً، واستأنف
نشاطاً، والدُّنيا مؤنثة والنَّاسُ يخدمونها، والنار مؤنثة والذكور يعبدونها،
والأرض مؤنثة ومنها خُلقت البرية، وفيها كُثرت الذُّرية، والسَّماء مؤنثة وقد
رُزيت بالكواكب، وحُليت بالنجم الثاقب، والنَّفْسُ مؤنثة، وهي قِوَامُ الأبدان،
ومِلاك الحيوان. والحياة مؤنثة ولولاها لم تتصرف الأجسام، ولا عُرف الأنام،
والجنة مؤنثة وبها وعد المتقون، وفيها ينعم المرسلون، فهنيئاً هنيئاً ما أوليت،
وأوزعك الله شكر ما أُعطيت، وأطال بقاءك ما عُرف النسلُ والولد، وما بقي

الأبد، وكما عُمِّرَ لَبْد، إنه فعالٌ لما يشاء وهو على كل شيء قدير.

ألفاظ التهئة بالاملاك وما يقترن بها من الأدعية

من أتصل بمولاي سببه، وشرف به منصبه. كان حقيقاً بالرغبة إلى الله في توفيره وتكثيره، وزيادته وتثمينه، لتزكو منابت الفضل، وتنمي مغارس الفخر، وتطيب معادن المجد. بارك الله مولاي في الأمر الذي عقده وأحمدته إياه وأسعده، وجعله موصولاً بنماء العدد، وزكاء الولد، واتصال الحبل، وتكثير النسل، والله يخير له في الوصلة الكريمة، ويقرنها بالمنحة الجسيمة. قد عظم الله بهجتي، وضاعف غبطتي، بما أتاحه من سرورٍ ممهد، بجمع شملٍ مُجدد. فلا زالت النعمُ به محفوفة، والمسارُ إليه مزفوفة. جعل الله هذه الوصلة وكيدة العقدة، طويلة المدة. سابغة البركة والفضل، طيبة الذرية والنسل. وصل الله هذا الاتصال السعيد، والعقد الحميد. بأكمل المواهب، وأحمد العواقب، وجعل شمل مسرتك به مُلتئماً، وسبب أنسك مُنتظماً. عرفك الله تعجيل البركات، وتوالي الخيرات، ولا أخلاك في هذه الوصلة من التهاني بنجباء الأولاد، وكبت بكثرة عددك جميع الحساد. هنا الله مولاي الوصلة لتصل بكثرة العدد، ووفور الولد، وأنبساط ألباع واليد، وعلو القدر والجَد.

ألفاظ التهئة بالولايات

عرَفَت خير البلد الذي أحسن الله إلى اهله، وعطف عليهم بفضله، إذ أضيف إلى ما يلاحظه مولاي بعين إبالته، وينفي خلله بفضل أصالته. من سر في الولاية يلبس مولاي ظلالها، ويسحب أذيالها، بنعم مُستفادة، ورُتب مُزدادة، فسُروري بما يكتسبه من كل عمل يُدبره، وأمرٍ يقدره، من أحدىثة جميلة، ومثوية جزيلة، ويؤثره من إحياء عدل، وإماتة ظلم، وعمارة لسبل

الخيرات، وإيضاح لطرق المبرات. التهئة بالأعمال وأن كُبر عنها موقعه، وكان بحمد الله يرفعها ولا ترفعه، فالرسوم تحفظ تحدثاً يولي الله مسوغاً، ويؤتي مسبغاً. سيدي يوفي على الرتب التي يهنأ ببلوغها، ويزيد على المنازل التي يدعى له بحلولها. فهنيئاً تجملها بولايتها، وتحليها بكفايتها. الأعمال، وإن بلغت أقصى الآمال، فكفاية مولاي تتجاوزها، والرتب وإن جلت قدرا، وكبرت ذكرا، فصناعتها تسبقها وتشأها، غير أن للتهاني رسماً لا بُد من إقامته، وشرطاً لا سبيل إلى نقض عادته. الأعمال، وإن بلغت الآمال، فكفاية سيدي توفي عليها إيفاء الشمس على النجوم، وترتفع عنها ارتفاع السماء عن التخوم. سيدي أرفع قدرا، وأنبه ذكرا، من أن نهته بولاية وإن جل أمرها، وعظم قدرها، لأن الواجب تهنة الأعمال بفائض عدله والرعية بمحمود فعله، والأقاليم بآثار سياسته، والولايات بسمات رئاسته.

ما يختص منها بالوزراء

أنا أهني الوزير بالنعمة التي عمت أهل الأرض، وخصت بني الفضل، وإن كان فوق كل ولاية توكل إليه، وراية تخفق عليه. أهني سيدنا بالحوال التي جددها الله له كما يهنأ ناشد الضالة إذا وجدها، لا كما يهنأ طالب الغنيمة إذا ظفر بها. قد أعطيت قوس الوزارة منه باريها، وأضيفت إلى كفوها وكافيتها، وفُسخ بها شرط الدنيا الفاسد في إهداء جظوظها إلى اوغادها، ونُقِض بها حكمها الجائر في العدول بها عن نُجباء أولادها. قديماً أَلقت إليه الوزارة بالمقاليد، ونصت عليه بالتقليد، وتجملت منه تجمل من سواه بها، وسمت إليه سمو غيره إليها. الدنيا أيد الله الوزير مُهناً بانحيازها إلى رأيه وتنفيذه، والممالك مغبوظة باتصالها إلى أمره وتدبيره. قد كانت الدنيا متطلعة لرئاسته، مُستشفة لوزارته، إلي أن سَعِدَت بما كانت الآمال عنه مخبرة،

وحظيت بما كانت الظنون به مبشرة. وانحيازها إلى جنته واضحة الفجر،
وتوشُّحها من كفايته بغرة سائرة إلى وجه الدَّهر. الحمدُ لله الَّذي أقر عين
الفضل، ووطأ مهاد المجد، وترك الحُساد يتعثرون في ذبول الخيبة،
ويتساقطون في فضول الحسرة، وأراني الوزارة، وقد استكمل الشيخ خلالها،
ووفاءها جمالها

فلم تَكْ تَصْلُحْ إِلَّا لَهُ وَلَمْ يَكْ يَصْلُحْ إِلَّا لَهَا

ما يختص منها بالقضاة

القاضي عَلمُ العلم شرقاً وغرباً، ونجم الفضل غوراً ونجداً، وشمسُ
الأدب بَرّاً وبحراً، فسبيل الأعمال أن تهناً إذا رُدَّتْ إلى نظره الميمون،
وعُصِبَتْ برأيه أَلَمَامُونَ. أسعد الله القاضي بما جدد له من رأي مولانا
وآرتضائه، وأَعْتَمَدَه لأجل أمور الشريعة وآتضائه، وأسعد المسلمين والدين
بما أصاره إليه، وجعل زمامه بيديه.

الأدعية التي في التهاني بالأعمال والولايات

عرّف الله سيدي من سعادة عمله، أفضل ما ترقّاه بأمله، ولقاه من مناجح
أمره أبلغ ما أنتحاه بفكره. خار الله له فيما تولّاه وتطوّقه، وبلغه في كلّ حال
أمله وحققه. عرفه الله من يُمن ما باشره تدبيره الخَيْرَ والخَيْرَةَ، وألبركات الحاضرة
والمُنتظرة، وجعل المنائج إليه أرسالا، لا تَمَلُّ تواليّاً وَاَتصالاً. أسعده الله أفضل
سعادة قُسمت لوالي عمل، وأحضر بركة أسهمت لمُسامي أمل. أحضر الله السداد
عزمه، وألزم الرّشاد همه، وكَنَفَه بِالْعَصمة وأَيْلَه، وقرن به التوفيق ولا أفرده. هُنا
الله الموهبة التي ساقها إليه، ومدّرُواقها عليه إذ كانت من عقائل الموهب، مُسفرة
عن خصائص المراتب، وحلّت منه محل الإستيجاب، لا الإيجاب،
والإستحقاق، دون الإتفاق. هُنا الله نعمة الفضل التي الولاية أصغر آلاتها

والرياسة بعض صفاتها.

ذكر الخلع والأحذية ووصفها

أهنيء سيدي بمزيد الرفعة، وجديد الخلعة، التي تخلع قلوب المنازعين، واللوآء الذي يلوي أيدي المنابذين، والحُملان الذي لو امتطاه إلى الأفلاك لحازها، أو سامى به الجوزاء لجازها. بلغني خبر ما تطوّعت به سماء المجد، وجادت به أنواء الملك، فتضمن من الخلع اسناها، ومن السيوف أمضاها، ومن الأفراس أجراها، ومن المراكب أبهاها، ومن الإقطاعات أنماها. لبس خلعته متجللاً منها ملابس العزّ، وامتطى فرسه فارعاً ذروة المجد، وتقلد سيفه حاصداً بحده طلى أعدائه، وغامطي نعمائه، واعتنق طوقه متطوقاً عزّ الأبد، واعتصم بالسوارين المؤذنين بقوة الساعد والعضد، وساس أولياءه ولوآؤه عليه خافق، ولسان النصر والظفر ناطق. قد لبس عبده خلعته، التي تعتمد بها رفعة، وامتطى حُملانه، الذي واصل به إحسانه، وتنطق بحسامه، الذي ظاهر أثواب انعامه، وتختم بخاتميته، اللذين بسطا من يديه، ووقع من دَوّاته، التي أعلا بها من درجاته، وتمهد له آلدست المحمول إليه. فدرت سماء الشرف عليه. الخلعة التي تتراءى صفحات العزّ على أعطافها، وتمتري مرايا المجد من أطرافها، والحُملان الذي تتناول قاصية المُنَى من ناصيته، والمركب الذي تستجدي حُلِيّ الثريا بحليته، وآلسيف والمنطقة الناطقان عن نهاية الإكرام، الناظران قلائد الإنعام. خلع تخلع قلوب الأعداء عن مقارها، وتغمر نفوس الأولياء بمسارها، وسيف كالقضاء مضاءً وحدًا، وكلاقدار غراراً وحدًا، ولوآء تخفق قلوب المنازعين إذا خفق، وحُملان يصرم منكب الدهر إذا انطلق.

في التهئة بالقدوم

أهنيء نفسي وسيدي لما يسره الله من قدومه سالمًا، وأشكر الله على ذلك

شكراً دائماً. قد أعفيت ظهور ركابه، وآبت البركة بإياه. جعل الله قدومك مقروناً بالخيرة الثائمة العامة، والكفاية الشاملة الكاملة. غيبة المكارم مقرونة بغيبتك، وأوبة النعم موصولة بأوبتك، فوصل الله قدومك من الكرامة، بأضعاف ما قرن به مسيرك من السلامة. هناك الله إياك وبلغك محابك، ما زلت أيام غيبتك - لا أوحش الله ربك منك - بذكرك مُستأنسا، وللشوق إليك مجالسا، إلى أن من الله من أوبتك بما عظمت عليّ به النعمة، وجَلّت لدي معه المنحة. ما زلت معك بالنية مُسافراً، وباتصال الفكر وبالذكر مُلاقياً، إلى أن جمع الله شمل سُروري بوبتك، وسكن نافر قلبي بعودتك، فأسعدك الله بمقدمك سعادة تكون بها للإقبال مُقابلاً، وبالأمان ظافراً، ولا أوحش منك أوطان الفضل، ورباع المجد، بمنه.

ألفاظ في التهئة بالحج وتفخيم أمر الحج وتعظيم المناسك والمشاعر

وما يتصل بهما من الأدعية

قَصِدَ البيت العتيق، والمقام الكريم، والمطاف الشريف والملتمز النبيه، والمستلم النزيه، ووقف بالمُعَرَّف العظيم، وورد زمزم والحطيم. حَرَّمَ الله الذي أوسع كرامة، وجعله للناس مثابة، وللخليل خطة، وللذبيح جلة، ولمحمد ﷺ قبلة، ولأُمته الهاذية كعبة، ودعا إليها حتى لبي من كل طرفٍ سحيق، وتسرع نحوه من كل فجٍّ عميق. يعود عنه من وفق وقد قُبِلت توبته، وغفرت حوبته، وسعدت سفرته، وأنجحت أوبته، وحُمد سَعِيه، وزكا حجه، وتُقْبِل عَجه وثَّجه. انصرف مولاي عن الحج الذي انتضى له عزائمه، وأنضى فيه رواجه، وأتعب نفسه بطلب راحتها، وأنفق ذخائره، يشتري سعة الجنة وسلحتها، قد زُكِيت إن شاء الله أفعاله، وتُقْبِلت أعماله، وشُكر سَعِيه، وبلغ

هَدِيهِ . قَدْ أَسْقَطْتَ عَنْ ظَهْرِكَ الثَّقْلَ الْعَظِيمَ ، وَشَهِدْتَ الْمَوْقِفَ الْكَرِيمَ ،
وَمَحَضْتَ مِنْ نَفْسِكَ بِالسَّعْيِ مِنَ الْفَجِّ الْعَمِيقِ ، إِلَى آلِيبَتِ الْعَتِيقِ . حَمْدًا لِمَنْ
سَهَّلَ لَكَ قَضَاءَ فَرِيضَةِ الْحَجِّ وَالْمَشْعَرِ وَالْمَقَامِ وَبِرْكَهَ أَدْعِيَةِ الْمَوْسَمِ ، وَسَعَادَةَ
أَفْنِيَةِ الْحَظِيمِ وَزَمَزَمَ . قَصْدَ أَكْرَمِ الْمَقَاصِدِ ، وَشَهِدَ أَشْرَفَ الْمَشَاهِدِ . فَوَرَدَ
مِشَارِعَ الْجَنَّةِ ، وَخِيَمَ بِمَنَازِلِ الرَّحْمَةِ . قَدْ خَصَّنِي مُوَاهِبُ اللَّهِ لَدَيْكَ فِي الْحُجِّ
أَدَيْتَ فَرَضَهُ ، وَحَرَّمَ اللَّهُ وَطْئَ أَرْضِهِ ، وَالْمَقَامَ الْكَرِيمَ قُتِمَتْهُ ، وَالْحَجَرَ الْأَسْوَدَ
اسْتَلَمْتَهُ ، وَزَرْتَ قَبْرَ الرَّسُولِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَشَافَهُاَ لِمَشْهَدِهِ ، وَمُبَاشَرًا لِمَسْجِدِهِ ،
وَمَشَاهِدًا لِمَبْدِئِهِ وَمَحْضَرِهِ ، وَمَاشِيًا بَيْنَ قَبْرِهِ وَمِنْبَرِهِ ، وَمُصَلِيًا عَلَيْهِ حَيْثُ صَلَّى ،
وَمُتَّقِرِبًا إِلَيْهِ بِالْقُرَابَةِ الْعُظْمَى ، وَعُدَّتْ وَثَوَابُكَ مَسْطُورًا ، وَذَنْبُكَ مَغْفُورًا ،
وَتِجَارَتُكَ رَابِحَةً ، وَالْبَرَكَاتُ إِلَيْكَ غَادِيَةٌ رَائِحَةٌ . تَلَقَّى اللَّهُ دَعَاكَ بِالإِجَابَةِ ،
وَأَسْتَغْفَارِكَ بِالرُّضَا ، وَأَمْلَكَ بِالنَّجْحِ ، وَجَعَلَ سَعْيَكَ مَشْكُورًا ، وَحَجَّكَ مَبْرُورًا .
عَرَّفَ اللَّهُ مَوْلَايَ مِنْ مَنَاجِحِ مَا نَوَاهُ وَأَتَاهُ ، وَقَصْدِهِ وَتَوَخَاهُ ، مَا يُسَعِدُهُ فِي دُنْيَاهُ ،
وَيُحْمَدُ عُقْبَاهُ .

فِي أَلْفَاظِ التَّهْنِئَةِ بِالْإِطْلَاقِ مِنَ الْحَبْسِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدُ الْإِخْلَاصِ ، عَلَى حُسْنِ الْخَلَاصِ . قَدْ فَكَّ مِنْ حَلْقِ الْإِسَارِ
وَأَنْقَذَ مِنْ حَدِّ الشِّفَارِ ، وَأَقْضَى مِنْ ذَلَّةِ رِقٍ ، إِلَى عِزَّةِ عِتْقٍ . مِنْ تَصْلِيَةِ جَحِيمٍ ،
إِلَى جَنَّةِ نَعِيمٍ . خَرَجَ مِنَ الْعِقَالِ ، خَرُوجَ السِّيفِ مِنَ الصِّقَالِ ، خَرَجَ مِنْ
إِسَارِهِ ، خَرُوجَ الْبَدْرِ مِنْ سَرَارِهِ . الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَكَّ أَسْرًا ، وَجَعَلَ مِنْ بَعْدِ
عُسْرِ يُسْرًا . خَرَجَ قَمَرُ الْفَضْلِ مِنْ سَرَارِهِ ، وَأَنَارَ فِي فَلَكِ مَدَارِهِ ، خَرَجَ مِنْ
الْبَلَاءِ ، خَرُوجَ السِّيفِ مِنَ الْجَلَاءِ . أُرْخِيَ عَنْهُ ضَيْقَ الْخَنَاقِ ، وَأُطْلِقَ مِنْ أَسْرِ
الْوَثَاقِ . قَدْ جَعَلَ لَهُ مِنْ مَضَائِقِ الْأَمْرِ مَخْرَجًا نَجِيحًا ، وَفِي مَغَالِقِ الْأَحْوَالِ
مَسْرَحًا فَسِيحًا .

التهنئة باقبال شهر رمضان وما يتصل بها من الأدعية

ساق الله إليك سعادة إلهاله، وعرفك بركة كماله. أسهم الله لك في فضله، ووفّقك لفرضه ونفّله. لَقَّاكَ الله فيه ما ترجوه، ورَفَّاكَ إلى ما تحب فيما يتلوه. جعل الله ما أظلك من هذا الصَّوم مقروناً بأفضل القبول. مُؤَذِّناً بِدَرْكِ الْبُغْيَةِ ونُجَحِ المأمول، ولا أخلاك من ير مرفوع، ودُعَاءِ مسموع. قابل الله بالقبول صيامك، وبِعَظِيمِ المَثُوبَةِ تهجّدك وقيامك. عرفك الله من بركاته ما يُربي على عدد الصائمين والقاتمين، ووفّقك لتحصيل أجر المتهمّدين المجتهدين. أسأل الله أن يُضاعف يُمنه لك، ويجعله وسيلةً مقبولة إلى مرضاته عنك. أعاد الله إلى مولاي أمثاله، وتقبّل فيه أعماله، وأصلح في الدين والدُّنيا أحواله، وبلغه منها آماله. أسعده الله بهذا الشهر، ووفّاه فيه أجزل المَثُوبَةِ والأجر، ووفّر حظّه من كل ما يرتفع من دُعَاءِ الدّاعين، وينزل من ثواب العاملين، وتقبّل مساعيه وزكاها، ورفع درجاته وأعلاها، وبلغه من الآمال مُنتهاها، وأظفّره بأبعدها وأقصاها.

الأدعية في التهنئة بالعيد

عاودتك السعود، ما عاد عيد وأخضر عود. عاد السرور إليك في هذا العيد، وجعله الله مُبَشِّراً بِالْجَدِّ السعيد، والخير العتيد، والعمر المديد، جعلك الله من كل ما دُعي ويدعى به في الأعياد، آخذاً بأكمل الحظوظ والأعداد، أفطر وأكباد أعدائك تنفطر، والدُّنيا بعينيك تنظر وبالسعود تُبشّر. أسعد الله سيدي بهذا العيد سعادةً توفّر من الخير أقسامه، وتَقْصُرَ على النُّعمى أيامه، وتحقّق آماله، وتزكي أعماله. جعل الله أيامه توارىخ وأعيادا، وجعل له السَّعادات آماداً وأمداداً.

ما يختص منها بالاضحى

يا أكرم من أمسى وأضحى، سعدت بطلعة الأضحى. عرفك الله فيه من

السَّعَادَاتِ مَا يُرَبِّي عَلَى عِدَدٍ مِنْ حِجٍّ وَاعْتَمَرٍ، وَسَعَى وَنَحَرَ، وَمَا يُرَبِّي عَلَى عِدَدٍ مِنْ حِجٍّ، وَعَجَّ وَثَجَّ. أَسْعَدَ اللَّهُ مَوْلَايَ بِهَذَا الْعِيدِ سَعَادَةً تَجْمَعُ بِهِ حِفْظُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمُصَالِحُ الْعَاجِلَةِ وَالْآجِلَةِ، وَجَعَلَ أَعَادِيهِ كَأَضَاحِيهِ، وَأَوْلِيَاءَهُ الْمُسْرُورِينَ الْمُحِبُّورِينَ فِيهِ، وَقَضَى لَهُ بِكَفَايَةِ الْمَهْمِ، وَالْحَيَاطَةِ مِنَ السُّوءِ الْمُلَمِّ.

التهنئة بالنيروز وفصل الربيع

هَذَا الْيَوْمُ مِنَ الْأَيَّامِ، كَسَيْدِنَا فِي الْأَنَامِ. هَذَا الْيَوْمُ غُرَّةٌ فِي وَجْهِ الدَّهْرِ، وَتَاجٌ عَلَى مَفْرَقِ الْعَصْرِ. أَسْعَدَ اللَّهُ مَوْلَايَ بِنِيروزِهِ الْوَارِدِ عَلَيْهِ، وَأَعَادَهُ كَيْفَ شَاءَ مَا شَاءَ إِلَيْهِ. أَسْعَدَ اللَّهُ سَيِّدَنَا بِالنِّيروزِ الطَّالِعِ عَلَيْهِ بِبَرَكَاتِهِ، وَأَيْمَنَ طَائِرُهُ فِي جَمِيعِ أَيَّامِهِ وَمُتَصَرِّفَاتِهِ، وَلَا زَالٍ يَلْبَسُ الْأَيَّامُ فَيْبِلِيهَا وَهُوَ جَدِيدٌ، وَيَقْطَعُ مَسَافَةً سَعْدَهَا وَنَحْسَهَا وَهُوَ سَعِيدٌ. أَقْبَلَ النِّيروزُ إِلَى سَيِّدِنَا نَاشِراً حُلَّهُ الَّتِي اسْتَعَارَهَا مِنْ شَيْمَتِهِ، وَمُبْدِئاً حُلِيهِ الَّتِي أَخَذَهَا مِنْ سَجِيَّتِهِ، وَمُسْتَصْحِباً مِنْ أَنْوَارِهِ مَا أَكْتَسَاهُ عَنْ مُحَاسِنِ أَيَّامِهِ، وَمِنْ أَمْطَارِهِ مَا أَقْتَبَسَهُ عَنْ جُودِهِ وَإِنْعَامِهِ، وَمُؤَكِّدَ الْوَعْدِ بِطُولِ بَقَائِهِ حَتَّى يُمَلِّىَ الْعُمُرَ، وَيَسْتَغْفِرَ الدَّهْرَ. سَيِّدُنَا الرَّبِيعُ الَّذِي لَا يَذْبُلُ شَجَرُهُ، وَلَا يَنْقُطُ ثَمَرُهُ، وَلَا يُقْلَعُ غَمَامُهُ، وَلَا تُبْتَذَلُ أَيَّامُهُ، فَأَسْعَدَهُ اللَّهُ بِهَذَا الرَّبِيعِ الْمُتَشَبِّهِ بِأَخْلَاقِهِ وَإِنْ لَمْ يَنْلِ قَدْرَهَا وَلَمْ يُحْصَلْ فَضْلُهَا، وَلَمْ يَجِدْ بَدْءاً مِنَ الْإِقْرَارِ لَهَا. سَيِّدُنَا الرَّبِيعُ الَّذِي يَتَّصِلُ مَطَرُهُ، مِنْ حَيْثُ يُؤْمَنُ ضَرَرُهُ، وَيَدُومُ زَهْرُهُ، مِنْ حَيْثُ يُتَعَجَّلُ ثَمَرُهُ. فَلَا زَالٍ أَمراً نَاهِياً، سَامِياً عَالِياً، تَتَهَنَّأُ الْأَعْيَادُ بِمُصَادَفَةِ سُلْطَانِهِ، وَتَسْتَفِيدُ الْمُحَاسِنُ مِنْ رِيَاضِ إِحْسَانِهِ. أَسْعَدَ اللَّهُ سَيِّدَنَا بِهَذَا النِّيروزِ الْحَاضِرِ، وَالْيَوْمِ الْجَدِيدِ النَّاضِرِ. سَعَادَةٌ تَسْتَمِرُّ لَهُ فِي جَمِيعِ أَيَّامِهِ عَلَى الْعُمُومِ دُونَ الْخُصُوصِ، لِتَكُونَ مُشْتَبِهَاتٍ فِي اكْتِنَافِ الْمَوَاهِبِ لَهَا، وَاتِّصَالِ الْمَسَارِّ فِيهَا، لَا تَفْرُقُ إِلَّا بِمَقْدَارٍ يَزِيدُ الْآتِلِي، عَلَى الْخَالِي، وَتَنْتَدِجُ الْآتِي، إِلَى الْمَاضِي.

التهنئة بالمهرجان

عرّف الله سيدنا بركة هذا المهرجان، وأسعده فيه وفي كلّ أوّانٍ وزمان وأبقاه ما شاء في ظلّ الأمان والأمان. هذا اليوم من محاسن الدُّهور المشهورة، وفضائل الأزمنة المذكورة، فلقى الله سيدنا بوروده، وأجزل حظّه من أقسام سعوده. هذا اليوم من غُرره الدُّهور، ومواسم السُّرور، مُعظّم في الأصل الفارسي، مستطرف بالملك العربي. فوفّر الله فيه على مولاي السُّعادات، وعرفه في سائر أيامه البركات، على الساعات واللحظات.

اقامة رسم الهدية في النيروز والمهرجان وغيرهما من الأيام الغر بمثل هذا اليوم الجديد، والأوان السعيد، سنّة على مثلي فيها أن يُهدي ويُلاطف، وعلى مثل سيدنا ولا مثل له أن يقبل ويُشرف. لليوم رَسْمٌ إن أخل به الأولياء عُدَّ هَفْوَة، وإن منع منه الرُّؤساء حُسب جَفْوَة، ومولاي يُسوغني الدّالة فيما اقترن بالترقة، ويكسبني بذلك أتمّ التّشرف والرفعة، الهدايا تكون من الرُّؤساء مُكاثرة بالفضل، ومن النظراء مُقارضة بالمثل، ومن الأولياء ملاطفة. بالقل، وقد سلكت مع مولاي في إقامة رسم هذا اليوم سبيل أهل طبقتي من الأتباع، مع أهل طبقته من الأرباب. قد حملت إلى مولاي هديّة الملاطف، لا هدية المحتفل، والنفس له والمال منه. العبيد تلاطف ولا تكاثر الموالى في هداياها، والموالى تقبل الميسور منها قبولاً محسوباً في عطاياها. أنا في المودة لمولاي كنفسه، وفي الطاعة كيدّه، وفي الاختصاص به كأحد أهله، وإنما الطفه من فضله، وقد بعثت بما يستخدمه في سفره.

اهداء أهل الدفاتر وآلات الكتاب والآداب والعلوم

حضرة مولاي تجل أن يُهدي إليها غير الكتب التي لا يترفع عنها كبير، ولا يمتنع منها خطير. قد أفكرت فيما أتقرب به مقيماً الرّسم في جملة الخدم،

حافظاً الاسم في غمار الحشَم . فلم أجد إلا الرّق الذي سبق ملكه له ،
والمال الذي منحه وخوّله ، فعدلت إلى الأدب الذي تنفق سوقه بباب سيدنا
ولا تكسُد ، وتهبُّ ريحه في جنبه ولا تَرُكد ، وأنفذت كتاب كذا راجياً أن
أُشرف بقبوله ، ويوقّع إلي بحصوله . لما حظر على ذوي الاختصاص سيدنا
إهداء ما جرت العادة بتسامي الأولياء إلى الاحتشاد في إهدائه ، وجب العُدول
في إقامة رسم الخدمة إلى اتباع ما صدر عنه من الرخصة في ما تسهل كُلفتُهُ ،
وتجلُّ عند ذوي الاخطار قيمته ، وتحلو ثمرته ، وهو علم يُقتنى ، وأدبٌ
يجتنى .

آخر كتاب ألتهاني وألتهادي وما ينخرط في سلكهما ، والله الحمد
وبه الحول والقوّة

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب التعازي وما يليق بها

وصف الخبر الهائل المزعج

خبرٌ عزَّ عليَّ مَسْمَعُهُ، وأثّر في القلب مَوْقِعُهُ. خبرٌ تستك له المسماع، وترتجُّ له الأضالع. خبرٌ تسقط منه الحبالى، وتصحو له السكارى. خبرٌ ما تلتقي شفتاي بذكره، ولا يثبت بالي بخطرهِ. خبرٌ يهْدُ الرواسي، ويفلق الحجر القاسي. خبرٌ كادت له القلوب تطير، وألعقول تطيش، والنُّفوس تطيح. خبرٌ يخفض الناظر ويُقْذِيهِ، ويقبض الأمل ويقدح فيه. خبرٌ أخرج الصِّدْرَ، وأحلَّ البُكَاءَ وحرَّم الصبر، وأطار واقع السكون، وأثار كامن الوجوم، وثقلت وطأته على أجزاء النفس، وتأذت مَعْرَتُهُ إلى سوء القلب. خبرٌ يُشيب الوليد، ويذيب الحديد.

الكناية عن موت الرؤساء والأعزة

انقضت أيامه، استأثر الله به. انتقل إلى جوار ربّه. انقلب إلى كرامة الله وعفوه. خانته عمره. لم تَسْمَحِ النُّوائب بالتَّجافي عن مُهْجَتِهِ. أجب داعي ربّه. نفذ قضاء الله فيه. لحق بالسبيل التي لا احتزار منها، ولا مجاز عنها. قبضه الله إليه. أسعده الله بجواره. دعاه الله فأجاب دُعَاءَهُ، ولبى نِداءَهُ. نقله الله إلى دار رضوانه، ومحل غُفرانه. ناداه الله فلَبَّاهُ وفارق دُنْيَاهُ. قضت عليه

المشيئة، فأرتجعت تفني العطية، وخانتة الأمانة، واستأثرت به المنية. كتبت له سعادة المحتضر، وأنتهى به الأمر إلى الأجل المنتظر. عِلَّةُ ترامت به إلى أنقضاء نَحْبِهِ، ولقاء ربه. طَرَفَهُ طَارِقُ المَقْدَارِ، واختار الله له النقلة من دار البوار إلى دار القرار. تداولته أَلْعَلُّ المَتَطَاوِلَةِ، وآلت به إلى ما كل نفسٍ إليه آيله. أفضى من غصارة هذه الدُّنْيَا، إلى قرارة داره بآخرة.

ذكر النعي بالفقد

قد كان من الحق أنه تنقبض الألسن عن هذا النعي لفادح وتخرس، وتقصّر الأيدي عن التّعزية بهذا الرّزء أَلْفَادِحٍ وتيبس، يا سوء صباحٍ أتى فيه الخبر فرأينا الرّجاء قد أنقطع، وأصم به الناعي وقد أسمع. نعيٌ ورد فأكد وفجع. ناعي أَلْفَضَائِلَ قائم، وأنف المحاسن راغم. نُعْيٍ من لا أسمىه إكباراً، ولا أكنيه إعظاماً. فحقيقٌ هو بأن تخرس نُعَاةً فقدته، وتحرم رُسُومَ التعازي من بعده.

نعي الملوك والأجلة وذكر سوء آثار المصائب فيهم

أتى الناعي بأنهداد الطُود المنيع، وزوال الجبل الرُفيع. قد نَعَتَهُ السَّمَاءُ صائحة، والأرض نائحة. كتبت والأرض راجفة، وآل شمس كاسفة، للرّزء العظيم، والمصاب الجسيم، في فَلَكِ المُلْكِ، ورُكْنِ المَجْدِ، وقريع الشّرق والغرب. ما عسى أن يقال في أَلْفَلَكِ الأعلى إذا أنهار من جوانبه، وتهافت من مناكبه. أتى الناعي، ونُذِبَتِ المساعي، وقامت بواكي المجد، وكُسِفَتِ شمس الفضل، وعاد النّهار أسود، وآل عيش أنكد. غرب بموته نجم الفضل، وكسدت سوق الأدب، وقامت نَوَادِبُ السُّمَاحَةِ، ووقف فَلَكُ الكرم، ولَطَمَتِ عليه أَلْمَحَاسِنُ خُدُودَهَا، وشَقَّتْ عليه المناقب جيوبها. قد كانت الرّزية بحيث مارت أَلْسَمَاءُ مَوْرًا، وسارت الجبال سِيراً، حتى شوهدت الكواكب

ظُهِرَا، ثُمَّ تَهَاوَتْ شَفَعَاوَتَرَا. قَبَضَهُ اللَّهُ فَأَرْتَاعَتِ الْأَمَّةَ، وَأَنْبَسَطَتِ الظُّلْمَةُ،
وَوَقَفَتِ الرَّحْمَةُ وَأَضْطَرَبَتِ الْمَلَّةُ، وَقَامَتِ نَوَادِبُ الْمَجْدِ، وَأَصْبَحَ النَّاسُ مِنْ
الْقِيَامَةِ عَلَى وَعْدٍ. إِنَّ الْمُصَابَ بِهِ فَتَّ الْأَعْضَادَ، وَفَتَّتِ الْأَكْبَادَ. إِنَّ الْمَجْدَ
بَعْدَهُ لَجَارِي الدَّمْعِ، وَإِنَّ الْفَضْلَ لَمَزْعَجِ النَّفْسِ، وَإِنَّ الْكَرَّمَ لِحَرَجِ الصَّدْرِ،
وَإِنَّ الْمَلِكَ لَوَاهِي الظَّهِرِ. كِتَابِي وَأَنَا مِنَ الْحَيَاةِ مُتَذَمِّمٌ، وَبِالْعَيْشِ مُتَبَرِّمٌ. بَعْدَ
مَا هَوَى السُّطُودَ الْأَشَاخِ، وَزَالَ الْجِبَلَ الْبَاذِخَ، وَنَطَقَتِ نَوَادِبُ الْمَجْدِ، وَأُقِيمَتِ
مَاتَمُ الْفَضْلِ. نَعِي فَلَانٌ فَتَنَكَرَ وَجْهَ الدَّهْرِ، وَقُبِضَتْ مُهْجَةٌ أَلْعَزُ وَالْفَخْرُ. فَلَا
قَلْبَ إِلَّا قَدْ تَبَيَّنَ صَدْعُهُ، وَلَا عَيْنَ إِلَّا وَهِيَ تَرْشَحُ بِالْدَّمِ.

ما يختص من ذلك بأبناء النبوة

قَدْ نَعِي سَلِيلٌ مِنْ سُلَالَةِ النَّبُوَّةِ، وَفَرَعٌ مِنْ شَجَرَةِ الرِّسَالَةِ، وَعُضْوٌ مِنْ
أَعْضَاءِ الرُّسُولِ، وَجُزْءٌ مِنْ أَجْزَاءِ الْوَصِيِّ وَالبَتُولِ، كَتَبْتُ وَلِيْتَنِي مَا كَتَبْتُ فَإِنِّي
نَاعِي الْفَضْلَ مِنْ أَقْطَارِهِ، وَدَاعِي الْمَجْدَ إِلَى شِقِّ ثَوْبِهِ وَصَدَارِهِ، وَمَخْبِرٌ بِأَنَّ
شَمْسَ الشَّرَفِ كَاسَفَةٌ، وَأَرْضُ الْكَرَمِ رَاجِفَةٌ، وَالْمَآثِرُ مَوْدَعَةٌ، وَبَقَايَا النَّبُوَّةِ
مُرْتَفَعَةٌ، وَأَمَالُ الْإِمَامَةِ مُنْقَطِعَةٌ، وَالْدِّينُ مُنْخَزَلٌ وَاجِمٌ، وَلِلتَّقْوَى دِمْعَانٌ هَامٍ
وَسَاجِمٌ. كِتَابِي وَقَدْ شَلَّتْ يَمِينُ الدَّهْرِ، وَقُقْتُ عَيْنُ الْمَجْدِ، وَقَصُرَ بَاعُ
الْفَضْلِ، وَكَسَفَتْ شَمْسُ الْمَسَاعِي، وَخَسَفَتْ قَمَرُ الْمَعَالِي، وَتَجَدَّدَ فِي بَيْتِ
الرِّسَالَةِ رُزْءُ جَدِّ الْمَصَائِبِ، وَاسْتَعَادَ النُّوَابِثُ، كُلُّ هَذَا لَفَقْدٍ مِنْ حِطِّ الْكَرَمِ
بِرَبْعِهِ ثُمَّ أُدْرِجُ فِي بُرْدِهِ، وَأَمْتَرُجُ الْمَجْدَ فُذْفَنَ بِدَفْنِهِ. إِنَّهَا الْمَصِيبَةُ عَمَّتْ بَيْتَ
الرِّسَالَةِ، وَغَضَبَتْ طَرْفَ الْإِمَامَةِ، وَتَحْيَيْفَتْ جَانِبَ الْوَحْيِ الْمَنْزَلِ، وَأَذْكَرَتْ
بِمَوْتِ النَّبِيِّ الْمُرْسَلِ. كَتَبْتُ تَنَعِي مُهْجَتَهُ وَالْمَجْدَ يَنْدِبُ بِهَيْجَتِهِ، وَمَهَابِطِ
الْوَحْيِ وَالرِّسَالَةِ تَحْنِي ظُهُورَهَا أَسْفَاءً، وَمَعَادِنُ الْوَصِيَّةِ وَالْإِمَامَةِ تَذْرِي دُمُوعَهَا لَهْفًا،
وَذَاكَ لِأَنَّ حَادِثَ قَضَاءِ اللَّهِ اسْتَأْثَرَ بِفَرْعِ النَّبُوَّةِ، وَعُغْصُرُ الدِّينِ وَالْمُرُوءَةِ.

ذكر البكاء

كُتِبَتْ وَأَلْأَحْشَاءُ مُحْتَرَقَةٌ، وَالْأَجْفَانُ بِمَائِهَا غُرْقَةٌ. الدَّمْعُ وَاكْفُ، وَالْحُزْنُ عَاكِفٌ. مُصَابٌ أَطْلَقَ أَسْرَابَ الدَّمُوعِ وَفَرَقَهَا، وَأَقْلَقَ أَعْشَارَ الْقُلُوبِ وَأَحْرَقَهَا. مُصَابٌ فَضَّ عُقُودَ الدَّمُوعِ، وَشَبَّ النَّارَ بَيْنَ الضَّلُوعِ. مُصَابٌ أَذَابَ الدَّمُوعَ الْجَامِدَةَ، وَالْهَبَّ أَلْهَمُومَ الْخَامِدَةَ. تَحَلَّيْتُ سَحَابَ الدَّمُوعِ الْغِزَارَ، وَأَنْسَدْتُ مَسَالِكَ السَّكُونِ وَالْأَسْتِقْرَارِ. كُتِبْتُ عَنْ عَيْنٍ تَدْمَعُ، وَقَلْبٍ يَجْزَعُ. وَنَفْسٍ تَهْلَعُ. قَدْ أَذَلَّتْ حِصُونَ الْبَرَّةِ، وَحَجَبَتْ وَافِدَ الْحَبْرَةِ. قَدْ مَدَّ الْهَمُّ إِلَى جِسْمِي يَدَ السَّقَمِ، وَجَرَّ الدَّمْعُ عَلَى خَدَيَّ ذُبُولَ الدَّمِّ. لَوْلَا أَنَّ الْعَيْنَ بِالْذَّمْعِ وَالْذَّمَّ انْطَقَ مِنْ كُلِّ لِسَانٍ وَقَلَمٍ، لَأَخْبَرْتَ عَنْ بَعْضِ مَا أَوْهَنَ ظَهْرِي، وَأَوْهَى أَرْزِي.

ذكر الاستراحة بالبكاء والجزع

إِنَّ الْفَجِيعَةَ إِذَا لَمْ تَحَارِبْ بِجَيْشٍ مِنَ الْبُكَاءِ، وَلَمْ يُخَفَّفْ مِنْ أَثْقَالِهَا بِالنَّشِيجِ وَالْأَشْتِكَاءِ تَضَاعَفَ دَاوُهَا، وَزَادَتْ أَعْيَاوُهَا، وَعَزَّ وَأَعُوزَ دَوَاوُهَا. قَدْ شَفِيتُ غَلِيلِي بِمَا أَسْتَدْرَرْتَهُ مِنْ أَسْرَابِ الدَّمُوعِ الْمُتَحِيرَةِ، وَخَفَّفْتُ عَنِّي بَعْضَ الْبُرْجَاءِ بِمَا أَمْتَرَيْتَهُ مِنْ أَخْلَافِهَا الْمُتَحَدِّرَةِ. إِنْ فِي إِسْبَالِ الْعَبْرَةِ، وَإِطْلَاقِ الزَّفَرَةِ، وَالْأَجْهَاشِ بِالْبُكَاءِ وَالنَّشِيجِ، وَإِعْلَانِ الصِّيَاحِ وَالضُّجُجِ تَنْفِيساً مِنْ بُرْحَاءِ الْقُلُوبِ، وَتَخْفِيفاً مِنْ أَثْقَالِ الْكُرُوبِ.

وصف عظم المصيبة وثقل وطأتها

أَتَى أَلْدَهْرُ بِمَا هَدَّ الْأَصْلَابُ، وَأَطَارَ الْأَلْبَابُ مِنَ النَّازِلَةِ الْهَائِلَةِ، وَالْفَجِيعَةِ الْفَظِيعَةِ. يَا لَهَا مِنْ حَادِثَةٍ كَارِثَةٍ حَسُنَتْ لِي الْغُلُوفُ فِي الْإِعْتِمَامِ، وَأَذَكَّرْتَنِي بِفَقْدِ الْأَعْزَةِ وَالْأَعْمَامِ. رُزُّهُ أَضْعَفَ الْعِزَائِمَ الْقَوِيَّةَ، وَأَبْكَى الْعَيُونَ الْبَكِيَّةَ، مُصِيبَةً زَلْزَلَتْ الْأَرْضَ، وَهَدَمَتْ الْكُرْمَ الْمُحَضَّضَ. مُصِيبَةٌ سَلَبَتْ الْأَجْفَانُ كِرَاهَا، وَالْأَبْدَانُ قُورَاهَا. فَجِيعَةٌ لَا يُدَاوِي كَلِمَهَا آسٍ، وَلَا يَسُدُّ ثَلَمَهَا تَنَاسٍ. مُصِيبَةٌ

أُلمت فآلمت، وثمَلت فكلمت، وتركت النفوس مؤلَّهة، والعُقُول مُدلَّهة. رُزء هُضَّ وهاض، وأطال آلانخزال والانخفاض، ولم يرض بأن فضَّ الأعضاء حتى أفاض آلِدِماء. رُزء ملأ الصُّدور آرتِباعاً، وقَسَم الألباب شعاعاً، وترك العقول مجروحة، وآلذُموع مسفوحة، وآلقوى مهْدُودة، وطُرُق آلْعِزَّاء مَسدودة، ورُزء نكأ القلوب وجرحها، وآحر الاكباد وآقرحها. مُصيبة آفرحت آلأكباد، وآوهنت الأعضاء، وسودت وُجوه المكارم والمعالى، وآعادت آلأيام في صُور آلليالى.

ذكر الانخزال وكسوف البال والجزع والتوجع والاكتئاب لحادث المصاب
كتبت عن أجفانٍ شَرِقةٍ بِالذُموع، ونيرانٍ مُتقدِّةٍ بين آلأحشاء وآلضُلوع،
وبنانٍ تَوَدُّ لو بانت قبل أن تَخُطَّ بذكر نازل آلخُطَّة، ونَفْسٍ أَشاطت بها بلبالُ
آلهموم آلْمُشْتَطَّة. كتبتُ وآلنَفْسُ في شدة الانخزال وآلْكَمَد، وفقد آلاصطبار
وآلجَلَد، عَلى ما لا يستطاع ذكره، فكيف يُتَحَمَل ثَقْلُه. ما لي يدُّ تَخُطُّ إِلا
بِكُلْفَةٍ، ولا نفس تتردد إِلا عَلى غُصَّة، ولا عَينٌ تنظر إِلا من وراء قذى، ولا
صَدْرٌ ينطوي إِلا عَلى أذى. الذُموع واكِفَة، وآلقلوب واجفَة، وآلهم وارِد،
وآلأنس شارِد، وآلنَاسُ ماتَمهم عليه واحد، اين منى كندة تأسف عَلى حُجر،
أم إلخنساء تبكى عَلى صخر. كم عُبرَة وزفرة، وأنَّةٍ وحسرة، وكم تَمَلُّم
وآضطراب، وكم آشتعال وآلتهاب. مُصيبةٌ أَصبحتُ لها وقيد غُمة، وآخِذ
كُربة، ما أم سبعة ركبوا الجياد، وشهروا السيوف الحداد نُعوا إلها قتيلا بعد
قتيل، وعُرضوا عليها صريعاً بعد صريع، بأشد منى انخزالا وآضعف بالاً،
وآصدق تَقَلُّلاً، وأكثر تملُّلاً. ملك الجزع صبري وعزائي، وجعل ناظري
في إَسار بُكائى، فآلقلب دَهْشٌ، وآلبنان مُرتَعشٌ، وآنا من آلبقاء مُستوحش.
كتبت عن قَلْبٍ يَزِيدُ ولا يَفُتِّر، وجَزَعٍ يتضاعفُ ولا يَضَعُفُ. انتهى بن الَهْلَع
إلى حيث لا التأسى مُصحب، ولا آلتناسى مُصاحب. انزعاجٌ يَحُلُّ عُقُود

الحزم، وأكتساب يُنْقَضُ شروط العزم. قد بلغ الحُزْنُ مني مبلغاً لم أبتدله للنوائب وإن جَلَّتْ وقعاً، وبلغ مني منالاً لم يؤمله طُرُوق المصائب وإن عظمت فجعاً. كتبتُ عن اضطراب نفس، واضطراب صدر، والتهاب قلب، وأنتهاب صبر.

التأبين والندبة

ما أعظمه مفقوداً، وأكرمه ملحوداً. إني لأنوح عليه بنوح المناقب، وأرثيه مع النجوم الثواقب، وأبكيه مع المحاسن والمعالي، وأثنى عليه بشأن المآثر والمساغي. ليت يمين الدَّهر شَلَّتْ قبل أن فتكت بمُهجة آلفضل، وعين الزمان كُفَّتْ قبل أن رأت مصرع الفخر. لقد رُزْنَا من فلان عالماً في شخص، وأمة في نفس. مضى والمحاسن تبكيه، والمناقب تعزى فيه، لَمَّا قرَّت به العيون، أسخنت فيه المَنون، ولما أنشِرت به الصدور، قبضها لفقده المقدور. على المحاسن من بعده العفاء، ولا أنبت الأرض ولا جادت السماء. قد ركب الأعناق، بعد العِناق، وعلا الأجياد، بعد الجياد، وفاح فتيئ المسك من مآثره، كما كان يفوح من مجامره. كان منزله مآلف الأضياف، ومأنس الأشراف، ومنتجع الركب، ومقصد الوفد. فاستبدل بالأنس وحشة، وبالنضارة عُبرة، وبالأضياء ظلمة، واعتاض من تراحم المواكب تلادم المآثم، ومن ضجيج النداء والصهيل، عجيج البكاء والعويل. هذي المكارم تبكي شجوها لفقده، وتلبس جدادها من بعده، وهذه المحاسن قد قامت نوادبها مع نوادبه، واقتترنت مصائبها بمصائبه. ما أقبح العيش من بعده، وما أنكر العمر مع بعده.

في أن الفدية لا تغني

لو قبلت في فلان ألفدية لوقَّيته بنفسي، وأيام عمري. علما بأن العيش

بمثله من إخوان الصفاء يصفو، وبظعنه عن الدنيا يَكُدر ويعفو. لو أمكن
أفتداؤه بأنفس الذخائر، وأعز الاملاك والممالك لكنا أحقَاء بإرخاص كلّ علق
نفس، وبذل كلّ مُلك كريم. لو وُقي منه عزيز قوم لعزته، أو كبيرُ أهل بيت
بولده وأسرته، أو قوي سلطان باستطالته وقدرته، أو زعيم دولة بحشده وعدده
لكان الماضي أولى من فُدي، وأحقّ من وُقي، وكُنّا أقدر الناس على دفع ما
حدث وطرق، وذَبّ ما كَرث وأرْهق، لكنه الأمرُ المُسوى فيه بين من عزّ جانبه
وذَلّ، وكَثُر ماله وقلّ، حتى تأسى المفضول بالفاضل، والناقص بالكمال.

ما يقع من كتب التعازي من وصف الدهر

هو الدهر فلا تعجب من طواره، ولا تنكر هجوم بوائقه، عطاؤه في ضمان
الارتجاع، وجباؤه في قران الانتزاع. الدهر ما عرفت، وعلى ما خبرت، فلا
نُكر إذا فجع بالذخائر، ولا غرّوَ إذا استأثر بالأخاير. هو الدهر وعلاجه الصبر
لا تهنأ فيه المواهب، حتى تتخلّلها المصائب، ولا تصفو فيه المشارب، حتى
تكدرها الشوائب. من عَرَف الزّمان، لم يستشعر منه الأمان، وتصورُ تصرّف
الحوادث بين المورث والوارث. الدهر مشحونٌ بطوارق الغير مشوبٌ صفو
أيامه بالكدر، مجروحٌ صابُه بالعسل، موصولة حبال الأمل فيه بأسباب
الأجل، يَفطم أمام تكامل الرّضاع، ويفرقّ قبل الامتاع بحُسن الاجتماع. هي
الأيام ترتجع العارية، وتتلقى بالمنية الأمنية.

ما يقع فيها من ذكر الدنيا وذمها

قد جعل الله الدنيا دار قُلعة، ومحل نُقلة. فمن راحل ليومه، ومن مدّعو
لغده، وكلُّ مُستوفٍ لأجله، وجارٍ لأمّله. ما الدنيا إلا دارُ النقلة، وما المقام
فيها إلا للرحلة. إن المرأة حقيقٌ إذا طرقه ما يتحيف صبره، ويتطرف صدره أن
يعود إلى علمه بالدنيا، كيف نُصبت على النقلة، وجُنِبَتْ طول المُهلة،

وَأَبْتَدَتْ لِلنِّفَادِ، وَشُفِعَ كَوْنُهَا بِالْفَسَادِ، وَإِنْ الثَّأْوِي بِهَا رَاحِلٌ، وَالْأَيَّامُ فِيهَا مَرَّاحِلٌ. مَوْهَبُ الدُّنْيَا مَسْلُوبٌ، وَإِنْ أُرْجِىءَ إِلَى مَهْلٍ، وَمَمْهُودَهَا مَحْرُوبٌ، وَإِنْ أُخِرَ إِلَى أَجَلٍ. لَوْ خَلَدَ مِنْ سَبَقٍ لَمَا وَسَعَتِ الْأَرْضُ مِنْ لَحَقٍ، وَلِذَلِكَ جُعِلَتِ الدَّارُ الْأُولَى مَنْزِلَ قُلْعَةٍ، وَمَحَلُّ نُجْعَةٍ، وَمَجَازاً إِلَى أُخْرَى تَزِيدُ، وَلَا تَبِيدُ. خَيْرُهَا عَتِيدٌ، وَعَمَرُهَا تَأْيِيدٌ. نَحْنُ فِي الدُّنْيَا عَلَى وَفَازٍ، وَمَجَازٍ وَجَذَارٍ وَآنْتَظَارٍ. الْحَازِمُ مَنْ لَمْ يَفْرَحْ بِمَوَاهِبِهَا، وَلَمْ يَتَضَاعَلْ لِنَوَائِبِهَا، وَلَمْ يَرِ شِيَائِهَا (كَذَا) إِلَّا كَالْخِيَالِ الْمِلْمِ، وَالْفِيءِ الْمُنْتَقِلِ، وَالْعَارِيَةِ الْمُتَرْجِعَةِ، وَالسَّحَائِبِ الْمُتَشَقِّعَةِ، مَا تَصْنَعُ بِهَذِهِ الْغَدَارَةُ الْغَرَارَةُ؟ وَهِيَ تَرْتَجِعُ أَعْزَ مَا تُعْطِي، وَتَتَزَعُّ أَحَبَّ مَا تُؤْتِي. قَدْ تَنَكَّرَتِ الدُّنْيَا حَتَّى صَارَ الْمَوْتُ أَخْفَ خُطُوبِهَا، وَأَصْغَرَ ذُنُوبَهَا فَلْيَنْظُرِ الْمَرْءُ يَمَنَةً هَلْ يَرَى إِلَّا مِحْنَةً؟ ثُمَّ لِيَعْطِفَ يَسْرَةً هَلْ يَرَى إِلَّا حَسْرَةً؟

الامر بالصبر والنهي عن الجزع

لَوْ كَانَ فِي الْجَزَعِ فَضْلٌ لَمَا تَقَدَّمَتْ فِيهِ ذَوَاتُ الْحُجُولِ وَالْحِجَالِ، عَلَى الْفُحُولِ مِنَ الرِّجَالِ. مَا تَضَعُ وَالْقَضَاءُ نَازِلٌ، وَالْمَوْتُ حُكْمٌ شَامِلٌ، وَإِنْ لَمْ نَلُذْ بِعَصْمَةِ الصَّبْرِ، فَقَدْ أَعْتَرَضْنَا عَلَى مَالِكِ الْأَمْرِ. اْعْلَمْ أَنَّ الْجَزَعَ لِلرَّبِّ مَسْخُطَةٌ، وَلِلْأَجْرِ مَحْبُطَةٌ. عَلَيْكَ عَزِيمَةُ الصَّبْرِ، وَصَرِيمَةُ الْجُلْدِ، فَإِنَّهُمَا فِي الْعَيْنِ حُتْمٌ، وَفِي الرَّأْيِ حَزْمٌ، وَلَيْسَ فِي خِلَافِهِمَا لِلْحَيِّ انْتِفَاعٌ، وَلَا لِلْمَيِّتِ ارْتِجَاعٌ. اْعْلَمْ أَنَّ الْمَتَوَفَّى لَا تَرْدَهُ نَارٌ تُلْهِبُهَا مِنَ الْهَمِّ عَلَى كِبْدِكَ، وَلَا يُرْجِعُهُ أَنْزَعَاؤُ تَسْلُطِهِ بِالْحُزَنِ عَلَى جَسَدِكَ، وَخَيْرٌ لَكَ مِنْ ذَلِكَ أَنْ تَفْعَلَ مَا يَفْعَلُهُ الذَّاكِرُونَ، وَتَقُولَ إِنْ أَلَا اللَّهُ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ. أَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ شَوَائِبَ الدَّهْرِ لَا تُدْفَعُ إِلَّا بِعِزَائِمِ الصَّبْرِ. اجْعَلْ بَيْنَ هَذِهِ اللَّوْعَةِ الْغَالِبَةِ، وَالْذَّمَّةِ السَّائِبَةِ، حَاجِباً مِنْ فَضْلِكَ، وَحَاجِزاً مِنْ عَقْلِكَ، وَمَانِعاً مِنْ يَقِينِكَ. أَنْتَ أَعْرَفُ بِالدَّهْرِ وَمَصَارِفِهِ، وَالزَّمَانِ وَمَخَافَتِهِ، مِنْ أَنْ تَدْعَ التَّمَاسُكَ وَهُوَ مَرْجِعُ اللَّيْبِ وَمَثْوَاهُ،

وتتهالك في الجزع وهو منزع الجهول ومغزاه. إن المِحن إذا لم تُعالج بالصبر، كانت كالمِنح إذا لم تُعالج بالشُّكر. إذا رأيت أن تأتي في تَوخي الصبر، واحراز الأجر ما يوجبُه الحجاب، فإنه أحرى بك وأحجى، صبراً صبرا ففحول الرجال لا تستفُزها الأيام بخطوبها، كما أن مُتون الجبال لا تهزُّها العواصف بهبوبها. المرء لا يُد سال، ولو بعد أحوال وأحوال. فما عليك أن تعجل ما يغتنمه البررة، وتقدم ما يؤخره الفجرة؟

ذكر الموت

إن الله قد سَوى بين البرية، في ورود حَوض المنية، وحملهم فيها على عدل الحكومة والقضية، لينظر كل احدٍ لنفسه، ويعلم أنه مستثمر ما أنبت من غرسه. ما حيلة الإنسان وقد خانَه أمله، وجاءه أجله، فبينما هو في رجاء، فسيح الأرجاء، إذا به قد دُعي فأجاب من دون تعريض على استعداد، ولا تنفيس لأخذ زاد. الموتُ مَشَرعٌ لا بد مَورود، وكلُّ وإن طال المدى مفقود. ما دوام أمرٍ آخره انقطاع، واتصال عطاءٍ عاقبته انتزاع؟ معلومٌ أن الموت كلُّ شارب بكاسه، ومُكتسبٍ من لباسه، وإنما هو تقدم أيام، وتأخر أعوام. وكلُّ ذي نهاية يصير كأن قد قطعت مراحلَه، ولحق بعاجله أجله. الموتُ خطبٌ عظيم حتى هان، ومس خشنٌ حتى لان، فطُن أنه مؤخر لتمام، ومُنسأ لأيام وأعوام، والمُنون تطلبه حثاً وحضاً، حتى تدركه خيباً وركضاً. هذه سبيل، فيها تعجيل وتأجيل، وإلا فالدهر كله أمس، والنفوس في مُصافحة المنية كنفس، لله ما أغوص الموت على حَبّات القلوب، وأعرفه بمودات الصدور، وأخلصه إلى مكامن الروح، وأيقظه لأناسي ألعين، فإننا لله وإننا إليه راجعون. معلومٌ أن المَورِد فيه واحد، وسيان فيه ولد ووالد. هذه فُرقة محتومة على كلِّ شمل منتظم، ومكتوبة على كلِّ حبلٍ متصلٍ وقديماً نُعيت على الناس غُربانها، وطارت في دُورهم عقبانها.

في الرضاء بقضاء الله تعالى والتسليم لحكمه

ما الحيلة وقد حلَّ الْقضاء، وفُرض الْعزاء لِقَدَرِ الله، ونزل أَلْبلاءُ الْجسيم وكُتِبَ الرِّضاءُ والتَّسليم. لا تَسْخَطُ لِقَدَرِ الله وهو عدل، ولا تَكْرَهُ لِقضاءِ الله وهو فضل. لِيُعْلَمَ أَنَّ حُكْمَ الله عَدْلٌ كَيْفَ تَصَرَّفَتْ أَلْأَقْدَارُ، ووقعت من كراهية واختيار. أَلْقضاءُ غالِب، والزَّمانُ مُعْطٍ وسالِب، ولا خِيَارَ عَلى أَلْقَدَر، ولا إِثْثارَ عَلى أَلْغَيْر. وآلله العَدْلُ، وحُكْمه الفَصْل، ومِنْ عِنْدِهِ أَلْفَضْل، قضاءِ الله ماضٍ، وهو عَدْلٌ قاضٍ. يُؤْلِي، وَيَبْتَلِي، وَيَسْلُب، وَيُعْطِي، وَيُعِير، وَيَرْجِع، وَيُمْتَع، وَيَتَنَزَّع. لَهُ الخَلْقُ، وفَعْلُهُ الحَقُّ. أَمْرُ الله لا يُقَابِلُ إِلَّا بِالرِّضاءِ، وَالصَّبْرَ عَلى ما قَضَى وأَمضى.

في حمل قضاء الله على الاصلح لعباده

مولاي أَوَّلِي مَنْ سَلَّمَ، وقد عَلِمَ مِنْ عَدْلِ الله ما عَلِمَ، وأَيَقِنُ أَنَّهُ يَحْيِي ما دَامَتِ الحَيَاةُ أَفْنَعُ وَأَرْوَحُ، وَيَمِيتُ إِذَا كانَ المَماتُ أَصْلَحَ. لَوْلا أَنَّ المَوْتَ طَرِيقَ يَسْلُكُهُ البَرِيُّ وَأَلْسَقِيمُ، وَمَشْرَعُ يَرِدُهُ أَلْبَرُّ وَأَلْأَثِيمُ، لَمَّا أَنشَرَحَ بِالْعِزِّاءِ صَدْرُ، وَلا صَحِبَ مَعَ أَلْبَلَاءِ صَبْرٍ. غَيْرَ أَنَّهُ سُنَّةُ الله فِي عِبادِهِ وَأَنْبِيائِهِ وَأَوَّلِيائِهِ. يَبْقِيهِمْ ما كانَ البَقاءُ أَعْمَرَ لِمَكَانِهِمْ، وَيَتَوَفَّاهُمْ ما كانتِ الوفاةُ أَصْلَحَ لأَدْيَانِهِمْ. إنا لله وإنا إِلَيْهِ راجعون، عِلْماً بأنَّ مَقادِيرَهُ لا تَجْري إِلَّا عَلى مَوْجِباتِ الحِكمةِ، وتَدْبِيرِهِ لا يَخْلُو مِنْ باطنِ المَصْلَحَةِ، أو ظاهِرِ النِّعْمَةِ. فِي بَقاءِ مَوْلانا ما يوجبُ التَّسْلِيمَ لما قَضَى الله وأَمضاهُ، إِذا كانَ يُدَبِّرُنَا بِأَصْلَحَ ما يَخْتارُ ويؤثِّرُ، وأَحْكَمَ ما يُقَدِّمُ وما يُؤَخِّرُ عِلْماً مِنْهُ تَعَالَى بِالْعِواقِبِ، وإِحاطَةِ بالشَّاهِدِ وَالْغائِبِ. أَحَقُّ النَّاسِ عِنْدَ حَدوثِ النِّوائِبِ، وأَعْتِراضِ الشَّوائِبِ، بِقَصْدِ التَّجَلُّدِ، وَتَرْكِ التَّبَلُّدِ، مَنْ عَلِمَ أَنَّ أَقْضِيَةَ الله جاريةٌ مَعَ الصَّلاحِ، ماضِيَةٌ عَلى الرِّشادِ، يَبْقَى ما كانَ البَقاءُ لِلْعَبْدِ أَنْظَرُ، وَيَتَوَفَّى إِذا كانَ الفَناءُ فِي الحِكمِ

أوجب. معلوم أن الله يُبقي ما كان البقاء أنجح، ويتوفى إذا كان الفناء أصلح، ولذلك قبض الأنبياء والمرسلون، وأنزل على المصطفى إنك ميت وإنهم ميتون.

ذكر الأعمار والأجال

إن أيام العُمر وساعات الدهر كمراحل معدودة، إلى وجهة مقصودة. فلا بد مع سلوكها من أنقضائها، وبلوغ الغاية عند انتهائها. للنفوس مواعيد تطلب أجالها، وللموت تغدو الوالدات سخالها. وما نحن إلا كالركب. فمن ذي منهل قصيد يبلغه دانيا، ومن ذي منزل شحط يلحقه متراخيا. مولاي يعلم أن الأعمار مُقدرة لامادها، والأجال مؤخرة لميعادها. فلا استزادة ولا استنقاص، ولا فوات ولا مناص. الأجال آماذ مضروبة، وأنفاس محسوبة ولذلك استأثر الله بوجوب البقاء، وأثر لخلقه صلة الوجود بالفناء. الأجال بيد الله، فإذا شاء مدها بحكمة وافية، وإذا شاء قصرها بلطفية خافية.

في التسلية ببقاء الباقي عن الماضي

نعمة الله في فلان عظيمة. قد جبرت الكسر، وأوجبت الصبر، وأقامت الظهر، وألزمت الشكر، والحمد لله الذي أولى كما ابتلى، وأعطى بإزاء ما اقتضى. لئن كانت المصيبة بمصرع فلان عظيمة، لقد سدّها الله من سيدي بأفضل خلف، لأمجد سلف، وأنجب فرع، لأكرم أصل. في بقاء مولاي مسلاة للجازع، وأسو للنفاجع. يا لها من حادثة كارثة، وفجيرة فظيعة. لولا أن الله سدّ ببقائك ثلمها، وداوى بالدفاع عن حوائك كلمها. في بقاء مولاي ما يلزم تخطي الأحزان، إلى شكر الله للإحسان. اللهم لا كُفران فقد أبقيت من فلان من ضمنت به شمل الأمم، وجلّت وجه الكرم. قد أعان الله على الرزية، بحسن البقية، وسهل سبيل التسلية، بعظم المزية، وجعل الموهوب،

أفضل من المسلوب. في بقاء مولاي ما سدَّ ثَلَمَ المرزية، وأغنى عن إطالة التعزية. إذا تحامت ألنوائب جانب مولاي وتوقَّته وبقَّته، وهبنا ما انتهكت، لما تركت، وتسلينا عما آحتكت، بما كفَّت عنه وأمسكت، وألشمس تسليك عما حلَّ بالقمر. مامات من خلَّفك، ولا غاب عن أهله من استخلفك. إن تكُّ أيدينا بالأمس أمسكت على القلوب خوف أنصداعها وأنزعاجها، لقد مسحت أليوم على الصدور عند أنشراحها وأنفراجها، ولئن سخنت عيون عند حدوث الحادث، لقد قرَّت عيون عند انتصاب الوارث. تأملت في أثنا الرزية، جزيل العطية. ببقاء مولاي، فرأيت ألموهوب، أكبر من المسلوب، والمبقي، أجل من المضي، فعطفت على ألبلوى بالصبر، وتلقيت الأنعمى بالشكر. من كان مثلك القائم من بعده، السادُّ ثلَمة فقدته، فهو في حكم الخالد، وإن أصبح فانيا والمقيم في أهله وإن أمسى بالعراء ثاويا. إن الزمان لا بدُّ خائن، والمقدور لا محالة كائن، وإذا بقي الله أكرم النفوس، وحرس أجل محروس. فالرز وإن جلَّ جلل، وما أتى الدهر، وإن كبر هدر. سيدي يعرف أحكام الليالي والأيام، وتصرفها بين الإعطاء والإحترام. فإذا تعدَّت أكرم الأنفس، وتجاغت عن الأنفس، وجب تجاوز الصبر، إلى الحمد لله والشكر.

فيما يجمع بين التعزية والتهنئة

قد لزمنا رفع اليدين إلى الله: واحدة تستنزل الصبر، وأخرى تتحمل الشكر. الحمد لله الذي لمَّا ارتجع أكرم العواري، بلغ أفضل الأماني، ولما امتحن بأعظم الأهوال، تطول بأشرف الأبدال. ما آكتأبنا للمنعى إلينا، حتى اغتبطنا بالمستخلف علينا، ولا أجهش باكيا عند الرزية حتى استهل ضاحكاً للعطية. الفجعة فظيعة وجيعة. كادت تذهل ألعقول، وتحبس الألسنة عن أن تقول، والأفلام عن أن تجول. إلا أن الله لطف فجعل سيدنا وارث الماضي كابراً عن كابر، وحافظاً بعده لغر الآثار والمآثر. فلم يحسر الظل حتى مده،

ولا مَكَّنَ الثَّلَمَ حتى سَدَّهُ، ولا نَقَلَ الإِحْسَانَ حتى رَدَّهُ، ولا أَوْهَنَ الْعَقْلَ حتى شَدَّهُ. قد كَانَ الرُّزْءُ أَعْظَمَ من أَنْ يَوْصَفَ هَذَا لِلْأَرْكَانِ، وَإِفَاضَةً لِلْأَحْزَانِ، فِي كُلِّ قُطْرٍ وَمَكَانٍ. إِلَّا أَنَّ اللَّهَ بَلَطْفِهِ كَشَفَ الظُّلْمَةَ، وَأَحْيَا الْأُمَّةَ، وَأَنْزَلَ الرُّحْمَةَ، وَحَسَمَ النِّقْمَةَ بَعْدَ مَوْلَانَا إِلَى سُرِيرِ سُلْطَانِهِ، وَاسْتَقَرَّارِهِ فِي عَالِي مَكَانِهِ. لَئِنْ كَانَتْ الْمُصِيبَةُ أَصَابَتْ سُوبِدَاءَ الْقَلْبِ، فَقَدْ تَدَارَكَ اللَّهُ الْعَالَمَ بِمَا أَقَرَّ سَوَادَ الْعَيْنِ. يَا لَهَا مِنْ رَزِيئَةٍ نَاحَتْ لَهَا السَّمَاءُ عَلَى الْأَرْضِ، وَأَقْلَ مَعَهَا قَمَرُ الْمَلِكِ وَالْمَجْدِ، حَتَّى تَلَا فِي اللَّهِ الْمَلِكُ بِمَوْلَانَا فَأَعَادَ بِهِ الشَّمْلَ جَمِيعًا، وَالْعَاصِي مُطِيعًا، فَقَرَّ الْأَمْرَ قَرَارِهِ، وَلَزِمَ فَلَكَ التَّدْبِيرَ مَدَارِهِ.

استظهار المشاركة والمساهمة

أَنَا أَقَاسِمُ مَوْلَايَ الْهَمُومَ وَالْمَسَارَ، وَأُسَاهِمُهُ الْمَكَارَهِ وَالْمَحَابَّ. فَلَا يَعْرِضُ لَهُ مَا يَشْغَلُ فِكْرَهُ إِلَّا أَزْعَجَ قَلْبِي، كَمَا لَا يَتَّفَقُ عِنْدَهُ مَا يَشْرَحُ صَدْرَهُ إِلَّا وَفَّرَ أُنْسِي. قَدْ شَارَكْتَ سَيِّدِي فِي الْمُصِيبَةِ مَشَارَكَةً مِنْ لَا يَتَمَيَّزُ عَنْهُ فِي مَنَحِهِ وَمَحْنِهِ، وَسُرُورِهِ وَحُزْنِهِ. كِتَابِي وَأَنَا لَا أَعْلَمُ أَغْزِيكَ أَمْ نَفْسِي، فَلَيْسَ الْمَصَابِ عِنْدَكَ بِأَعْظَمَ مِنْهُ عِنْدِي. أَنَا وَإِنْ كُنْتُ أَقَاسِمُكَ الْمَسَارَ، وَأُسَاهِمُكَ الْمَضَارَّ، فَإِنِّي لَا أَحَاسِبُ الْأَيَّامَ إِذَا تَخَطَّتْكَ، وَلَا أُنَاقِشُ سَهَامَهَا إِذَا أَخْطَأَتْكَ. لَئِنْ فَقَدْتُ مِنْ فُلَانٍ أَبًا وَعَمًّا. لَقَدْ أُوفِيتُ عَلَيْكَ أَسْفًا، وَعَلَيْهِ هُمَا. أَنَا أَقَاسِمُكَ مَصَارِفَ الْأَحْوَالِ وَمَجَارِيهَا، وَعَوَائِدَ الْأَيَّامِ وَعَوَادِيهَا، فَأَخَذَ مِمَّا شَرَحَ صَدْرُكَ بِحِظِّ الْمُبْتَهَجِ، وَمِمَّا شَغَلَ قَلْبُكَ بِقِسْطِ الْمُنْزَعِجِ. قَدْ تَحَمَّلْتَ لِمَشَارَكَتِكَ أَثْقَالًا مِنَ الْوَحْشَةِ تَنْقُصُ الصَّبْرَ، وَتَنْقُضُ الظَّهْرَ، وَمَا أَغْزِيكَ إِلَّا وَالْعِزَّاءَ لِي مُعْجِزَ، وَلَا أُسْلِيكَ إِلَّا وَالسَّلْوَ عِنْدِي مُعْزِزَ، لِاشْتِرَاكِئِنَا فِي الْإِفْرَاحِ وَالْأَحْزَانِ، وَتَعَادُلِ أَقْسَاطِنَا مِنَ الزِّيَادَةِ وَالنَّقْصَانِ.

عظات التعزية

لَا مُصِيبَةَ مَعَ الْإِيمَانِ، وَلَا مُعْزِيَ مَعَ الْقُرْآنِ، وَكَفَى بِكِتَابِ اللَّهِ مُعْزِيًا،

وبعموم الموت مُسلياً. إِنَّ الَّذِي يُخَفِّفُ ثِقْلَ الْنَوَائِبِ، وَيُحَدِّثُ السُّلُوَ عِنْدَ الْمَصَائِبِ، تَذَكَّرْ حُكْمَ اللَّهِ فِي سِيَدِ الْمُرْسَلِينَ، وَخَاتَمِ النَّبِيِّينَ مُحَمَّدٍ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ أَجْمَعِينَ. لِيَذْكُرَ مَوْلَايَ فَقَدْ أَرْسَلَهُ وَالْوَصِيَّ وَآلِ ابْنِ أَبِي تَالِبٍ وَالْحَسَنَيْنِ مِنْ مَسْمُومٍ وَمَقْتُولٍ، ثُمَّ لِيُحْصِنَ الْأَجْرَ الْمَسْجُوقَ إِلَيْهِ وَلِيَحْصِلَهُ، وَلِيَنْصِبَ أَدَبَ اللَّهِ إِزَاءَ قَلْبِهِ وَلِيَمْتَثِلَهُ. الْخُلُودُ فِي الدُّنْيَا لَا يُؤْمَلُ، وَالْفَنَاءُ لَا يُؤْمَنُ، وَلَا سَخَطُ عَلَى حُكْمِ اللَّهِ وَلَا وَحْشَةٌ مَعَ خِلَافَتِهِ، وَالْأَنْسُ بِطَاعَتِهِ، فَأَدِّمَا أَسْتَرِدَّ صَابِرًا، وَأَسْمَحْ بِمَا اسْتَرْجَعَ مُسْلِمًا. أَنْتَ تَعْرِفُ مِنْ شُرُوطِ الزَّمَانِ وَعَادَاتِهِ، وَتَخْبِرُ مِنْ شُؤْنِهِ وَتَارَاتِهِ وَتَمْلِكُ مَعَهُ حِلْمَكَ، وَتَرَاجِعُ لَهُ حَزْمَكَ، مَتَى أَتَى اللَّيَالِي بِمَا تَعَاقَبَتِ الْقُرُونُ عَلَى مِثْلِهِ، وَأَعْيَتْ الْحِيلَ دُونَ دَفْعِهِ. حَمْدًا لِإِلَهِهِ بِتَفَضُّلِ فِيهِ، وَيَسْتَرِدُّ فَيَأْجُرُ، وَيُبْقَى آثَابُ، وَيُقْنَى آحْزَنُ. كُلُّ مُصِيبَةٍ وَإِنْ عَظُمَتْ فَصَغِيرَةٌ فِي جَنْبِ ثَوَابِ اللَّهِ، ضَمِيلَةٌ بَيْنَ نَعَمِ اللَّهِ قَبْلَهَا وَبَعْدَهَا.

الادعية للمتوفي

غفر الله ذنبه، وخفف حسابه، وجعل رحمته حسبه تغمده الله بغفرانه، ومهد له في أعلى جنانه. تغمدّه الله من عفوه بما يفوت آمال المؤمنين، ويرجب له مرافقة الأنبياء والمرسلين. جعل الله فرطاته مغفورة وحسناته مشكورة. قدّس الله ثراه، وأكرم مأواه. أكرم الله مرجعه، ورحم مصرعه، وبرّد مضجعه. رَحِمَهُ اللَّهُ رَحْمَتَهُ لِلْأَبْرَارِ، وَحَطَّ عَنْهُ ثِقْلَ الْأَوْزَارِ. نَوَّرَ اللَّهُ بُرْهَانَهُ، وَأَلْبَسَهُ رِضْوَانَهُ، وَفَسَّحَ لَهُ جَنَانَهُ. غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَغْفِرَةً تُخَفِّفُ بِالرُّوحِ وَالسَّلَامِ، وَتَفْسَحُ لَهُ فِي دَارِ الْمَقَامِ. جَعَلَ اللَّهُ مَا نَقَلَهُ إِلَيْهِ، خَيْرًا مِمَّا نَقَلَهُ عَنْهُ. قَدَّسَ اللَّهُ ضَرْيَحَهُ، وَبَرَّدَ صَفِيحَهُ، وَأَفَاضَ الرَّحْمَةَ السَّابِغَةَ عَلَيْهِ، وَلَقَّنَهُ الْحُجَّةَ الْبَالِغَةَ بَيْنَ يَدَيْهِ. سَقَى اللَّهُ ضَرْيَحَهُ وَلَقِيَ (كذَا).

ما يختص منها بالملوك

وَاللَّهُ يُبَوِّئُهُ مِنْ جَنَّاتٍ عِدْنَةٍ، وَمَقَارَ أَمْنِهِ أَعْلَى مَنْزِلَةٍ رَفَعَ إِلَيْهِ عَبْدًا مُخْلِصًا

هداه، ومؤمناً آجتنابه، وولياً مَكَّنْ له في أرضه، فقام فيها بفرضه، وأصلحها بعدله، وغمر أهلها بفضله. نسأل الله أن يرحمه أتم رحمة وأوسعها، ويلقيه أفضل مغفرة وأفسحها، ويبوئه جنات النعيم التي أعدّها لأمثاله داراً، ولأشكاله قراراً، ممن أحسن السيرة في عباده وبلاده، وأنتهى إلى رضاه بوسعته وأجتهاده.

ما يختص منها بالاشراف

اللهم صلّ على شجرة هذا الغصن من كرائم أغصانها، وخصائص أفنانها، صلاة ترفع الدُّخْر، وتعلي القدر، وتمهّد في جنة المأوى، والدَّرَجَاتِ أَعْلَى. قدّس الله تلك التربة الزّكية، والأرض المرضيّة. إذ أودعت نفس الشرف والأشراف، وسر هاشم بن عبد مناف، وكيف أسسقي لها الغمام، وبحر المكارم في بطنها، وغيث الأمحال في ضمنها، وثم القبر الذي لو كنتم لنم عليه عرف الكرم، ورّيا حسن الشّيم. نقله الله إلى خِطّة الغفران، وعرصة الرضوان، حيث الرّسول، والوصيّ والبتول، والحسنان، وسائر شجر الجنان. صلوات الله عليهم ما طلع الفرقدان، وتعاقب الملوان. أقرّ الله عينه في عرصة الموقف المحذور، وأصباح المشهود المشهور بلقاء جدّه، وخيرة الله من خلقه، وأمينه على وحيه، وأداء حقّه، ووفّاه من حظوظ شفاعته، ما يزيده في علو الدَّرَجَاتِ وسبوغ الكرامات، وشرف الوقوف على الحوض المورود، وعزّ النُّشور في اليوم الموعود. رضي الله عن شقيق الكرم والمجد وعقيد الشرف المحض، وسلالة الرّسالة، وسليل الإمامة، وقدس روحه وقد قدّس، وألبسه ثوب الغفران وقد ألبس.

في الدعاء للمعزى بالصبر والاجر

ربط الله على قلبك بالتماسك الذي يؤمن من التّهالك في القلق، والتّمالك الذي يدفع عواديّ الحرق. أفرغ الله على سيدي تجلداً يضيّاهي اجتماع رأيه

وَلَبَّهٗ، وَتَصَبَّرًا يَحْفَظُ عَلَيْهِ ذَخَائِرَ جِلْمِهِ، حَتَّى يَمْنَحَهُ فِي الثَّوَابِ مَا لَمْ يَحْتَسِبْهُ
 كَمَا أَمْتَحَنَهُ مِنَ الْمُصَابِ مَا لَمْ يَرْتَقِبْهُ. وَرَثَ اللَّهُ مَوْلَايَ عَمْرَهُ، وَأَحْضَرَ سُلْوَانَهُ
 وَصَبْرَهُ، وَشَرَحَ بِالتَّسْلِيمِ صَدْرَهُ. أَعْظَمَ اللَّهُ لِسَيِّدِي مِنَ الدُّخْرِ، وَجَزَلَ الْمَثْوِيَّةَ
 وَالْأَجْرَ، وَبَعَدَ مُحَاسِنَ مَنْ فُقِدَ، وَمَحَامِدَ مَنْ عُدِمَ. وَفَقَّكَ اللَّهُ لَمَّا يَحْصُنُ
 الْأَجْرَ، وَلَا يُحْبِطُهُ، وَيُوفِّرُ الثَّوَابَ، وَلَا يُسْقِطُهُ. ثَقُلَ اللَّهُ بِهِ مِيزَانُكَ، كَمَا
 ضَاعَفَ بِقُوَّتِهِ أَحْزَانُكَ. أَحْسَنَ اللَّهُ لَكَ الْعَزَاءَ وَأَجْمَلَهُ، وَلَقَّاكَ مِنَ الصَّبْرِ أَكْمَلَهُ.
 جَبَّرَ اللَّهُ مُصَابِكَ، وَعَظَّمَ ثَوَابَكَ. آتَاكَ اللَّهُ صَبْرًا يَأْسُو كُلُّوْمُ الْمُصَابِ، وَيُحِلُّ
 عُقُودَ الْإِكْتِتَابِ. كَتَبَ اللَّهُ لَكَ مِنْ جَسِيمِ الثَّوَابِ، مَا يَصْغُرُ عِنْدَهُ عَظِيمُ
 الْمُصَابِ. كَتَبَ اللَّهُ لَكَ مِنَ الْأَجْرِ أَفْضَلَ مَا كَتَبَهُ لِمَنْ سَلَّمَ لَهُ أَمْرُهُ وَحُكْمُهُ، وَلَمْ
 يَتَسَخَّطْ قَدْرَهُ وَحَتَمَهُ.

سائر الادعية للمعزى

أَطَالَ اللَّهُ مُدَّتَكَ، وَجَعَلَ الشُّكْرَ فِي النِّعَمِي مَا دُتَكَ، وَالصَّبْرَ عَلَى الْبَلَوِ
 عُذَّتَكَ. حَرَسَ اللَّهُ مُهْجَتَكَ، وَحَرَّمَ عَلَى الْحَوَادِثِ أَعَزَّتَكَ. وَجَعَلَ مَا عَرَضَ
 خَاتِمَةَ الرِّزَايَا قِبْلَكَ، وَبَلَّغَكَ فِي دِينِكَ وَدُنْيَاكَ أَمْلَكَ. وَرَثَ اللَّهُ مَوْلَايَ عَمْرَ
 مِنْ قَدَمِهِ، وَغَفَرَ لِمَنْ آخَتَارَ لَهُ جَوَارِهِ فَاسْتَقْدَمَهُ، جَعَلَ اللَّهُ الْأَعْمَارَ صَلَةً
 لِعَمْرِهِ، وَفَقَّأَ عَنْهُ عَيُونَ الصُّرُوفِ مِنْ دَهْرِهِ. وَقَاكَ اللَّهُ فِي أَعَزَّتِكَ وَنَفْسِكَ،
 وَجَعَلَ مَسْرَّةَ غَدَاكَ مَاحِيَةً مَسَاءَةَ أَمْسِكَ. لَا أُصِيبُ إِلَّا بِمَنْ الْخَيْرَةِ لَكَ فِي
 الْبَقَاءِ بَعْدَهُ، وَلَهُ فِي التَّقْدُمِ قِبْلَكَ. مَدَّ اللَّهُ فِي مُدَّتِكَ، وَغَضَّ لَوَاحِظِ الْأَيَّامِ
 عَنْ عَقُودَتِكَ. لَا نَقْصَ اللَّهُ لَكَ عِدْدًا، وَلَا أَتْكُلُّكَ وَلَدًا، وَلَا أَشْمِتُ بِكَ
 أَحَدًا.

ما يختص منها بالملوك

أَبْقَى اللَّهُ مَوْلَانَا وَارِثًا لِلْأَعْمَارِ، مُصْرَفًا لِلْأَقْدَارِ. وَجَعَلَ مَا عَرَضَ خَاتِمَةَ مَا

يوزّع له فكراً، أو يُخرج له صدراً، وقدّم ألعالم عنه، فدية له. رغبتُ إلى الله في إطالة بقاءه، كاشفاً بدوام مُدته الغم، وساداً بنضارة دولته الثلم، والله يُطيل بقاءه وارثاً للأعمار، مفسوحاً له في الامهال والانظار. مُحصّن الدولة عن النوائب اللاحقة، مُحميّ العرصة عن المصائب الطارقة. أطل الله بقاءه، وارثاً للأجل، حائزاً للأمني والآمال، ينسخ مُدة الملوك، ويخلق جدّة الجديدين، وعمره عمر النّسرين، وأبقاه بقاء العصرين. عمره الله محوط النفس والسّاحة، مُبشراً للخيرات المُتاحة. مُصْرِفاً عنان الملوك، مقلباً زمام الزّمان بكلتا أيديّين.

ما يختص منها بالاشراف

أحسن الله عزاء مولاي عن الشّريف، وورّثه عمره، كما ورّثه فخره، وذخّر الله له الأجر عليه، كما أعلّى ذكره بالانتساب إليه، والله يجبر مصابه كما أكرم نصابه، ويقيه المحاذر، كما ورّثه المفاخر، ويبارك له في إحسانه الجسيم، وفضله العميم، كما بارك على إبراهيم، وآل إبراهيم صلى الله عليه وعلى محمد وآله أجمعين.

مخاطبة العلماء والزهاد في التعزية

أحقّ أناس بالتسلي عند طروق المصائب، وأولاهم بالتسليم مع هجوم النوائب، من آتاه الله من العلم ذخيرة، وجعل على نفسه بصيرة، وهذه حال الشّيخ في فقد فلان. ورّثه الله عمره، وأبقاه ما شاء بعده. إذا كان الشّيخ هو القدوة في العلم وما يقتضيه، والأسوة في الدّين وما يجب فيه، لزم أن يتأدّب في حالات الصبر والشكر بأدبه، ويؤخذ في تارات الأسى والاسى بمذهبه، فكيف لنا بتعزيته، عند حادث رزيثته، إلا إذا رويناه له، بعض ما أخذناه عنه، وأعدنا إليه طائفة مما آستفدنا منه. قد علّم الشّيخ أنّ من خلّق للعرض

العظيم، وعُرض للشوَاب الجسيم. وطَن نفسه عَلَى تحمل الحوادث، ومَرَّن قلبه عَلَى تجرُّع النَوَائِب، وكان تَأْسُفه عَلَى ما يَفْقَدُ من رياحين دُنياه قليلاً، وتَصَبُّره لما يُنْقَل من موازين أَجره جميلاً.

ذكر موتهم وتأبينهم

قد فَقَدَت عَيْنُ الْفَضْلِ منه قُرَّة، وجبهة العلم منه غُرَّة. للفقائع، اختلاف مواقع، وللمصائب، تبأين مراتب، ومن أَشَدَّها لَدَعَا، وأعظمها وقعا. فجِيعَةُ أخرجت صُدُور قوم مؤمنين، ومصِيبَةُ خَصَت العلم والدين كَفَقَد فلان، فقد كان للإسلام جمالاً مُمْتَدًّا، وللدين رُكناً مُشْتَدًّا، وللعلم شهاباً لا يخبو، وللأدب سهماً لا ينبو. تمثَّلت كيف يضام العُلَى وتُقَام مَاتَم الحِجَى، وتبكي أَعْيُنُ الدِّينِ وَالتَّقْوَى. قد فجعنا بشيخ الْفَضْلِ، وشهاب العلم، والناضح عن آلِدين ناظراً لِعُقْبَاه، والصَادِع بِالْحَقِّ رافضاً لِرُقْبَاه. قد أَخل ليثُ العلم بغيله، ومضى شيخ آلِدين لسبيله. فاضت عليه عيُونُ المحارِبِ في جنح الظلام، وبكته عُيُونُ المحاسن في وَضَحِ النَّهَارِ. رَجِمَ الله فَلَاناً وهل خُلِقَت الرَّحْمَةُ إِلَّا لِأَمْثَالِهِ الَّذِينَ خَافُوا اللهَ، فخافهم آلنَّاس من دون ملكٍ قاهر، ولا سلطانٍ غالب، ولكنها هَيْبَةُ الْعُلَمَاءِ، في نفوس آلْهِمَاءِ. اللهم محص عنه سيئاته. فطال ما أَنتَصَب في الذَّبِّ عن دينك، وآلنَّاس في أَشْتَغَالٍ بِمَعَاشِهِمْ، عن مَعَادِهِمْ، وبَعَقْدِهِمْ، عن أَعْتِقَادِهِمْ.

ذكر موت الادباء والكتاب

نَجْمٌ من نجوم الْعِلْمِ هوى، وَغُصْنٌ من أغصان الْأَدَبِ ذوى. قد عادت لفراقه آلاُداب شُعْثَا، وَوُجُوهُ الْفَضْلِ غُبْرَا. شابت بعده لِمَمُ الْأَقْلَامِ، وَجِفَّتْ غُررُ الْكَلَامِ. قامت نَوَادِبُ الْأَدَبِ، وتَعَطَّلَت حَوَالِي الْكُتُبِ. قد نَضَبَ ماء

ألفضل، وركدت ريح العقل، وصدى رَونق التبيين وآليان، وأنثلم حدّ القلم
والگلسان.

ذكر موت الاولاد الصغار والكبار

بلغني خبرُ مُصائبك بالريحانة التي اختار الله لك المثوبة عنها، على المُنعة
بها. لَمَّا قوي فيه الأمل، عاجله الأجل، فكسفته أيدي الأيام، هلالاً استسرَّ
قبل التمام. أطلتُ التلَهْفَ على ظلٍ عاجلته الأيام أن يكون فناً زائلاً،
وأكثرُ التأسف على هلالٍ فاجأته الليالي أن يصير بديلاً كاملاً. يا لهفي على
غُصنٍ هُصِرَ قبل أن يورق، وكوكب أفل قبل أن يُشرق. هلال استسر قبل
التمام، وثمره أجتنتها يدُ الجمام. فجعله الله أجراً مذخوراً، وثواباً موفوراً.
كيف يستقرُّ على الأرض وفلذته في بطنها، ويُراجع الأيام ومُهَجته في كفها.
يا أسفي على غُصنٍ مهصور بالموت، معصورٍ في الترب. قد كنت فيه قوي
الأمل، لو لم تطاولني يدُ الأجل، ومستحكِمَ الرجاء، لو لم تغالبني يمينُ
القضاء. تصوّرت حالك وقد أخذت من قبلك ثمرته، ومن نفسك زهرتها،
ومن ناظرك قوته، ومن كبدك فلذتها. عارية سرك الله بمدتها، وأثابك عند
ارتجاعها. فأبشر بعاجلٍ من صنعه وإخلافه، وأجل من مَثوبته وجزائه. لئن
حُرِمَ الأجر بيدك، لقد كُفِيَ الإثم بعقوقك، ولئن فجعت بفقده، لقد أمنت
الفتنة به. الرُّء ما كان أوجع، كان الأجر عليه أوسع، وأنت وإن أحتجت إلى
الأولاد، فحاجتك العُظمى إلى حُسن المعاد. أسأل الله أن يجعل لوعة
مُفارقته، أنفع لك من فتنة مُقاربته، وحسرة الرزية فيه، أجدى عليك من حبرة
الإمتاع به.

ما يختص من ذلك بأولاد الملوك

كتبتُ والأحزان مُستولية على الخلق والزمان، والأرواح متبرمة بالأجسام

والأبدان. مُنْذُ أَفْلَ النَّجْمِ الزَّاهِرِ فِي أَفْقِ الْمَلِكِ وَذَوِي الْغَصْنِ الْناضِرِ مِنْ دَوْحَةِ الْمَجْدِ، خَوَى نَجْمٌ طَلَعَ فِي أَفْقِ الْمَلِكِ. وَهُوَ بِيَدِ الْقَضَاءِ، عِنْدَ انْتِهَاءِ الْعَمْرِ، فَاسْتَوْحَشَ رُبِعَ مَوْلَانَا بِفَقْدِهِ، وَذَوَى عَوْدَ النِّجَابَةِ مِنْ بَعْدِهِ. عَلَى حِينِ قَوِيَتْ فِيهِ الظُّنُونُ، وَقَرَّتْ بِهِ الْعُيُونُ. عَرَفَتْ نَادِرَةَ الزَّمَانِ، فِي قَرَةِ عَيْنِ الدَّهْرِ، وَثَمَرَةَ فَوَادِ الْمَلِكِ، وَقَدْ خَانَتْ فِيهِ يَدَ الدَّهْرِ، وَاسْتَخْطَفَتْهُ مِنْ جِمَى الْمَلِكِ، وَإِنَّمَا نَقَلَهُ اللَّهُ إِلَى جَوَارِ كِرَامَتِهِ مَثُوبَةً بِمَوْلَانَا مُقَدَّمَةً، وَأَعَدَّ لَهُ مَعُوضَةً مُسَوِّمَةً، وَجَعَلَهُ فَرَطًا صَالِحًا، وَمَتَجَرًّا رَابِحًا. قَدْ خَبَا ذَلِكَ الشَّهَابُ الْمُضِيءُ، وَخَوَى ذَلِكَ الْكَوْكَبُ الدَّرِيءُ، فَأَغْبَرَتْ وَجُوهَ النِّجَابَةِ، وَاسْتَوْحَشَتْ مَعَاهِدَ الْإِمَارَةِ.

ذِكْرُ احْتِضَارِ الشَّبَابِ

يَا أَسْفِي عَلَى فُلَانٍ، وَقَدْ احْتَضَرَ شَبَابَهُ، وَلَمْ تُغْنِ عَنْهُ طَرَاوُتُهُ فِي الْعُيُونِ، وَحِلَاوُتُهُ فِي الْقُلُوبِ. قَدْ احْتَضَرَ فُلَانٌ أَنْضَرَ مَا كَانَ غَصْنًا، وَأَكْمَلَ مَا كَانَ حُسْنًا، مَا أَتَذَكَّرُ إِقْبَالَ شَبَابِهِ مَعَ اكْتِهَالِ فَضْلِهِ، وَجِدَّةِ أَيَامِهِ مَعَ وَفُورِ عَقْلِهِ، إِلَّا رَأَيْتَ التَّعْزِيَّ مُسْتَقْبِحًا، وَالتَّسْلِيَّ مُسْتَهْجِنًا. يَا لَهْفِي عَلَى شَبَابٍ مُقْتَبِلٍ احْتَضَرَ، وَفَضْلٍ مَكْتَهَلٍ فَقِدَ، وَجَانِبٍ مِنَ الْمَجْدِ آخِثٍ وَأَنْتَشَرَ، وَنَجْمٍ مِنْ فَلَكَ الْفَخْرِ هَوَى وَغَرَبَ. قَدْ آخَرْتُمْ عُفُوفَانِ شَبَابَهُ آخِرَتَامًا، نُبَّهْنَا مِنْ سَنَةِ آلَاغْتِرَارٍ وَهَدَانَا لَوْجِهِ الْإِعْتِبَارِ. انْتَقَلَ إِلَى جَوَارِ رَبِّهِ نَقِيَّ الصَّحِيفَةِ مِنْ سَوَادِ الدُّنُوبِ، بَرِيَّ السَّاحَةِ مِنْ دَرَنِ الْعُيُوبِ. لَمْ تُطَلْ فِي الدُّنْيَا مُدَّتُهُ، وَلَا آسُودَتْ فِي جَرَائِدِهَا صَحِيفَتُهُ، وَلَا عَلِقَتْ بِهِ أَجْرَامُهَا، وَلَا جَذَبَتْهُ أَشْطَانُهَا، لَكِنَّهُ وَرَدَهَا نَجِيبًا رَشِيدًا، وَأَنْصَرَفَ عَنْهَا مَهْدِيًا سَعِيدًا. قَدْ صَانَهُ الْإِحْتِضَارُ، عَنْ مُلَابَسَةِ الْأَوْزَارِ، وَحَاطَهُ الْإِحْتِرَامُ، عَنْ مُقَارَفَةِ الْآثَامِ. لَوْ كَانَ هَذَا الْجِمَامُ يَبْدَأُ بِإِدَارَةِ كَأْسِهِ فِي الْأَسْلَافِ، وَيَتَجَافَى عَنِ الْإِخْلَافِ، لَخَفَّتْ أَعْبَاؤُهُ، بَلْ طَابَ لِقَاؤُهُ، وَلَكِنَّهُ يَذْنُو فِينَا وَيَبْعُدُ، وَيَهْتَصِرُ مِنَّا وَيَحْتَطِبُ.

في التعزية عن الاب

قد أصبت من أبيك بمن لا لوم إذا بكيت عليه ملء الشؤون، ووجعت له مدى الظنون (كذا). فالأب سماء مظلة، وأرض مقلّة، وأصل أنت فرعه، وشجر أنت غصنه، ولكن أدب الله أخرى بالاستعمال، من بواعث الرقة والآنخزال. لو خيّر أبوك لاختر ما اختر له تقدماً بين يديك، وتعويضاً للبقاء إليك. إذ كنت مع عقلك وبصيرتك أبا، ولأهلك وعشيرتك نسباً. سدّ الله بك مكانه، وورثك عمره وفضله، وعوضك الأجر عنه، وأيدك بالعصمة بعده. بقي أن نجعل هذه النوائب عبراً تُبصرنا العواقب، ونقول ما حال شجر أوهنت أصوله، ثم أخذت غصونه، وننظر في أصل البقاء، بعد فناء الآباء والأبناء، فنأتي ما فيه حصول النجاة، تخليصاً لهذه الأنفس من التبعات.

في التعازي عن الحرم

تُبّهت بموعظة، ورُزقت ثواباً، وسترت عورة، وكُفيت مؤونة. فعظم الله أجرك فيمن أمضى، وأخلف عليك الإمتاع بما أبقى. لا ستر أستر من أرض، ولا ختن أكرم من جن. بهذا أتى الشرع، وعليه أجمع العقل والسمع. ستر العورات، من الحسنات، ودفن البنات، من المكرمات، وتقديس الحرم، من النعم، وقد قاسمتك الفجائع، فأعطتك أوفر الحظين، وساهمتك النوائب فوفّتك أجزل القسطين، ورضي الحمام بأن يتخطى نجباء ولدك، وإن أنتقص الإناث من عددك، فالشكر أوجب عليك، من الصبر أن تدعى إليه. إن كان الله قد سلّب لمولاي ريحانة وروضة، فقد وعده في كتابه بشاراً وصلاة ورحمة وهداية. قد كُفيت مؤونة، وصُنعت حرمة، وسترت عورة، وقدمت إلى الجنة بضعة، وبعثت على مقدّمك إلى الآخرة شقيقاً ووسيلة، ورجعت إلى شبابك مرحلة. فليس بشيخ من لا بنت له، ولو كان أبن مائة سنة، وليس

بشأب من وراء بنت ولو كان أبن يوم وليلة. طوبى لمن صاهره القبر وخطب
إليه الدهر.

آخر كتاب التعازي وما يليق بها، والله الحمد

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب الإخوانيات

وما يأخذ ماخذها

ذكر المودة

مودةٌ سكنت سواءَ الصدر، وحلتْ سوادَ القلب. مودةٌ تلوح عليها غُررُ
الخلوص، وتبدو فيها اثارُ الخصوص. مودةٌ طالت بها المدة، وأستحكم
غرسُها، وتمهّد في القلب أسُها. صحيفةٌ وُدٌّ يُمليها عليّ المَلَوَان، وأنطق فيها
بلسان الزّمان. مودةٌ لا يضطرب حبلُها، ولا ينحسر ظلُّها. وُدٌّ سليم الصّفحة،
أملس الجلدة، مشرقُ السّحنة، واضح الجبهة. مودةٌ أدين بها عن خالصة
النفس، وأودعها واسطة القلب، وأجمع عليها نواحي الصدر، وأحرسُها عن
لواحق الدهر. قد آتخذنا المودةَ بيننا ديناً وخليفةً، ورأيناها بين الناس مجازاً،
فأعدناها حقيقة. صَدْرُ الوُدِّ سليم، وطريقُ العَهدِ مُستقيم. وُدٌّ أنتهى الصّفاء
إليه وقد بلغ أقصاه، وعهدٌ خيمَ الوفاءُ عليه فألقى عصاه. قد ملّك مودّتي
عذراء، حين القلب فارغ، وحاز طاعتي بكرا، وظلُّ الصبي سابع. بيننا مودةٌ
تتصل مُدَّتُها، ولا تنقطع مادَّتُها.

حسن المخالصة

لا أحوّل عن عهدك وإن حالت النُّجوم عن ممارّها، ولا أزول عن وُدّك وإن
زالت الجبال عن مقارّها. عهدك سجير فكري، ووُدّك سميرٌ ذكري. عهدٌ

كعهده لا يميل، ووُدُّ كحاله لا يستحيل. نفسي وقَاء نفسك، كما صَدري وعاء وُدِّك، ولساني ناشِرُ فضلك، وضميري وقَفْتُ عَلَى عَهْدِكَ. بيننا عَصِمَ لا تُنْقَضُ، وذِمَّتُ لا تُرْفَضُ. الله يعلم أَنَّ مودَّتَكَ شِعَارُ ضميري، والاعتصام بعهدك بُنْيَةُ معتقدي. نلي قلبُ قريح، حشوه وُدُّ صحيح، وكَبْدُ دامية، كُلُّها محبةٌ نامية.

لطف الحال وتشبهها بالقرابة

حالٌ هي القُربى أو أخصُّ، وأمتزاجُ النفوس أو أَمْسٌ. الحالُ بيننا أربت عَلَى المودَّة والحُرمة، وأرمت عَلَى المشاركة والخُلَّة، وعُدَّت في شواجر الرِّحم واللَّحمة، ومَزجت الدَّم بالدم، والمُهْجَةُ بالمُهْجَةِ. المودَّةُ إذا استمرت قواها، واستَحْصَفَتْ عُراها، لم تَبْعُدْ أن تزيد عَلَى الرِّحم وقُرباها. قُربى لا كقُربى خالصة الوداد، ولا رَجِمَ أَصْدُقْ وأدنى من صدق آلتية والاعتقاد، وبيننا من ذلك ما يضمنه الدَّوام والتَّابيد، وتفتقر إليه القربات والمواليذ. رَبُّ طَارِفٍ مودَّةٌ يفوق في الخلوص والصفاء، منازل التَّشَابُك في القُربى والإخاء. المعرفةُ عند الكرام ذِمَّة، والمودة لُحمة. زاد في أمري عَلَى ما يبلغه الأخ وأبن العم، والمتناسيون باللَّحم والدَّم. صورتهُ لدي صورة الأخ، ووُدُّه أرسخ، ومحلُّه محلُّ العَمِّ، أو اشتراكه أعم.

الاختصاص والاتحاد

محبةٌ لا تَمَيِّزُ معها الأرواح، إذا مُيِّزَت الأشباح، ومُخالصةٌ لا تتباينُ بها النفوس والمهيج، وإن تباينت الأشخاص والصُّور. نحنُ كَالنَّفْسِ الواحدة لا تَجْزُو ولا أَنْقَسَام، ولا تَمَيِّزُ ولا أَنْقَصَام. النفوس ممتزجة، والأُملاك مُشتركة، والنعيمُ مُتفاوِضة، وذاتُ البين صافية، ودخائل الصدور خالصة. نحنُ نرتضع لِبَانِ الممازجة، ونأوي إِلَى وِلَاءِ المودَّة، ووراثَةِ الإخاء والمشاركة، أرى به

القمرين، وأعدّه ظهيراً على الْمَلَوَيْنِ، ولا أعظم كحق مودّته حقاً، ولا أرى بين النَّفْسَيْنِ فكيف بين المالين فرقا. أنت جارٍ مني مجرى أبعاض جسمي وأعشار قلبي. أنت جزءٌ من نفسي، وناظم شَمَلٍ أنسي. أنت تحلّ مني محلّ العضو من الجسد، واللب من الكبد. فلانٌ يعزُّ عليّ، ويكبرُ لديّ، ويحلّ مني محلّ عَيْنِي وَيَدَيَّ. أنت مني كالعين الناضرة التي تصان عما يُفْذِيها، وآليد ألباطشة آلي تُحفظ مما يُدويها. هو شقيق رُوحه، وعديل حياته، وشريك دولته، وقسيمُ نعمته. ما زال مُستودع سري وجهري، ومُشتكى بشي وحزني. هو مني بمنزلة الولد، والعضو من الجسد. قد أحله الله مني محلاً بعيداً في رفعتي، قريباً في أثرته.

المنادمة والمؤانسة

له مدخلٌ في المُداخلة، يثبت في مواقف الأنس قدمه. هم إخوان كما أنفجَ المِشط، وندماء كما أنتظم السِسط. إذا اعتقت المُنادمة، صارت نسباً دانيا، وكانت رِضاعاً ثانيا. العِشرة رِضاعٌ تثبت حُرمتَهُ، وألمودّة لبان تلزم ذِمّته. قد تقلّبنا في أعطاف العيش بين ألوقار والطيش، وارتضعنا نُدَي العِشرة، إذ ألزمان رقيق القشرة. كلفة ألودّ هينة، وفروضه مُتعيّنة وأرض العِشرة لينة، وطريقها بينة. أفضنا في العِشرة كيف نضع قواعدها، والأخوة كيف نُحكم مقاعدها. فلانٌ يخرج في العِشرة، من القشرة. أنسي به أنس من نشد أفضالة فوجد، وناهض الأمل فبلغ ما قصد. ألمرء مقيسٌ بقرينه وسميره، ومحمولٌ على حُكم جليسه وعشيرته. إخوانٌ مُتوافقون، قد تطابقوا في الآراء، وتآلفوا في الأهواء، وتمالخوا في الطعام، وتراضعوا بالمُدام.

التودد والافصاح عن صدق المحبة والمواولة

أنا أَنَّهُمْ عليك عيني وإن كنتُ لا أَنَّهُمْ قلبي. وأرضي لمودّتك نيتي، وإن كنت لا أرضى لها طاقتي. أنا ما غبت كالمضلل أناشد، وإذا رجعت فكالغانم

الواجد. أنا أودُّك بأجزاء قلبي، وأحبك من سوء نفسي. لا مرحباً بعيشٍ
أنفرد به عنك، ويوم لا أكتحلُ فيه بك، ووددت أن أضرب بحضرتك أطناب
عمري، وأنفق على خدمتك أيام دهري. لا أزالُ أحنُّ إليك، وأحنو عليك.
يا ليت قلبي يتراءى لك، فتقرأ فيه سطور ودي لك، وتقف منها على رأيي
فيك. إني لأسف على كل يومٍ فارغٍ منك، وكل لحظة لا تؤنسها برويتك.
يعزُّ عليّ أن ينوب في خدمتك قلبي، قبل قدمي، وخطي، دون خطوي،
ويسعد برويتك رسولي، قبل وُصولي، ويردُّ مشرَع الأُنس بك كتابي، قبل
ركابي. أنت من لا يسافر وُدِّي إلا إليه، ولا يُرفرف طيرٌ محبتي إلا عليه. لو
ألتبستُ بك ألباساً، يجعلُ رأسينا راساً، ما زدتك ودّاً. ولو حال بيني وبينك
سُور الأعراف ما نقصتك حُباً. قد ملّت إليك فما أعتدل، ونزلت بك فما
أرتحل، ووقفت عليك فما أنتقل، مَسكنك الشَّغاف وَحبة القلب، وخَلْبُ
ألكيد وسواد العين. أنت سابقُ الإخوان البررة، وصاحبُ بيعة الرضوان
والشَّجرة. أنا أتصبح بأسمك، وأتفال بذكرك، وأحلم بوجهك، وأحتلب ضرع
الشَّعر بذكرك. أنا أعد نفسي بعض إخوانك في آعده، وأفوقهم بالتودد. ما
في نفسي بقعة أعمر من محلّك، وأنضرُّ من مسكنك، ولا في قلبي مكانٌ إلا
موشيّ بذكرك، مُطرزٌ بأسمك. المحبة ثمن لكل شيء وإن غلا، وسُلمٌ إلى
كل شيء وإن علا. أنا وآله أجتني قُربك، وأجتوي بُعدك. دوري، هي دُورك
وحلّلك، ووُكلائي هم وُكلاؤك وخولك. والله ما تُظِلُّ الخضراء، ولا تُقِلُّ
الغبراء. عبداً هو أشدُّ مني لك مخالفة، وأقلُّ مخالفة. عهدي لك أكرم
العهود، ووفائي لك وفاء العرق للعود. أسباب المَوَدّة بيننا موصولة، وطرقُ
الإخلاص عامرةٌ مأهولة.

العبودية والخدمة

عَبْدُهُ حَقّاً، ومملوكه رِقّاً. عبده الصّريح، وخادمه المُشيح، ووليه

النصيح . عبده الذي سبق له رقه ، ولا يجوز بيعه ولا عتقه . ستجدني متصرفاً مع أمرك حتى تقول خادم ، وطوعاً ليدك حتى تقول خاتم . هو له المملوك والوكيل المكثرى ، والعبد المخلص ، والخادم المتخصص . ما أنزع عن عُنقي رِباقي الرِّق ، ولا أُخرج إلا أتساع أَلِعتق (كذا) .

المناسبة بالعلم والادب والمذهب

كلمة الأَدَب جمعتنا ، ولُحمةُ أَلِعلم نظمنا . قد أشرتُنا في العقيدة ، وأستهمنا في السَّريرة . فأكثر من تراه من إخواني ، بنو عَلات أنا وهو من بني الأعيان الأَدب نسب واشج ، وألِعلم سبب مَمازج . الأَدب أَقربُ الأَنساب ، وألِعلمُ أوكدُ الأَسباب ، الشُّكول أَقارب ، وإن تباعدت بهم المناسِب . فرحةُ الاديِب بآلاديِب ، كفرحةُ المحبِّ بالمحبوب ، وألِعليلِ بالطبيب .

وصف الشوق

الشوقُ إِلِيك سَميرُ ذكري ، ونديمُ فكري . شوقي إِلِيك زادي في سَفَري ، وعَتادي في حضري . شوقٌ لا يُعدي عليه صبر ، ولا يستقلُّ به صدر . شوقٌ يكاد يكون لزاما ، ويُعدُّ غراما . أَلشوقُ إِلِيك أَمامي وورائي ، وحشو ثوبي وردائي . شوقٌ جَرَحَ جوانحي ، وجنحَ عَلَيَّ جوانحي . شوقٌ أَسْتخف نفسي وأَسْتَفْزها ، وحركَ جوانحي وهزَّها . شوقٌ قد أَسْتَفد جَلَدِي ، ومَلِك خَلَدِي شوقٌ لو أَعْلَجَه الأَعْرابي لما صبا إِلَى رَمَلِ عالج ، أو كابده الخَلِيُّ لانشئ عَلَيَّ كَبِدَ ذات حُرْق ولواعج . شوقٌ تركني أَرى الصبر حَسرة ، وألِوجد يَمَنَّةً وَيَسْرَةً . شوقٌ يَتَلَهَب في أَلأَحْشاء قَدَحِه ، ولا يَبْرَحُ الجوانح بَرَحِه . قلبي عَلَيَّ جَمرة الغضا يَتَقَلَّب ، وكجناح الطير يضطرب . شوقٌ لو خُوف المجرمون بحرَه ، وتَوَعَّدَ المَشْرُكون بجمره . لَمَّا عُبِدَ صَنَمٌ ، ولا نُقِلَتْ في الضلال قَدَم . شوقٌ يَجِيل قَداجِه ، وَيُدِيمُ أَقتداحِه . شوقي إِلِيك شوقٌ أَلرِوضُ إِلَى الغيث

وَأَلْمَلْهَوْفَ إِلَى الْغَوْثِ.

سوء آثار الفراق والاشتياق وما يتصل بذلك

حالي بعدك حالٌ عودِ ذَوَى بعد آرتوائه، ونجمِ هوى بعد اعتلائه. ما حال
ذاوي نبتِ أَمْسَك مطره، وساري ليل غاب قمره. قد تركني فراقك، وأنا
أشتاقك، وغادرني بُعدك، أفا سي بُعدك. قد تحملتُ مع يسير الفرقة عظيم
الحرقة، ومع قليل الأبعد، كثير الوجود. قد آثيت بجسم ناحل، وبث من
صبري على مراحل. فارقتني فأرقتني، وفرقت جمع صبري، وأستصحب
فريقاً من قلبي. فارقتك وقد تفرق عني شملُ أنسٍ متَّظِم، وتمكن مني برح
شوقٍ مضطرم. فارقتني ففرقت بين الروح والبدن، وتركتني والنزاع في قرن. ما
فارقتك بعيداً، حتى أصحبتك من نفسي فريقاً، ولا سرت ميلاً حتى مال
صبري جميعاً. فارقتني ففرقت بين جنبي والمهاد، وجمعت بين عيني
والشهاد. من شاهدني شهدت له حيرتي، دون محاورتي بما الأقيه، وأخبرته
عبرتي، دون عبارتي عما أعانيه. ما أعول إلا على العويل لو كان يُغني، ولا
أستنصر غير الوجد لو كان يُجدي. لولا حصانة الأجل، لخرجت رُوحِي على
عجل. قد صرتُ حليفَ وَحْشَةٍ وإن كنت ثاوياً في وطن، وقرين كُرْبَةٍ وإن
كنت بين جيرة وسكن. لا آنس بسكنى دار عنك بعيدة، تولا أستوطنها وهي
منك غيرُ قرية.

ذكر الوداع

أودعتني إذ ودعتني شوقاً يجور حكمه، وقلقاً ينفذُ سهمه. قد ودعت
بوداعك العافية، وفارقت مع فراقك العيشة الراضية، لا أقول إنه بان مني
بينك سيّدٌ وعضدٌ وعميدٌ وسندٌ، ولكني أقول ودعت أيام وداعك دُنْيَايَ التي
كنت أستمتع بها، وحياتي التي كنت أُنْتَفِع بعوائد النعم معها. ودعتُ بوداعك

الدعة، والروح والسعة. ملكتني حُرقة تتغلغل بين الآلهة والترقي، وخنقتني
لوداعك عبرة تتحير بين الجفون والآقي.

تذكر أيام اللقاء وصفوها

يا أسفي على غفلات العيش، ولحظات الأنس. إذ ظهائنا أسحار،
وليالينا نهار، وشهورنا أيام، وسنونا قصار. يا أسفي على رداءٍ من الأيام دقيقٍ
ما لبسناه، حتى خلعناه، وروض من الزمان مريع، ما حللناه حتى فارقناه.
أيامنا والذهر غافل، والباع قاصر، وروض التلاقي ناضر، حين الذهر غلام،
والجلم حرام. كانت أيامنا من غرر العمر، وغرر الدهر. كيف أنسى تلك
اللّمة من عمري، والصفوة من شربي، وهما غرة في أدهم، وشهاب في
ليل مظلم. سقى الله أياماً لو كان ذهري عقداً كانت واسطته، أو كان عمري
جيداً لكانت قِلادته. أيامنا وطرف البعد أرمد لا يطرف، ويد الزمان مغلول لا
تُعيف. أيامنا، والذهر كال المنسر، لين المكسر لا يسود أعتنانه، ولا يجمع
عنانه. أيام طابت مشارعها، ولانت أخادعها. أيام في عود النوى خور،
وليالٍ في باع الدجى قصر. أيام حسنت فكانها أعراس، وقصرت
فكانها أنفاس. أيام مغم رياها، وطاب جناها، وصفا نسيماها،
وخلص نعيمها، وقد خفض الدهر جناحه لنا، ولئن الزمان مهاده بيننا، نأخذ
ما نشاء ونُدع، ونلعب كيف شئنا ونرتع، أيامنا التي حازت أيام الشباب حسنا
ورقة، وفاتت أعلام المطارف ليناً ودقة، التي تحجل خدود الرياض، وتفضح
حواشي الحلل، وساعاتنا التي هي ألطف من مُسارقة النظر، ومخالسة القبل.

الادعية الاخوانية

أعادنا الله للالتقاء فما أرق نسيمه، وألذ نعيمه. أسأل الله أن يتتقّم من أيام

النزاع، برد أيام الاستمتاع بالاجتماع. جمع الله شَمْلَ سُروري بك، وعَمَّرَ عمري بالنظر إليك، وجَعَلَ باقي عيشي معك، والله يُطِيلُ مُدَّتَكَ، ويَحْرُسُ مَوَدَّتَكَ، وَيَصِلُ جناحي بما ينشره عليك من جناح العِزِّ، وَيَمُدُّ عَلَيَّ ساحتك من ظلِّ الكفاية والوقاية. أغناك الله عن إخوانك، ولا أغناهم عنك. إِنْ من أباح لي وَدُّكَ وهو أَكْرَمُ موهوب، قَادِرٌ عَلَيَّ أَنْ يُيسِّرَ لي قُرْبَكَ وهو أَنفَسُ مطلوب. لا وَكَلَّ الله إلى الزمان ما جمعنا عليه من إِخَاءٍ ومصادقة وَصَفَاءٍ ومُخالصة فتبعث بنا أحكامه، وتعيث فينا أيامه. أعاذ الله سيّدي من الأسواء، وسقى ربه غُررَ الأنواء.

ألفاظ الجواب عن شكوى الشوق

شَكُوتُ الشُّوقِ فَكَأَنَّمَا عَبَّرَتْ عن قلبي، وقرأت وصفه من صحيفة وُدِّي. ذكرت يا مولاي الشُّوقَ فهيجت ما يُهيجه تغريدُ الأَطْيَارِ بالأسحار، والوُقُوفِ بعد الأَحْجَابِ عَلَيَّ الدِّيارِ. أما ما شكاه مولاي من الشُّوقِ وأستطالة سُلْطَانِهِ، وآلِيبِ وأستطالة زَمَانِهِ. فهو عبارة أحشائي لو نَطَقَتْ، وتعبيرُ رُؤْيَايَ إِذَا صدقت. أما ما شكوت من الشُّوقِ فأحلف بالله إِنَّكَ صادقٌ فيه، مُستغنٍ عندي عن إقامة شاهده، بما أجده من مثله. أما شكوى الشُّوقِ فقد شكوت إلى شاك، وتوجَّعتُ إلى متوجِّع.

اهدآء السلام

أهدي له السَّلامَ غُصْنًا طريًا، وورداً جَنِيًّا، وأحمله أنفاس الشمال. فطال ما تَرَدَّدَتْ بين مُحِبٍّ ومُحِبَّوبٍ، وأستودعه نسيم الصبا، فنعم السَّفيرُ بين شائقي ومشوق. سلامٌ كأَنفاسِ الأَحْجَابِ، وأيامِ الشُّبَّابِ. فلانٌ مَخْصُوصٌ بِالسَّلامِ الرَّاهِنِ، كما هو مَخْصُوصٌ بِالمَحاسِنِ. سلامٌ عليه ملء عراضه، وتحية بحسب إخلاصي وإخلاصه. أخص من السلام بأوفر الأقسام، وأجزل

السَّهَامِ ، وَأَسْتَدِيمُ اللَّهَ مُدَّتَهُ بَقَاءَ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ . أَخَصُّهُ مِنَ السَّلَامِ بِمَا يُضَاهِي
مَحَاسِنَهُ كَثْرَةً ، وَأَشْكُو قَلْقًا لِفِرَاقِهِ وَحَسْرَةً . سَلَامٌ كَأَيَّامِي عِنْدَهُ نَضْرَةٌ ، وَأَيَّادِيهِ
عِنْدِي كَثْرَةٌ . أَهْدِي لَهُ مِنَ السَّلَامِ عِدَدَ مَحَاسِنِهِ وَمَعَالِيهِ ، وَأَثَارِهِ الْحَمِيدَةِ
وَمُسَاعِيهِ . أَهْدِي لَهُ مِنَ السَّلَامِ مَا يَفُوتُ الْعَدَّ ، وَلَا يَقِفُ عِنْدَ حَدٍّ . سَلَامٌ
عَلَيْهِ كَأَخْلَاقِهِ الْعَذَابِ ، وَمَحَاسِنِهِ الرَّحَابِ .

ذَكَرَ الْعِتَابَ

الْعِتَابُ جَلَاءٌ لِلْمَوَدَّةِ ، وَصِبْقٌ لِلْأَخْوَةِ ، يُسْتَثَارُ رَوْنُهَا ، وَيُسْتَخْرَجُ
فِرْنْدُهُمَا . بَيْنَا عِتَابٌ جَحْطَةٌ ، كَعِتَابٍ لِحِظَةٍ . مِنْ مَنَافِعِ الْعِتَابِ أَنَّهُ يُطْرِي
خَلْقَ الْوُدِّ ، وَيَجْلُو غُبْرَةَ الْعَهْدِ ، وَيَدَاوِي أَدْوَاءَ الْقُلُوبِ ، وَيُتَرَجِّمُ عَنْ خَفِيَّاتِ
الْغُيُوبِ . الْعِتَابُ حَدِيقَةُ الْمُتَحَابِّينَ . وَرَوْضَةُ الْمُتَاصِفِينَ . الْعِتَابُ نِعَمُ الدَّوَاءِ
إِذَا عَرَضَ فِي الْوُدِّ دَاءٌ وَلَكِنَّهُ إِذَا لَمْ يُصَادَفِ الْعِلَّةُ ، أَفْسَدَ الصِّحَّةَ ، وَمُعَاتَبَةُ
الْبَرِيِّ وَالسَّلِيمِ ، كِمُعَالَجَةِ الصَّحِيحِ غَيْرِ السَّقِيمِ .

شَكَوَى الْأَعْرَاضَ وَالْجَفَاءَ وَسُوءَ الْعَهْدِ

قَدْ رُمِيتُ بِسُوءِ إِعْرَاضِهِ ، وَنَصَبَنِي جَفَآؤَهُ أَقْرَبَ أَغْرَاضِهِ . صِرْتُ عِنْدَكَ مِنْ
مَحَا أَلْسِيَانِ صُورَتِهِ مِنْ صَدْرِكَ ، وَأَسْمَهُ مِنْ صَحِيفَةِ حِفْظِكَ . أَدْرَجْتَنِي فِي
أَثْنَاءِ الْغَفْلَةِ ، وَطَوَيْتَنِي فِي أَدْرَاجِ الْجَفْوَةِ . نَسِيتَنِي وَمَا كَانَ مِنْ حَقِّي أَنْ أُنْسَى ،
وَطَوَيْتَنِي فِي صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى . بَعْتَنِي بَيْعَ الْخَلْقِ ، وَلَيْسَ فَيَمَنْ زَادَ ،
وَلَكِنْ فَيَمَنْ نَقَصَ . أَظُنُّ الدَّهْرَ قَدْ فِطَنَ لَصَفَائِكَ فَكَدَّرَهُ ، وَاهْتَدَى لِإِخْوَانِكَ
فَأَفْسَدَهُ . قَدْ هَجَرَنِي هَجْرَةً مُرَّةً ، وَقَطَعَنِي قَطِيعَةً فَظِيعَةً . أَنْتَ تَتَذَكَّرُ إِخْوَانَكَ
مَعَ أَهْلَةِ الْأَعْوَامِ ، وَتَظْهَرُ لِأَصْدِقَائِكَ مَعَ ظُهُورِ الْإِمَامِ . أُنْزِلْتَ عَلَيْكَ فِي
الْصُدُودِ آيَةً ؟ أَمْ رُفِعَتْ لَكَ فِي النُّبُوِّ رَايَةٌ ؟ . فَلَا نَ عَلَى قَدْرِ عُلُوِّ سَيِّئِهِ ،
أَنْخَفَاضِ وُدِّهِ . وَبِحَسَبِ عِبَالَةِ جِسْمِهِ ، نَحَافَةِ عَهْدِهِ . قَدْ تَرَكْنِي بِدَارِ ضِيَاعٍ ،

ومَدرجة أنضاع. أدرجني في أثناء الغفلة، كما طوي ثوبٌ على غِرهِ، وأهملني إهمال النسي الذي نُهي عن ذكره، صدَّ صدود المَخمور عن الخمر، وأعرض إعراض الغواني عن بياض الشعر أراني كلما بَعَدَت صُحبة، رَجَعَت رُتبة، وكلما طالت خدمة، قَصُرَت حِشمة حرُّ شوقي لا يصبر على برد جفائك، ورقَّة قلبي لا تُقاوم غِلظة إعراضك. كأنَّ الزَّمان يستملي انواع الجفوة من طبعك، ويستقي أصناف القسوة من بحرك لا أدري هل أشكوك إلى الدَّهرام أشكوه إليك؟ فإنكما في قطيعة الصديق رضيعا لبان، وفي استيطاء مركب العقوق شريكا عِنان.

سائر ألفاظ العتاب والاستزارة

لا يكادُ خيالك يُغني نوما، فما لكتابك لا يَسُرني يوما. أنت سخيٌّ بمالك على من يُطالبك. بخيلٌ بكتابك، على من يُكاتبك. تتوسع في ألوف فتضايق في حروف. قد طواني مُنذُ نشرته، وجفاني حين بَرَرته، وترك أن يُطالع بحرف، أو يطيل المودة إلا على حرف. إن لم يكن لنا مطمع، في درك دَرَك، فأعفنا من شركٍ شرك. في الأرض مجالٌ إن ضاقت ظِلالك، وفي الناس واصلٌ إن رُئت حبالك. كنتُ أحسبك تهتز إذ لَوَّحتُ فصرت ترتز وإن صرحت. قد قام بيني وبين أصلك حاجز من فعلك، سيستحيي لك فضلك من فعلك، وكفى بك نائباً عني في عدلك. هنيئاً لك من جِمانا ما تحله، ومن عُرانا ما تحله، ومن أعراضنا ما تستحله. أين يا سيدي ذِمار العِشرة، وذِمام الصُحبة. أتميل عَمَّن يميل إليك، وتصرُف وجهك عمن وجهه لك، وتولي عمن قِبَلته أنت. هذا ألفناء خصب المراد، فما بالي فيه عسر المراد، وتوفر مولاي على غير مُستزاد، فما بالي حَصَلْتُ على غير زاد. ما بالك تبخل علي بالألف من خط قلمك، وتجد عَلى سائليك بالألف من كرمك، وتناقشني بالسطر من حوارك، وأنت تسامح الإخوان بشطر يسارك.

وصف العتاب عند الجواب عنه

عتابٌ سماءُهُ تمور، ومراجله تفور. تعتابُ يهزُّ الفوارع، وتقرع يحكي القوارع. قد قرع سمعي من عدله، ما جاوز خفق الرعود، وصكَّ قلبي من توبيخه. ما أنسى زئير الأسود. وصلَّ كتابك بعتبٍ كالعضب، وملامٍ كالْحسام. عتابٌ يفلق الحجر، ويقطع الماء العد. عتبٌ مقانبه تكرر كرة الأقدار، وعدلُ كتابه تصول كالفلك المدار، حتام هذا التوبيخ والتَّهجين والعتاب الهجين. وصلَّ كتابك الذي كله عتب وليس ذنب، وعدلٌ وليس عدل، وتقرع وليس تضجيع، وتأنيب وليس تثريب، وتظلمٌ وليس تألم وشكاية وليست نكاية.

لبس الصديق على علاقته والاغضاء عن هناته

قاربته إذا جاذب، وواصلته إذا جانب، وشربته على كدورته، ولبسته على خشونته، وكاتبته أستمداً وداده، وأستلين قياده، وأستميل فؤاده. قد تركته بعرةً، وطوبته على غرة. جررت أذيال التغافل دون فرطه، وسرت بأجنحة التجاوز على سقطته. أعرته أذنًا صماء وهي سماعة، وعيناً عمياء وهي بصيرة. سحبته عليه ذيل التغافل، وغضضت دونه طرف التساهل.

وصف الغيظ والحدرد

اضطرب وأضطرم، وأحتد وأحتدم. جاء بأوداج لا يسعها الزران، وعيناه في رأسه تذرانه. فلان يتصلى بنار الصبر ويتصلب، ويتقل على جمر الغيظ ويتقلب. يفور غيظاً، ويتميز حقداً، ويتلظى غضباً، ويتزيد حنفاً. غالب غيظه وهو يغلبه، وكظمه وهو يشغله. قد التهت جمره الغيظ في صدره، ونطقت ترجمه الحقد عن عينه. يغالب نفسه على الاغضاء، ويتلوى تلوى الحية في الرمضاء. فلان غضبان حتى ما تنفع فيه حيلة، ولا تصلحه رقية، ولا تهزه

نادرة، ولا تبسطه مُضحكة. إن أقبلت عليه أعرض عني، وإن حدثته
ازورّ عني، وإن قُبلت في عينيه دفع في صدري.

الاعتذار والاستصفاح والاستعطاف

الكريمُ إذا قَدِرَ غفر، وإذا أوثق أطلق، وإذا أَسَرَ أَعْتَق. قد هربت منك
إليك، وأستعنت بعفوك عليك، فأذقني حلاوة رضاك عني، كما أذقتني مرارة
انتقامك مِنِّي. الحرُّ كريم الظَّفر. إذا نال أقال، وألثيم إذا نال استطال. قد
هابك من أستر، ولم يذنب إليك من أعتذر. تكلف الاعتذار بلا زَلَّة، كتكلف
الدَّواء بلا علة. لا تُضيقَنَّ عَنِّي سَعَةَ خُلُقِكَ، ولا تكدرَنَّ عَلَيَّ صِفْوَةَ وَدِّكَ،
مَثَلُ بَيْنِ يَدَيْهِ، وأذرى مطامع الاستعطاف لَدَيْهِ. إذا شاهدت تلك الشَّمائل لم
تهبَّ بيننا شمال موجدة، ولم يسكب علينا سحاب معتبه. مولاي يوجب
الصَّفح عند الزَّلَّة، كما يلتزم البذل عند الْخَلَّة. مولاي يولِّني صفحة صفحه،
ويولِّني الْعَفْو من عفوه. مالي ذَنْبٌ يضيق عنه عفوك، ولا جُرم يتجافى عنه
تجافيك وصفحك، قد زَلَلْتُ وقد يزل العالم الذي لا أُساويه، وعثرتُ وقد
يعثر الجواد الذي لا أُجارِيه. ينبغي أن يكتفي في من التَّأديب بما لا يتجاوز
حَدَّ الإِصلاح والتهذيب. العَفْوُ عن المُجرم من مواجب الكرم، وقبول
المعذرة من محاسن الشَّيم. أعيد مولاي من أن يَغْلُظ وقد لاطفته، ويقسو وقد
أستعطفته.

ذكر العذر الضعيف النافذ

هذا عُدْرٌ إن كنت عَوَّلْتَ عليه، وأسترحت إليه. فقد قطع بك وقت الحاجة
قطعتك في موقف المُحاجة. عذرك ما زال ينقبض فأبسطه، ويقلق فأمهده
ويتأخر فأقدمه، ويعثر فأنعشه. تلقاني بعُدْرٍ كنار الحباحب، ونسج العناكب.
عذرٌ يتعذر قبوله، ويتلاشى محصله. عُذْرٌ متضائل الشخص، تلوح عليه

سِمَةُ النِّقْصِ. هذا عُدْرٌ مُنَمَّقٌ، واحتجاجٌ مُلَفَّقٌ. كم هذا التَّعَثُّرُ في أذْيَالِ
المعاذيرِ، والتَّعَلُّقُ بأسبابِ المقاديرِ. معاذيرٌ تتعَثَّرُ في أذْيَالِهَا، وتنكصُ عَلَى
أعقابِهَا، وتطمسُ وُجُوهَهَا عَلَى أَدْبَارِهَا، وتردُّ رؤوسَهَا إِلَى أذْنَابِهَا. عُدْرٌ لَكِنَّهُ
لِسَانُ الزَّوَرِ، وحاكته يَدُ الْغُرُورِ. أَنَانِي عُدْرٌ يَتَعَثَّرُ فِي ذَيْلِ الْخَجَلِ، وَيَتَلَقَّعُ
بِقِنَاعِ الْعِيِّ وَالْوَجَلِ. عُدْرٌ لَمْ يَتَوَلَّ الْحَقُّ نَسَجَهُ، وَلَمْ يَوْضَحِ الصَّدَقُ نَهْجَهُ.

ذكر قبول المعذرة وزوال الوحشة والموجدة

قَدْ نَزَعَ اللَّهُ مَا كَانَ فِي صَدْرِي مِنْ غَلٍّ، وَجَعَلْتُ فَلَانًا مِمَّا سَلَفَ فِي حِلٍّ.
قَدْ أَنْطَفَأَتْ تِلْكَ الْوَقْدَةُ، وَأَنْحَلَّتْ تِلْكَ الْعُقْدَةُ، وَزَالَ سُكْرُ الْغَيْظِ، وَسَكَتَ
لِسَانُ الْغَضَبِ. كَمْ نَابٍ بَعَطْفُهُ أَنْابٌ، وَمَزُورٌ بِجَانِبِهِ تَابٌ. وَصَلَ فَلَانٌ حَبْلَ
الْأَخْوَةِ؛ وَرَمَّ أَسْبَابَ الْمَوَدَّةِ، وَطَوَى بَسَاطَ الْوَحْشَةِ، وَطَرَى مَا كَانَ يَنْهَجُ مِنْ ثُوبِ
الْثَّقَةِ. قَدْ رَأَيْتُ بَأْنَ أَطْوَى بَسَاطَ الْوَحْشَةِ، وَاخْفَضَ عِمَادَ النَّبُوَّةِ، وَأَخْرَجَهُ
وَأَخْرَجَ مَعَهُ عَنْ ضَيْقِ الْمُنَاقَشَةِ، إِلَى فُسْحَةِ الْمَسَامَحَةِ، وَعَنْ حَزُونَةِ الْمَعَاسِرَةِ،
إِلَى سُهُولَةِ الْمَعَاشِرَةِ. قَدْ زَالَ عَتْبُنَا، وَأَنْقَطَعَ مَلَامُنَا، وَصَبَرْنَا إِلَى الْحُسْنَى
وَرَقَّ كَلَامُنَا. قَدْ أَنْطَفَأَتْ نَارُ عَتَبِهِ، وَسَكَنْتِ شِقْشِقَةُ سَبَبِهِ. أَمَّا سُورَةُ الْغَضَبِ
فَقَدْ بَرَدَتْ، وَفُورَةُ الْغَيْظِ فَقَدْ خَمِدَتْ. أَمَّا الْعُدْرُ فَقَدْ تَصَرَّفَتْ مِنْهُ فِيمَا لَوْ أَتَى
الْدَّهْرُ بِمِثْلِهِ، لَصَفَحَ عَنْ صُرُوفِهِ، وَأَمِنَ الْمَحْذُورُ مِنْ مَخَوْفِهِ. لَا جَرَمَ أَنَّهُ
عَفَى مَعَالِمَ الْجُرْمِ، وَلَمْ يُبْقِ مِنَ الْعَتَبِ عَلَى رَسْمٍ وَلَا اسْمٍ.

آخر كتاب الإخوانيات وما يأخذ مأخذها، والله الحمد والمنة

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب السلطانيات

وما يأخذ مأخذها

ذكر الخلفاء

قد خصَّه الله بشرف الولادة ، وحاز له إرث النبوة ، وبوّاه محلّ الخلافة ،
وأسترعاه أمر الأمة . لا دُنْيَا إِلَّا به ومعه ، ولا دِين إِلَّا لمن تولّاه وأتّبعه . قد
أجتنباه الله لوراثه الرسالة ، وجعل طاعته فرقاً بين الهدى والضلالة ، وجعل
آيته الكبرى ، ورايته العليا ، إذ كان راعي دين الله وإمامه ، ووارث علم
رسول الله ومقامه . كافل الأمة وراعيها ، وسائس اللّه وحاميها . سليل النبوة ،
وعقيدُ الخلافة ، وسيد الأنام ، والمستنزل بوجهه دُر الغمام . إن الله شفّع
النبوة بالخلافة إكمالاً للرحمة والرفقة ، وقرن الرسالة بالإمامة نظراً للخاصّة
والعامّة . قد حاز الله لمولانا أمير المؤمنين موارث آبائه الراشدين الدّائدين
عن حوزته ، اللّاحنين بحجّته ، العامرين لبلاده ، الرّاعين لعباده ، الأمرين بما
أمر ، النّاهين عما حُظر . مولانا كَفَوْ المُلُك ، وكافي الخلق ، ورب السّريّر ،
ورب التّدبير .

ذكر السلطان وطيب ثمره من والاه وسوء مغبه من ناواه

السلطان ظلُّ الله في أرضه ، والمؤمن عليّ حقّه ، وآليدُ المبسوطة على
خَلْقِهِ ، يَرْحَمُ ما وَسِعَتِ النَّاسُ النُّعْمَةَ ، ويُعاقِبُ إذا أَصْلَحَتْهُمْ النُّقْمَةُ ، عالماً

أَنَّ اللَّهَ قَرْنَ وَعَدَهُ بِوَعِيدِهِ وَثَوَابَهُ بِعِقَابِهِ مَنَحَةً سَابِغَةً، وَحَكَمَةً بِالْغَةِ. السُّلْطَانُ زِمَامٌ عَلَى الْمِلَّةِ، وَنِظَامٌ لِلْجُمْلَةِ، وَجَلَاءٌ لِلْغَمَّةِ، وَرِبَاطٌ لِلْبَيْضَةِ، وَرِعْمَادٌ لِلْحَوِزَةِ. مَنْ عَصَى السُّلْطَانَ فَقَدْ أَطَاعَ الشَّيْطَانَ. السُّلْطَانُ يَدَافِعُ عَنْ سَوَادِ الْأُمَمَةِ. وَبِيَاضِ الدَّعْوَةِ. مَنْ شَايَعَهُ حَمْدَ يَوْمَةٍ وَعَدَهُ، وَرَعَى مِنْ أَلْعِيشِ أَرْغَدَهُ، وَمَنْ نَابَذَهُ كَانَ فِي الْأَشْقَيْنِ مَكْتُوبًا، وَلِلْغَمِ وَالْيَدَيْنِ مَكْبُوبًا. مَا يَلْجَأُ إِلَيْهِ لِأَجِيءٍ إِلَّا سَعِدَ جَدُّهُ، وَوَرَى زَنْدُهُ، وَنَفَذَ حَدُّهُ، وَزَادَ عَلَى يَوْمِهِ غَدُهُ، وَلَا يُفَارِقُ الْإِعْتِسَامَ بِحَبْلِهِ مَفَارِقُ إِلَّا حَالَفَهُ الْخُسْرَانُ، وَعَانَقَهُ الْخُذْلَانُ، وَرَصَدَتْ لَهُ الْمَنُونُ، وَلَمَحَتْهُ الْحَرْبُ الطَّحُونُ.

العدل وحسن السيرة

سَطَعَتْ مَصَابِيحُ الْعَدْلِ وَأَنْوَارُهُ، وَطَلَعَتْ شَمُوسُ الْأَمْنِ وَأَقْمَارُهُ. قَدْ أَحْيَا سُنَنَ الْعَدْلِ، وَأَمَاتَ سِيرَ الْجَوْرِ فَحَمَى الدِّينَ مَنِيعٌ، وَجَنَابُ الْمَلِكِ مَرِيحٌ. قَدْ بَسَطَ لِرَعِيَّتِهِ فَرَاشَ الْعَدْلُ، وَرَدَّ إِلَيْهِمْ رِيَاشَ الْفَضْلِ. قَدْ أَنَامَ الْأَنَامُ فِي ظِلِّ عَدْلِهِ، وَوَسِعَهُمْ بِإِحْسَانِهِ وَفَضْلِهِ. رَعِيَّتُهُ نِيَامٌ نَوْمَ الْأَمْنَةِ، وَسُكَارَى سُكْرِ الثَّرْوَةِ، وَمَتَكُثُونَ عَلَى فَرَاشِ الْعَدْلِ وَالنِّصْفَةِ، فِي يَدِهِ خَاتَمُ عَدْلٍ، وَفِي حُكْمِهِ صَارُمُ فَضْلِ. نَفُوسُ الرُّعِيَّةِ فِي ظِلَالِ السَّكُونِ وَادِعَةٌ، وَفِي رِيَاضِ الْأَمْنِ رَاتِعَةٌ. أَقْلَعَتْ غَمَائِمُ الشَّرِّ فِي أَيَّامِهِ، وَأَنْقَطَعَتْ سَمَائِمُ الظُّلْمِ بِأَحْكَامِهِ. بَرَزَ الْهَقُّ فِي أَحْسَنِ مَلَابِسِهِ، وَنَجَمَ الْعَدْلُ فِي أَزْكَى مَغَارِسِهِ. أَطْلَعَ كَوْكَبَ الْعَدْلِ وَكَانَ خَافِيًا، فَأَوْضَحَ مَذْهَبَ الْأَمْنِ وَكَانَ عَافِيًا.

حسن السياسة وتصريف أئنة المملكة

قَدْ صَرَفَهُمْ بَيْنَ مِيعَادِهِ، وَخَشُونَةِ إِيعَادِهِ، وَأَرَاهِمَ بِرِيقِ حُسَامِهِ، مَشْفُوعًا بِبُرُوقِ إِنْعَامِهِ. صَرَفَهُمْ عَلَى مَا هُوَ لَشْمَلُ الدِّينِ أَجْمَعِ، وَلِكَلِمَةِ الضَّلَالِ أَقْمَعَ. مُسْتَقِرٌّ فِي ذَرْوَةِ عِزِّهِ، مُسْتَقِيلٌ بِأَعْبَاءِ مُلْكِهِ. يَتَصَرَّفُ لِلسِّيَاسَةِ بَيْنَ رِفَقٍ مِنْ غَيْرِ

ضُعْف، وَخُشُونَةٌ مِنْ غَيْرِ عُنْفٍ، عَلَى بِلَادٍ مَمْلُكَةٍ، مِنْ حُسْنِ سِيَاسَتِهِ. حَرَسَ تَتَبَعَ الْمَرْقَةَ بِشُهْبِ الْإِرْدَاءِ وَالْإِتْوَاءِ، وَرَصَدَ يَعْقُبُ الْفَسَقَةَ بِرَجُومِ الْإِبَادَةِ وَالْإِفْنَاءِ. لَا يَدْعُ الْفَسَادَ يَسْرِي، وَدَاءَ الضَّلَالِ يَسْتَشْرِي. قَدْ عَوَّدَ فِي مَمَالِكِهِ الْحَيَاطَةَ حَتَّى لَا يُحَلَّ حَرَامُهَا، وَلَا يُنْفَذَ سَوَامُهَا، وَلَا تُذْعَرُ جَوَانِبُهَا، وَلَا تُدَبُّ عَقَارِيهَا. قَدْ بَسَطَ ظِلَّهُ عَلَى النَّهَارِ حَتَّى لَا تَشُبُّ نَوَائِبُهُ، وَعَلَى اللَّيْلِ حَتَّى مَا تُدَبُّ عَقَارِيهِ. رَعَاهَا وَهِيَ تُغْرِي رَاعٍ، وَحَمَاهَا وَهِيَ سَرَحَ يَضَاعُ، هُوَ عَلِمَ فِي الْعِلْمِ بِالسِّيَاسَةِ، وَجَامَعَ مَصْلَحَةَ الْعَامَةِ إِلَى مَصْلَحَةِ الْخَاصَّةِ.

يَمُنُ النَّقِيبَةُ

قَدْ عَظَّمَ اللَّهُ عَلَى النَّاسِ أَلَمَنَ، وَبَسَطَ بِمَكَانِهِ عَلَيْهِمُ الْإِمْنَ، وَعَرَفَهُمْ بِطَلْعَتِهِ الْيُمْنِ. أَوْلِيَاهُ مِنْهُ بَيْنَ ظِلٍّ مَمْدُودٍ، وَنَجْمٍ مَسْعُودٍ. قَدْ أَهْدَى إِلَى الْبِلَادِ أَمْنًا، وَقَدْ خَيَّمُ فِيهَا الدُّعْرَ، وَاسْتَحْفَظَ عَلَى الْبِلَادِ خَيْرًا، وَقَدْ حَوَّمُ عَلَيْهَا الشَّرَّ. أَيَّامَهُ تُشْرِقُ إِشْرَاقَ الصَّبْحِ الْأَلَامِعِ، وَأَثَارُهُ تَضْيِئُ إِضَاءَةَ الْقَمَرِ الطَّالِعِ. جَرَى مَجْرَى الْغَيْثِ إِذَا عَمَّ وَطَبَقَ، وَقَرْنُ الشَّمْسِ إِذَا ذَرَّ وَأَشْرَقَ، حُلٌّ مَحَلُّ الْغَيْثِ عِنْدَ اللَّذْبَةِ، وَالْغَوْثُ عِنْدَ الْكُرْبَةِ. أَفَاضَ الْخَيْرَ وَدَوَاعِيَهُ، وَحَسَمَ الشَّرَّ وَعَوَادِيَهُ.

اتساع المملكة والاستظهار بالرجال وكثرة الأموال

قَدْ أَوْجَدَهُ اللَّهُ ثَرَوَةً مِنَ الدُّخَائِرِ وَالْأَمْوَالِ، وَكَثْرَةً مِنَ الرِّجَالِ وَالْأَبْطَالِ، اسْتَظْهَرَ بِكُلِّ مَا أَقَامَ مِنْ دِينِ اللَّهِ أَوْدًا، أَوْ هَاضَ مِنْ عُدُوَّةٍ جَنَاحًا وَيدًا. قَدْ أَلْقَتْ إِلَيْهِ الدُّنْيَا أَزْمَتَهَا، وَمَلَكَتْهُ الْأَرْضُ أَعْتَتَهَا. قَدْ وَطَّأَ اللَّهُ لَهُ مِهَادَ الْمُلْكِ، وَأَعْطَاهُ مَفَاتِيحَ الْأَرْضِ لَانتَ لَهُ أَخَادِعُ الْبِلَادِ، صَفَّتْ لَهُ الدُّنْيَا بِحِذَافِيرِهَا، وَدَانَتْ لَهُ الْجِيُوشُ بِجَمَاهِيرِهَا. قَدْ أَعْلَى اللَّهُ كَلِمَتَهُ، وَرَفَعَ حَكْمَتَهُ، وَأَعْلَى يَدَهُ وَجُنْدَهُ، وَجَمَعَ أَسْبَابَ السَّعَادَةِ عِنْدَهُ، قَدْ مَلَكَهُ اللَّهُ أَقْطَارَ بِلَادِهِ، وَنَوَاصِي عِبَادِهِ، قَدْ عَوَّدَ اللَّهُ دَوْلَتَهُ ثَبَاتَ الْأَرْكَانِ، وَتَظَاهَرَ الْعِزَّ وَالسُّلْطَانَ، وَاسْتَظْهَرَ الْأَنْصَارَ وَالْأَعْوَانَ.

بنود مرفوعة بالنصر، وجنود كعدد القطر وأموال ككثبان الرمال، وذخائر أملاء
الهمم والآمال.

ذكر الملك المعظم النصر السعيد الجدد الميمون الطالع

لأن أمره كل متصغر، ودان لحكمة كل متوغر، واستجاب لإرادته ما
ارتاد، وأنضاف إلى مملكته ما استضاف وأزداد. سعادته تستخدم لأفضية،
وتعبد الدروب أفضية. أفضى به فتح إلى فتح، وقضى الله بنجح إلى نجاح،
وورع مثابذه بين أظفار الدهور، وقسم مخالفه كأعشار الجزور. البلاد
تتراحم على قصده، والفتوح تتسابق إلى يده. صولته سيان عندها المفاتيح
والمغالق، والمنديح والمضايق. سعادته تدع الدروب صحاصح، وتذر البحور
صحاصح. هو من يخدمه النصر والنصل، ويقدمه القضاء والفصل. لورقى
إلى ألفلك حتى يتناول السعدين بيديه، ويطاء النحسين بنعليه، لكانت همته
تعدو عدة بأزيد من ذلك وأكثر، وأعلى وأفخر. ما يهيم بأمر إلا أنفتح رتاجه، وهان
علاجه، ولأن شديده، وقرب بعيدة. لم ترد له قط راية، ولا فاتته من مطالبة
غاية. مخاطب من تفضل الله بالسنة الظفر، موعود في مناويته بتصاريف
الغير. ما يتعذر على أمره معتاص، ولا يكون عن رأيه مناص. العز شامل،
والتمكن متكامل، والعدو مذال، والولي مدال. قد ساق الله إليه عظام
المناجح والمنائح، وكتب له في صحائف النصر بأقلام الصفائح. السعادات
إلى حضرته تتوالى توالي القطار، وتعم كافة العراض والأقطار. الملائكة
جنوده، والآخذات عبدة. آراؤه مفاتيح كل فتح، وراياته ضوامن كل
نجاح.

اصلاح المملكة وإحسان الآثار وتطبيب الأخبار فيها

أحمد جمر آفئته، ومحا رسم الفرقة وجمع شمل الألفة. أقام قناة الدين،

وَمَدَّ رِوَاقَ الْمَلِكِ، وَبَسَطَ بَاعَ الْعَدْلِ، وَأَطَالَ عِنَانَ الْإِحْسَانِ. تَوَفَّرَ عَلَى
الْأَطْرَافِ فَحْرُسَهَا، وَأَنْتَدَبَ لِأَثَارِ السُّوءِ فَطَمَسَهَا. لَمْ يَدْعَ لِلْبَاطِلِ عِلْمًا إِلَّا
وَضَعَهُ، وَلَا رُكْنًا إِلَّا ضَعَضَعَهُ. أَذَكَّى مِنْ نَوْرِ الْحَقِّ مَا خَبَا، وَأَنْهَضَ مِنْ نَوِّ
الْعَدْلِ مَا خَوِيَ، وَحَاطَ مِنْ جَمَى الْخِلَافَةِ مَا وَهَنَ وَوَهَى، ثَقَّفَ قَنَاةَ الصَّلَاحِ
فَلَا تَنَادَى، وَقَطَعَ مَوَادَّ الْفُسَادِ فَلَا تَعْتَادُ. حَقَّنَ الدَّمَاءَ، وَسَاسَ الدَّهْمَاءَ، وَأَقْبَلَ
عَلَى مَصْلَحَةِ الْكَافَّةِ، وَبَسَطَ الْمَعْدِلَةَ وَالرَّافَةَ. كَمَ مُهْمٌ كَفَاهُ، وَدَاءٌ فَسَادِ
شِفَاهُ، وَجَنَاحٌ ضَلَالٍ حَصَّهُ، وَرَائِشُ خَبَالٍ عَمَّهُ بِالْكَوَالِ وَخَصَّهُ. قَوَّى كَاهِلَ
الدِّينِ وَسَاعَدَهُ، وَمَهَّدَ أَسَاسَ الْمَلِكِ وَقَوَاعِدَهُ. قَدْ حَصَلَ لَهُ مِنْ جَزِيلِ
الْأَجْرِ، وَجَمِيلِ الذِّكْرِ، مَا لَا تَزَالُ الرِّوَاةُ تَدْرُسُهُ، وَالتَّوَارِيخُ تَحْرُسُهُ. رَفَعَ اللَّهُ
بِمَعَالِيهِ أَعْلَامَ الْإِسْلَامِ، وَدَفَعَ بِمَسَاعِيهِ صَوَاعِقَ الْأَيَّامِ. اجْتَنَّتْ أَصُولُ الضَّلَالَةِ
وَفَرَّوَعَهَا، وَحَصَدَ نَجْوَمُهَا وَزَرَّوَعَهَا، وَأَبْطَلَ الْبَاطِلَ، وَأَحَقَّ الْحَقَّ، وَأَحَلَّ
النَّقْمَةَ بِمَنْ فَارَقَ الْعَصَا وَشَقَّ.

ما يختص من ذلك بالوزراء وأرباب الدولة وأوليائها

سَافِرُ رَأْيِهِ وَهُوَ دَانٍ لَمْ يَنْزَحْ، وَسَارَ تَدْبِيرُهُ وَهُوَ ثَائِلٌ لَمْ يَبْرَحْ. النِّجَاحُ مَقْصُورٌ
عَلَى تَدْبِيرِهِ، وَالصُّوَابُ مَقْرُونٌ بِإِمضَائِهِ وَتَقْدِيرِهِ، فَمَا قَدَّمَ فَعَنَ عَجُزُ أَمْرِ حَدِّثِهِ
بِهِ صَدْرَهُ، وَمَا أَخَّرَ فَلَعَزَمَ حَزْمُ تَحَقُّقٍ لَدَيْهِ قَدْرُهُ. وَرِثَ ذَاكَ الْمَقَامَ بِحَكْمِ
الْإِسْتِحْقَاقِ الزَّائِدِ، لَا الْإِتْفَاقِ الْمُسَاعَدِ، وَالِإِسْتِثْنَاءِ بِالْمَحَامِدِ وَالْمَنَاقِبِ، دُونَ
الْإِثَارِ بِالْهَوَى الْغَالِبِ. سَهَّلَ الْمُتَعَذِّرَ، وَذَلَّلَ الْمُتَوَعَّرَ، وَأَنَالَ الْبَعِيدَ، وَأَلَانَ
الشَّدِيدَ. هَدَى إِلَى إِجْهَادِ النَّفْسِ فِي الْمَصَالِحِ، وَوَقَفَهَا عَلَى سَبِيلِ الْمَرَاشِدِ
وَالْمَنَاجِحِ، وَاسْتَيْفَاءِ الْحَقِّ بِأَقْصَى الْإِسْطَاعَةِ، وَإِعْطَاءٍ لَهُ مِنْ غَيْرِ إِضَاعَةٍ. هُوَ
بَيْنَ صَدْعٍ يُشْعِبُ، وَثَائِي يُرَاقِبُ، وَشَعْبَةٍ يُلَمُّ، وَشَتَاتٍ يُجْمَعُ، وَخَرْقٍ يُرْقَعُ،
وَدِمَامٍ يُؤَكَّدُ، وَعَهْدٍ يُؤَيَّدُ، وَثَغْرِ يُسَدُّ، وَعَضْدٍ يُشَدُّ، وَعَقِيرٍ يُوسَى، وَمُهْجَةٍ
تُسْتَحْيَى، وَحُشَّاشَةٍ تُسْتَبْقَى. هُوَ بَيْنَ نَصْحٍ يُؤَثِّرُهُ، وَجَمِيلٍ يُؤَثِّرُهُ. هُوَ مُدَبِّرٌ

الأمرومقدّره، وموردُ الرَّأي ومُصدّره ليس قلمه إلا أوضح من السيف غرّاً،
وأحسن من الدّب عن البيضة أثراً، قلمه ناسج وشيّ مملكته، وناظم عقْدِ
دولته.

ذكر حضرة الملك وساحة السلطان

حضرته موقعُ الوُفود، ومطلعُ الجود، حضرته ملقى الرّجال، وقبله الآمال
مثابةُ المجد، وكعبة الملك. محطُّ رَحْلِ الكرم، وغاية مبلغ الهمم. منزعُ المجد،
ومطلعُ الفضل، ومرجعُ الأمل، وموضعُ الإحسان، ومرجعُ الملك، وموقع
الرّجاء قد حطّ بأخصب ربيع، وأقرب به من زرع وضرع. حضرة ينصبُّ إليها
موادُّ الرّغبات، وتُنشد فيها ضوألُ الطلّبات. مثابةُ الجود، ومطلعُ الوُفود،
وموسمُ الآداب، ومؤكّبُ الكتاب. كعبةُ الأمل، وقبله الطّلب، والحاكمةُ
ببلوغ الأرب، وحسنُ المُنقلب. عرّضه هي حضرة العذل، وساحةُ الفضل،
ومقرعُ الشكر، ومضرعُ الفقر. مجمعُ الفضائل ومعدنها، ومرتعُ المحامد
وموطنها. هي كعبةُ المحتاج، إن لم تكن كعبةُ الحجاج، ومشعرُ الكرم، إن
لم تكن مشعرُ الحرم، ومنى الضيّف إن لم تكن منى الخيف وقبله الصّلات،
إن لم تكن قبلة الصّلاة.

ذكر الوصول إليها والخدمة بتقبيّل الأرض واليد

وصلَ إلى رواق العزّ، ومستقرّ الملك. حلّ برّبع مانوس، وملك
محروس، وأستقرّ بساحة خضرة، وحصل على عيشة نضرة، مثلُ إزاء
السّرير، وأقبل على الأرض بالتقبيّل. فرّش الأرض بيديه فرشاً، ونقش
التراب نقشاً. أقبل على أداء الفرض، بتقبيّل الأرض. لما رأى قبلة الأمل،
أقبل على الأرض بالقبّل مسح الأرض بتعفيره، ووصل سجوده بتكفيره، قبل
اليد العالية بالمكاييم، الطاهرة من المآثم. قبل من أنامله مفاتيح الآفاق،

وينابغ الأرزاق. قبل اليد التي هي قبلة القبل وكنز الأمل.

ما يقع في هذا الباب

من ذكر العُصاة والأعداء ووصف أحوالهم ونعت أفعالهم

البطر وكفران النعمة والضميم والإستيلاء

فلأن قد أثرى فبغى، وأستغنى فطغى. أرضته الموهبة فتسخطها، وشملته النعمة فغمطها. نعم ترتع في أكلائها، وتغفل عن شكر آلائها. ما زالت الأيام تكشف لنا عن مساويه، وغلط رأينا فيه، وتدل على أن الإحسان إليه يفسده بقدر ما يصلح من النجيب، والإنعام يضر فيه بقدر ما ينفع في ألبيب. انكشف عنه حس الإصطناع، عن قبح الإمتناع، وكثرة البر، عن قلة الشكر أشر حين أنست وحشته، وغدر يوم صفت عيشته، جحد النعمة بعد أن رفعت عن حمول، وغمط الصنيعة وقد أطلعت عن أفول. غمط النعمة التي أوجدته عن عدم، وحلته عن عطل. أساء مجاورة النعم فكفرها، وجلل صفحة الصنيعة بالغموط فأنكرها. لبس ثوب الخذلان، وجاهر بالبغي والعدوان، وقابل النعمة بالكفران. حسب أن الغنم في الكفران والكنود، وأن الثعالب تسطو في مرائب الأسود.

ركوب الهوى وطاعة الأماني الكاذبة والآراء الفاسدة

قد ركب أضاليل الهوى، وأباطيل المنى، وأحاديث النفوس الكواذب، وسواس الآمال الخوائب، هيهات ما أضل ذلك من رأيٍ واسوأه من اختيار وأبعده من سدادٍ وصواب، وأخلقه بعائدة وبالٍ ونكال. يفتل في حبل المنى غارباً وذرى، ويخبط خبط العشواء سبراً وسرى. قدر أن مغمز رأينا يلين له، وأيدي انتصارنا تقصر عنه، فركب راسه، وأطاع وسواسه. يتمنون الأماني

الكاذبة، ويظنون الظنون الخائبة. وقد غرته نفسه، وكذبه أمله وحسه. حسب أنه يزاحم ثبوت الشرى، بنعام القرى، وآساد الغابة، بأعيار العانة. تأمروا بنجوى الضلالة، وترددوا في كواذب الآمال. رعوأ مراتع الظنون، ولم يروا مطالع المنون.

المداجاة والمراوغة في تربص الدوائر

قد طالت للدولة مداجاته، ودامت لأوليائها مماراته. يوهم طاعة يضمُر خلافها، ويتربص فتنة يستدر أخلافها. ما زال يؤهم وفاقاً، ويضمُر نفاقاً، ويبدل صدق طاعة وولاء، ويسر حسواً في ارتغاء. قد تحلى بموالاة وموافقة لبسهما على مداجاة ومنافقة وتجلب طاعة شاكر طائع، قد أفاضها على جثمان خالع. هو يوكي على الغش عيابه، ويحنو على النكت ضلوعه وحجابه، ولا ييدي لنا بادية وفاق، إلا عن خافية نفاق، ولا يطلع طالعة وداد إلا عن خيبة عناد، ولا يبرز في شيمة من شيم التقرب إلى قلوبنا، إلا كانت غطاءً على حيلة يعملها، وغيلة يرصد لها، وغشاء على فرصة ينتهزها، وغرة يهتلها. طاعة تبدى صفحتها، وإن لم تخلص صفقتها، يظهر المعاضدة، ويطن المعاندة. هو مضب على النفاق، معد للشقاق. يلقي الأولياء بوجه، والأعداء بقلب، ويكشر لهؤلاء عن بغض، ولهؤلاء عن حب. أظهر تسليماً يتخلله لجاج، وأبدى استقامة يكدرها أعوجاج.

تسويل الشيطان لمن يقرع باب العصيان

قد نعي الشيطان في آذانهم فاستجابوا لدعائه، وحسن لهم إسقاط سلطانهم فأسرعوا إلى ندائه. أوسعهم الشيطان تسويلاً، وأستهواهم تغريراً وتضليلاً. نفخ الشيطان في سحره ومناخره، وضرب بالأسداد بين أوائل أمره وأواخره، وحبب له العناد حتى شيط بلحمه ودمه، وكره إليه الرشاد حتى ألقاه وراء ظهره وتحت قدمه. صافح الخذلان فغادره رهينا، وقارن الشيطان وساء

قرينا. استزَل الشيطان قدمه، وعَرَض دمه، وأطال ندمه، نزع له شيطانه، وأمتدت في الغي أشطانه، وجَد الشيطان بينهم منزعا، ولصائب سهمه فيهم منزعا. عاد الشيطان يُسدي ويلجِم في إلقاح الشحناء، ويُسرج ويلجم في إلقاء العداوة والبغضاء. طاوَع شيطانه إذ أظله، وزلَّ معه حين استزله. قد أنخرط في سلك، وأظهر كلمة العصيان. أبى إلا أمتداد عِنايه، في الانقياد لشيطانه، واشتداد قُواه، في الاستسلام لهواه.

ذكر الغي والبغي والتمرد وسائر ما يتعلق بخلال العصيان

أقام عَلَى الغي الَّذي هو له موضع، وآلبي الَّذي هو فيه موضع. حلف عَلَى الموالاة فحيث، وعَهد في المصافاة فنكت، علمتُ حال فلان في حينه وشقائه، وسفاهة عقله ورأيه ودُخوله في ظلمة المَعصية، وخروجه من نور الطاعة، ورُكوبه المركب الَّذي لا بُدَّ أن يترجَّل راكمه، بل يتخذَل فارسه. فلان قد عصى، وشقَّ العصا، وخلع ربة الطاعة، وفارق ظل الجماعة، جُنَّ وقلب المجن. عكف عَلَى استضلال الغُوة، وصار مجنأ دُون الجُناة. قد مدَّ يداً قصيرة، ليتناول غاية بعيدة. فُضَّ ختام العافية بالعدر، وبدد شمل الخبر بِقلة الشكر. قد شرب كأس الجهالة، وأستوطأ مركب الضلالة، عاد زند شره قادحا، وفتي ضره قارحا. قد شملت مَعْرته، وعظمت مضرته. راغ عن المذهب القويم، وزاغ عن الصراط المُستقيم. أضله عماه، وزلَّت به قدماه. تسنم وعَد الخُطة العظيمة، وركب ظهر الفتنة الجسيمة. طار في ضلاله ووقع، وتاه في غيه وتسكع. أمتطى ظهر الإغتراب، وأطاع داعي البوار ذهب في العصيان شرَّ مذهب، وأمتطى من الطُغيان أصعب مركب. رشح أطفال الضغائن، وأحيا أموات السخائم، وأدب عَقارب الشر، وأدّر لقاح الجور، وأيقظ نائم الفتنة، وأوقد نار الحرب. قد نَزت به نوازي البطنة، وهدرت عَلَى يده شفاشق الفتنة.

في التعرض للهلاك واستجلاب سوء العاقبة

ذكرتُ حديثَ ألباحث عن مديته، الأكل لذيته، المُتَبَرِّمُ بعُمره، المنتهي إلى آخر أمره. تعرّض لاحتلاب أبلية، وتحكّك بأجتذاب المنيّة. ما هو إلاّ الفَراشةُ دَنَت من التّبار، فحامت حول النّار، والنّملةُ قَرُبَ اجتياحها، فنبت جناحها. قد ثنى إلينا عنقا أَعَنَقَتْ إليه الحُتُوفُ، وأبرقت نحوه السيوف. امتطى ظهراً لا ينجو راكمه، ولا يُفْضي إلى نُجَحٍ صاحبه. فهو بين هلاكٍ وِيرهقُه، وأُشراكِ توثقُه وتوبقُه، يستعين بالأعناق المُنتصبَة، على السيوف الملتهبة. مثله في مخالفته طرائق الحزماء، وخلائق الحُصَفَاء، مثل الفُراشِ المتهافت في الشّهَاب، والنّقدِ المتهجم على ليوث الغاب. قد خاطر بالنّفس، وتصرّف مع النّحس. تهافت أَلَبَقَ في الشّهَاب، وولوغ الدُّباب في الشّراب. يتردّدون في مرائب الضّراغم، ومكامن الأراقم. تردّد القانص في مَرَاتع الغُزُلان، ومَسارح الظّلمان. لا ينهّاهم عن جيشنا زئير أسوده، ولا يصدّهم عن حِمانا ديب أسوده، ما هو إلاّ ذريّة الرّماح، وعرضة الحين المتاح فَعَلَ فِعْلُ ألباحث عن مديته، أَلْمُتَعَجَّلُ إلى انقطاع مُدَّتِه، وطار في رأسه. ما أَظَنَّهُ يطيرُه عن جَسَدِه، ويقتطعه ليومه بالجهل عن غده. أَعماه غَلِيَانُ دمه، عن موقع قَدَمِه، وأغشاه أَشْتِيَاكُ الحُتَفِ إلى قبضه، عن شمس أرضه، لم يذر أن عريسة الأسد، ليست من مَراسِمِ النّقد. هم أغمارُ تناهت بهم الأعمار. هو أوّل جاني عَلى نفسه بيده، ومتعرّضٌ لهلاكه بجهده. فلانٌ قد قَرَعَ بابَ البلاء، ووطيء ذَنَبَ الحيّة الصّماء، ونطح برأسه الجبل، وأستبطأ الأجل، وطرّد العافية عن داره، وأنزل النّحس في جواره، وأستهدف لسهام الحيف، ومشى على حدّ السيف.

في ذكر الظلم وسوء آثارهم على العباد والبلاد

ظلمٌ صريح، وجورٌ فسيح، وأعتداءٌ قبيح. ظلمٌ تراكت مظالمه وظُلَمه

واتصلت غمائمهُ وعُغمُمهُ . قد ملكته الهَزَّة للظلم ، وأخذته العِزَّة بالإثم . بَسَطَ
 يده في المظالم يَحْتَقِبُهَا ، والمحارِم يَرْتَكِبُهَا ، وإذا رَأَيْتَ ثَمَّ أَمْلَاكاً مَغْصُوبَةً
 ومنهوبة ، ورعايا مأكولة ومشروبة ، وضرائب ضَرَبَتْ أَلْأَمَوالَ بالتمحيق ، والبضائع
 بالتمزيق . تلك البلاد تلتهب بجمرات ظلمه ، وتُنتهب ببدرات غشمه . فَالْحَرَمُ
 منتهكٌ ، والرَّعِيَّةُ محتَنكةٌ . رَعِيَّةٌ مدفوعون إلى فقد الرِّياش ، وضيق المعاش .
 قد أدَّاهم الغلاء إلى والبلاء ، والبلاء إلى الجلاء والإضاعة ، إلى الفاقة ،
 وصارت الخصاصة فوضى بين العامة والخاصة ، أُمَرَأُوهم عِجْزَةٌ قَعْدَةٌ ،
 وكُتِبُهم خونة مَرَقَةٌ ، فالأعراض بينهم منهوكة ، والآستار مهتوكة . والدِّماءُ مسفوكة ،
 والأموالُ مُجْتَاحَةٌ ، والديارُ مُسْتَبَاحَةٌ ، والحُرُّ بِالْعَرَاءِ مُنْبُذٌ ، وَالْوَعْدُ مُكْرَمٌ
 مَصْفُودٌ . أولئك قومٌ رضيعُهُم قد غُذِيَ بِالْعُدُونِ حتى دَبَّ ، وصَبِيَّهُم رُبِيٌّ
 بِالطُّغْيَانِ حتى شَبَّ ، وشابُّهُم قد تَدَرَّبَ بِالظُّلْمِ وَالْفُسُوقِ حتى شَابَّ ،
 وشيخُهُم قد أَضْبَ عَلَيَّ الْإِثْمِ وَالْفُسُوقِ حتى أَفْتَرَشَ التُّرَابَ . بلادُ معالمٍ
 أَلْحَقَ فِيهَا دُرُسَتْ ، وَالسِّنَةُ أَلْعَذَلُ بَيْنَهَا خَرِسَتْ ، وَرِياحُ الْقَتْلِ وَالنَّهْبِ هَبَّتْ فَلَاحَ
 تَرْكُدُ ، وَأَشْخَاصُ الظُّلْمِ وَالْإِثْمِ مَثَلَتْ فَلَاحَ تَقْعُدُ . جعلوا يُغَيِّرُونَ وَيُيَبِّرُونَ ،
 وَيُثِيرُونَ مِنَ الْفِتْنَةِ مَا يُثِيرُونَ . لا عَنْ الدِّمَاءِ كَفُّوا ، ولا عَنْ الْفُرُوجِ عَفُّوا . ما
 أَلَذُّبُ فِي الْغَنَمِ بِالْقِيَاسِ إِلَيْهِ إِلَّا مِنَ الصَّالِحِينَ ، ولا أَلْسُوسُ فِي الصُّوفِ فِي
 أَلصِّيفِ عِنْدَهُ إِلَّا بَعْضُ الْمُحْسِنِينَ ، ولا أَلْحَجَّاجُ فِي أَهْلِ الْعِرَاقِ مَعَهُ إِلَّا أَوَّلُ
 الْعَادِلِينَ ، ولا فِرْعَوْنُ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذَا قَابَلْتَهُ بِهِ إِلَّا مِنْ أَلْمَلَأَكَةِ
 الْمُقَرَّبِينَ . ما تَرَكَ لِرَعِيَّتِهِ فَضَةً إِلَّا فَضْهاً ، ولا ذَهَباً إِلَّا ذَهَباً ، ولا عِلْقاً إِلَّا
 أَعْتَلَقَهُ ، ولا عَقَاراً إِلَّا عَقَرَهُ ، ولا ضَيْعَةً إِلَّا أَضَاعَهَا ، ولا غَلَّةً إِلَّا غَلَّها ، ولا
 مَالاً إِلَّا مَالَ عَلَيْهِ ، ولا عَرَضاً إِلَّا تَعَرَّضَ لَهُ ، ولا حَالاً إِلَّا حَالَ عَلَيْها ، ولا
 مَاشِيَةً إِلَّا أَمْتَشَّها ، ولا فَرَساً إِلَّا أَفْتَرَسَهُ ، ولا سَبْداً إِلَّا أَسْتَبَدَّ بِهِ ، ولا بَزَّةً إِلَّا
 بَزَّها ، ولا خِلعةً إِلَّا خَلَعَهَا ، ولا جَلِيلاً إِلَّا اجْتَلَه ، ولا دَقِيقاً إِلَّا دَقَّه .

ذكر الهرج وكثرة الفتنة

رَفَعَتِ الْفِتْنُ أَجْيَادَهَا، وَجَمَعَتِ لِلشَّرِّ أَجْنَادَهَا، وَأَطَالَتْ سَوَاعِدَهَا، وَأَعْلَتِ قَوَاعِدَهَا، وَأَلَّ نَاجِمُهَا قَادِحًا، وَعَادَ جَذْعُهَا قَارِحًا. نِيرَانُ الْفِتْنَةِ تَشْتَعِلُ أَشْتِعَالًا، وَرَايَاتُ الْهَرَجِ تَخْفُقُ يَمِينًا وَشِمَالًا. فِي كُلِّ دَارٍ صَرْخَةٌ، وَفِي كُلِّ دَرْبٍ نَعْرَةٌ، وَفِي كُلِّ زَاوِيَةٍ ظَالِمٌ لَا يُنْصَفُ، وَمَظْلُومٌ لَا يَنْتَصِفُ. فَالْنَهَارُ لَيْلٌ بِالذُّخَانِ، وَاللَّيْلُ نَهَارٌ بِالنَّيِّرَانِ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْ رُسُومِ الْإِسْلَامِ غَيْرُ شَهَادَةِ الْإِيمَانِ وَإِقَامَةِ الْأَذَانِ. كَمْ فَشَا فِيهِمْ مِنْ قَتْلِ ذَرِيعٍ، وَضَرْ وَجِيعٍ، وَهَرَبٍ وَجَلَاءٍ، وَضَنْكِ وَبَلَاءٍ، وَنَارٍ مُضْطَرَمَّةٍ، وَفِتْنَةٍ مُخْتَدِمَةٍ. كَانُوا كَالْغَنَمِ السَّارِحَةِ الَّتِي لَا رَاعِيَ لَهَا، وَالْإِبِلِ الْأَسَائِمَةِ الَّتِي لَا سَائِقَ مَعَهَا. أَلْمَمَلَكَةُ شَاغِرَةٌ، وَأَفْوَاهُ الْفِتَنِ فَاعِرَةٌ. قَدْ شَهَرُوا سِيُوفَ الْفِتْنَةِ، وَشَبُّوا ضِرَامَ الْخِلَافِ وَالْفُرْقَةِ. قَدْ كَشَفَتِ الْفِتْنَةُ قِنَاعَهَا، وَخَلَعَتِ عِذَارَهَا، فَتَحَوَّلَتِ الرُّؤُوسُ أَذْنَابًا، وَالْعَبِيدُ أَرْبَابًا، وَالْغَنَمُ ذُنَابًا. أَصْبَحَتْ تِلْكَ الْبِلَادُ وَهِيَ قَنَأٌ تَشْطَى، وَنَارٌ تَلْظَى، وَنَاسٌ يَأْكُلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا. نَعَرَتِ الْفِتْنَةُ، وَوَقَعَتِ الْعَثْرَةُ، وَمَاجَ الْأَمْرُ، وَجَمَعَ الدَّهْرُ، وَأَنْخَرَطَ سَبِيلُ الْأَمْنَةِ، وَشَالَتْ نِعَامَةُ السَّلَامَةِ، وَأَنْقَطَعَ شِرْيَانُ السِّيَاسَةِ، وَتَمَزَّقَ ثَوْبُ الْمَعِيشَةِ، وَقَامَتِ سَوْقُ الدَّعَارَةِ، وَأَنْجَرَّ ذَيْلُ السَّرَقَةِ. نَوَاحٍ مَعَالِمُ الدِّينِ فِيهَا مُضَاعَةٌ، وَدَوَاعِي الشَّيْطَانِ بِهَا مُطَاعَةٌ، أَدَّى ذَلِكَ إِلَى هَبِيجِ الرِّعَاعِ، وَتَحَزُّبِ الْأَشْيَاعِ، وَتَأَثُّرِ الْأَذْنَابِ وَالْأَتْبَاعِ. الْبَلَدَةُ نِيرَانٌ تَضْطَرِمُ، وَجَمْرَاتٌ تَحْتَدِمُ بَيْنَ فِتْنَةٍ نَائِثَةٍ، وَأَضْطِرَابٍ نَائِثَةٍ، وَأَهْلُهَا سَوَامٌ بِلا رُعَاةٍ، وَجُنْدٌ بِلا حُمَاةٍ. فَلَانُ نَاتِجِ تِلْكَ الْإِجْحَنِ وَمُؤَثَرِهَا، وَمُوقِدِ تِلْكَ الْفِتَنِ وَمُورِثِهَا. كَمْ مِنْ فِتْنَةٍ شَبَّهَا، وَغَارَةٍ شَنَّهَا. قَدْ أَلْهَبَ الْفِتْنَةُ وَأَثْقَبَ جَمْرَهَا، وَأَرِثَتْ نَارَهَا، وَتَوَلَّى كِبَرَهَا. هُوَ الَّذِي هَاجَ تِلْكَ الْفِتْنُ وَأَبَاحَهَا، وَأَنَارَ تِلْكَ الْإِجْحَنَ وَصَارَ لِقَاحَهَا. كَادَ الْإِسْلَامُ يَضَعُفُ رُكْنَهُ، وَالشَّرْكُ يَصْدُقُ ظَنَّهُ.

التحذير والأندار والأهابة إلى الرشاد

رأى مولانا أن يأخذ بسنة الإعذار، ويحذر عاقبة الإصرار، ويُقدّم كلمة الاستظهار، ويُلقِي إليهم الإنذار، قبل الإنكار. مَنْ أنقذ لحكمه، ووقف عند رسمه، فقد حمى رُوحه وماله وأهله وحاله، ومن أضرم في الفتنة ناراً، ورفع لها مناراً، فقد أباح من نفسه المحذور، ومن ملكه الحجر المحجور، ولحقه ما يتركه سُمعة رادعة، ومثلة وازعة. من تعدى طوره، وتخطى قدره، فلا أنقباض بعد توقيفه، عن تثقيفه، وبعد الإعذار إليه، من الإنكار عليه، لا يألوهم نصحا، قد أعترضتهم سنة الغفلة دون تمثله، ولا يزجرهم وعظاً، قد خامرتهم سكرة الغيرة قبل تقبله. قد قدم النذر، ونَبَذَ العذر، زَمَجَرَة الليل قبل الإفتراس، ونضنضة الصل قبل الانتهاس، وإنباض النابل للنذير، وإيماض السائق للتحذير أبصروا رُشدكم، وأعرفوا قصدكم، قبل أن يَنْتَقِلَ معكم عن إنفاذ الكتب إلى تسريب الكتائب، وعن توجيه الرُّسل إلى إرسال المقاب. إن جعلت المراوغة حجاباً، وأصدرت بالمدافعة جواباً، أبدلتك الحُسام، من الأقلام، والأفواج، من الأدراج، ولم نرض بغير الرِّماح رسلاً تختلف، ولا بغير السهام وسائل تتردد.

في العمى عن الرشاد والصمم عن المواعظ والإصرار على الضلالة

قد نكب عن وجه الرُّشاد على عين بصيرته بالأسداد. صم عن النذير، وقد أسمعته ووعظه، وأتى على النصيح وقد حذره وذكره، أبي له ضعف العقل والنخيزة، ولوم الطبع والغريزة إلا إصراراً على طيشه وسفهه، واستمراراً في غيه وعمه حتى كأن الوعظ أغراه، والرُّشاد أغواه. فلان جامع لا يرجع، ومُضِب لا ينزع، ومُضِر لا يُقلع، أخذت العِزَّة بسمعه وبصره، وأقتطعت الحيرة عن تدبره وتبصره. يلقي الوصية بالاطرّاح، ويدفع الطاعة بالراح.

توقظه الْعَبْر فلا يستيقظ، وتعظه آلايات وَالنَّذْر فلا يتعظ. هُوَ مَنْ لَا تَكْفُ الْمَوْعِظَةُ غَرْبَ جهالته، وَلَا تَقْلُ النَّصِيحَةُ حَدَّ ضلالته. يُصْغِي إِلَى الرَّشَادِ بِمَسْمَعٍ أَصَمٍّ، وَيَعْطُسُ فِي الْعِنَادِ بِأَنْفٍ أَشَمٍّ. قَدْ غَطَى الْخِذْلَانُ عَلَى سَمْعِهِ وَعَيْنِهِ، وَحَالَ بَيْنَ قَلْبِهِ وَصُدْرِهِ، وَمَلَكَ عَلَيْهِ الشَّيْطَانُ مَسَارِبَ عَزْمِهِ، وَمَسَارِي فِكْرِهِ. قَدْ تَحَوَّلَتْ بِالْمَوْعِظَةِ هَادِيًا مِنْ حَيْرَتِهِ، وَمُسْتَشْلِيًا مِنْ غِمْرَتِهِ، فَنَادَاهُ الْخِذْلَانُ بِأَنْ صِمْمْ فَأَصْرَ، قَالَ لَهُ الشَّيْطَانُ تَمِّمْ فَاسْتَمَرَّ. كَأَنِّي أَغْرَيْتُهُ، فَنَادَاهُ حِينَ نَهَيْتُهُ، وَأَعْوَيْتُهُ حِينَ هَدَيْتُهُ، وَأَعْمَيْتُهُ حِينَ بَصَّرْتُهُ، وَخَذَلْتُهُ حِينَ نَصَرْتُهُ. أُولَئِكَ قَوْمٌ قَدْ أَخَذَ اللَّهُ بِأَسْمَاعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ، وَقَرَنَ الْخِذْلَانُ بِأَعْوَانِهِمْ وَأَنْصَارِهِمْ. جِهَالَةٌ عَمُوا بِهَا عَمِيَاءَ، وَغِشَاوَةٌ مَدَّتْ عَلَى دَهْمَائِهِمْ دَهْمَاءَ.

إبراز صفحة المناظرة

أبرز صفحة المكاشفة، وكشف قِنَاعَ المخالفة، وسار عَلَى مَدَارِجِ الْغُرُورِ، وَأَثَارَ كَوَامِنِ الثُّبُورِ. مَا ظَنَنْتُ الْجَهْلَ يَسْتَمُرُّ كُلَّ هَذَا الْإِسْتِمْرَارِ، حَتَّى يَسْتَوْفِيَ كِتَابَ الْخِذْلَانِ، وَيَسْتَغْرِقَ صَحِيفَةَ الْإِدْبَارِ. قَدْ مَتَكَ حِجَابَ نِفَاقِهِ، وَأَظْهَرَ مَكْنُونََ شِقَاقِهِ، فَانْحَرَفَ وَخَالَفَ، وَجَاهَرَ وَكَاشَفَ، وَأَظْهَرَ مَكْنُونََ سِرِّهِ، وَأَبْدَى كَائِينَ شَرِّهِ، وَأَقْدَمَ عَلَى الْعُظْمَى، وَصَرَاحَ بِجَحْدِ النِّعْمَى. كَشَفَ قِنَاعَ الْحِشْمَةِ، وَخَرَقَ حِجَابَ الْهَيْبَةِ. بَارَزَ سُلْطَانَهُ بِالْمَحَادَّةِ، وَجَاهَرَهُ بِالْمُضَادَّةِ، مُسْتَبِدِلًا بَعْزَ تَذَلُّلِهِ، ذُلَّ تَعَزُّزِهِ عَلَيْهِ، وَمُعْتَاضًا مِنْ أَمْنَةٍ سَعِيهِ فِي رِضَاهِ، خِيفَةَ مُخَالَفَتِهِ إِيَّاهُ.

استيعاب التكبر والمعاقبة

أَمَّا الْكِبَائِرُ الَّتِي تُحْكِي عَنْهُ فَالْوَاحِدَةُ مِنْهَا تَرْفَعُ رُحْصَةَ الْحُكْمِ، وَتُبْذِي الْهَيْجَنَةَ فِي الصَّفْحِ. قَدْ جَرَتْ مِنْهُ هَنَاتٌ أَقْتَضَتْ أَنْ تُعَرَّفَ قَدْرُهُ، وَتَلْقَى بِمَا يُشْجِي صَدْرَهُ. قَدْ أَوْجَبَ مُرُوقُهُ مِنَ الطَّاعَةِ، وَفَسَوْقِهِ بَغَايَةَ الْإِسْطِطَاعَةِ، إِنْ تُرْتَجِعَ عَوَارِي النِّعَمِ مِنْ يَدَيْهِ، وَتَفَاضَّ مَلَابِسُ النِّقَمِ عَلَيْهِ. لَا يُغْنِي فِيهِ

التَّوْقِيفُ دُونَ التَّثْقِيفِ والتَّعْلِيمِ، دُونَ التَّقْوِيمِ، وَالْإِعْذَارُ وَالْإِنْذَارُ دُونَ الْإِيْقَاعِ وَالْإِيْجَاعِ. هُوَ بَعْرَضُ إِنْكَارِ يُسَيْلِ دُمُوعِهِ، وَيُقِيمُ ضُلُوعَهُ. قَدْ أَسْتَحَقَّ أَنْ يُحْمَلَ أَثْقَالُ الْمَعَاقِبَةِ، وَيُعَرَفَ آيَاتُ سُوءِ الْعَاقِبَةِ. أُنْزِلَ مَنْزِلُهُ مِثْلَهُ مِمَّنْ أَسَاءَ حِفْظُ الْوَدِيعَةِ، وَجَوَارُ الصَّنِيعَةِ، فَاسْتَوْجِبَ نَزْعَهُمَا مِنْهُ، وَتَحْوِيلَهُمَا عَنْهُ. ضَاقَ بِهِ كَنْفُ الْعَفْوِ، وَحَقَّتْ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الطُّو. قَدْ أَسَوَدَّتْ صَحِيفَتُهُ، وَأُغْلِقَ بَابُ التَّوْبَةِ دُونَهُ، وَحِيلَ بَيْنَ الْعَفْوِ وَبَيْنِهِ. عَثَرَتْهُ مَحْظُورَةٌ عَلَى الْإِقَالَةِ وَهَنَاتُهُ تَجْنِي لَهُ ثَمَرَ الضَّلَالَةِ.

الأبراق والأرعاد

سَيَعْلَمُ الْمَخْذُولُ كَيْفَ يُرْمَى بِحَجَرِهِ، وَتَشْبَعُ الْوُحُوشُ مِنْ جِيفَتِهِ وَنَفَرِهِ، الْأَهْبُ لَا سِتِيصَالَهُ مَأْخُودَةً، وَالسِّيُوفُ لِقَتَالِهِ مَشْخُودَةً. سَيُلْغُ فِي بَابِهِ مَا يَتَأَدَّبُ بِهِ كُلُّ جَامِحٍ فِي عِنَانِهِ، وَطَامِحٍ إِلَى مَا لَيْسَ مِنْ شَأْنِهِ. سَتَرَاهُ وَلَيْسَتْ لَهُ عَيْنِي طَارِفَةً، وَلَا جِنَّةٌ وَاقِفَةٌ لَأَكْشِفَنَّهُ لِكُلِّ لَيْلٍ بَارِدٍ، وَنَهَارٍ وَاقِدٍ. سَيَنْزِلُ بِأُولَئِكَ الْأَعْمَارِ قَاطِعَاتِ الْأَعْمَارِ. إِمَّا ذَلَّ وَاسْتَكَانَ، وَإِمَّا هُلِكَ فَقَتَلَ قَدْ كَانَ. قَدْ تَكُونُ لِلْبَاطِلِ جَوْلَةٌ، وَلِلْفَسَادِ مُهْلَةٌ. ثُمَّ تَأْتِي مِنَ الْإِنْتِقَامِ وَالْإِصْطِلَامِ، مَا يَسْقُطُ الْهَامُ عَلَى الْأَقْدَامِ. أَمَا فَلَانُ فَسِيرَاقٌ عَلَى الضَّلَالِ دَمَهُ، وَتَتَطَايَرُ عَلَى الْجَذُوعِ رِمَمُهُ. لَمْ يَدْرِ أَنَّ الْعَزِيمَةَ مِنْ مَوْلَانَا تَتْرُكُ أَمْثَالَهُ مِثْلًا، وَتَجْعَلُهُ لِأَهْلِ الشَّقَاقِ مِثْلًا. أَمَا عَلِمَ أَنَّ مَوْلَانَا إِذَا رَمَاهُ بِشُعْبَةٍ مِنْ أَفْكَارِهِ وَمَسَّهُ بِجَذْوَةٍ مِنْ نَارِهِ. عَادَ حَرَصُهُ نَدْمًا، وَصَارَ وُجُودُهُ عَدْمًا، وَغَوِذَرِ أَشْيَاؤُهُ بَدْدًا، بَلْ طَرَأَتْ قِدَادٌ. أَتَدْرُونَ وَيَحْكُمُ فِي أَيِّ حَتَفٍ تَوَرَّطْتُمْ، وَأَيِّ شَرٍّ تَأَبَّطْتُمْ. إِمَّا فَطَمَكُمُ عَنْ رَضَاعِ الْحَيْفِ، وَإِمَّا حَسَمَكُمُ بَغْرَارِ السَّيْفِ، تَمَثَّلْ هَذِهِ الْمَقَانِبِ، وَتَصَوِّرْ هَذِهِ الْكَتَائِبِ، وَأَخْطِرْ بِبَالِكَ قَلْبَهَا، فَإِنَّ قَلْبَكَ يَذُلُّ عَلَى حَالِكَ، وَمَيِّمَتِهَا فَإِنَّ يَمِينَكَ تَتَقَاصَرُ عَنْ شِمَالِكَ؛ وَمَيَّسَرَتِهَا فَإِنَّ الْيُسْرَى تَتَرَاوَعُ عَنْ أُمُورِكَ، وَجَنَاحُهَا فَإِنَّكَ تَجْنَحُ عَنْ كَافَّةِ شُؤُونِكَ.

احتشاد العدو

حَشَرَ وَحَشَدَ، وَاسْتَمَدَّ وَاسْتَنْجَدَ وَاسْتَعَدَّ، كَاشَفَ وَبَادَى، وَحَشَرَ فَنَادَى، حَشَدَ وَحَشَرَ، وَضَمَّ وَنَشَرَ، وَجَمَعَ أَطْرَافَهُ، وَأَلْفَ أَلْفَافَهُ. قَدْ اسْتَنْفَذُوا قُوَاهُمْ فِي تَكْثِيرِ الْعَدَدِ، وَتَوْفِيرِ الْعُدَدِ، وَتَقْدِيمِ الْمَرَاصِدِ، وَتَوْكِيدِ الْمَكَائِدِ. جَمَعُوا شَوْكَهُمْ وَشَجَرَهُمْ، وَجَرُّوا مَدَرَهُمْ وَوَبَرَهُمْ، وَاسْتَنْفَذُوا قُوَاهُمْ وَقَدَرَهُمْ. نَفَضَتْ تِلْكَ أَلْبِلَادُ أَحْرَارَهَا وَعَبِيدَهَا، وَأَخْرَجَتْ عُذَّتَهَا وَعَدِيدَهَا. رَمَتْ تِلْكَ أَلْبِلَادُ بِأَفْلَازِ كَبِيدِهَا، وَأَخْرَجَتْ أَرْضُهَا أَثْقَالَهَا مِنْ عَدِيدِهَا وَعُدْدِهَا. أَسَالَتْ تِلْكَ أَلْبِلَادُ سَيْلَهَا، وَجَمَعَتْ مِنْ أَسْلِحَتِهَا نَهَارَهَا، وَمِنْ سَوَادِهَا لَيْلَهَا.

ذم جيش العدو

زَحَقَ إِلَيْهِ بِمَا أَحْتَطَبَ فِي لَيْلِهِ، وَقَمَشَ مِنْ غُثَاءِ سَيْلِهِ. نَهَضَ بِمَنْ جَمَعَ مِنْ فَرَاشِ النَّارِ، وَأَوْبَاشِ الْأَمْصَارِ. اغْتَرَّ بِمَا أَجْتَمَعَ إِلَيْهِ مِنْ فَلَ الْخُيُولِ، وَغُثَاءِ السَّيُولِ، وَرَذَايَا الْمَلَا حِمٍ، وَبَقَايَا الصَّوَارِمِ. تَنَابَحَتْ إِلَيْهِ كِلَابُ الْغَارَةِ أَلْشَعْوَاءَ، وَتَعَاوَتْ لَدَيْهِ ذُنَابُ الصَّيْلِمِ الصَّمَاءِ. خَرَجَ بِمَنْ لَفَّ لَفَّهُ، وَصَافَحَ عَلَى الضَّلَالِ كَفَّهُ مِنْ أَشْيَاعِ الْغَوَايَةِ، وَأَتْبَاعِ الْغَوَايَةِ. جَمَعَ مَنْ جَمَعَ مِنْ فَرَاشِ النَّارِ، وَخَشَاشِ الْبُورِ. أُولُتِكَ الْكِلَابُ الْغَوَايَةِ، وَالذَّنَابُ الْغَوَايَةِ. غُصْبَةُ الضَّلَالِ وَغُصْبَةُ الْخَبَالِ. تِلْكَ الْعُصْبَةُ الْمَعْصُوبَةُ بِالثِّيَابِ، الْمَنْغُصُوبَةُ عَلَى الْأَلْبَابِ. كُلٌّ مِنْ مَعَهُ مِنْ أَصْنَافِ الْأَتْبَاعِ، وَالْعَوْمِ الرَّعَاعِ. مَنْ لَا يَقِيمُ لَهُ وَزْنَ، وَلَا يَتِمَثَّلُ لَهُ أَمْرًا، وَإِنَّمَا نَصَبُوهُ سُلْمًا لَهُمْ إِلَى الْأَمْوَالِ الْمُسْتَهْلَكَةِ، وَالْمَأْكَلِ الْمُوَيْتَةِ، وَالْمَوَارِدِ الْمُرْدِيَةِ.

استهانة الأعداء واستحقارهم والتفاؤل عليهم

سَحَائِبُ صَيْفٍ عَنْ قَلِيلٍ تَنْشَعُ، وَغُرُوقٌ بَاطِلٍ لَا تَمُهِلُ أَوْ تَقْطَعُ. لَا تَهُولُكَ كَثْرَةُ الْأَرْجَاسِ فَإِنَّهُمْ أَزْوَادُ الضَّبَاعِ، وَآكَالُ السَّبَاعِ، وَمَشَارِعُ

السُّيُوف، وَمَرَاتِعُ الْحُتُوف. مَا هِيَ إِلَّا صَيْحَةٌ وَاحِدَةٌ، وَزَجْرَةٌ رَاصِدَةٌ، حَتَّى تَرَاهُمْ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِي دِيَارِهِمْ، وَلَمْ يُسْمَعْ بِأَخْبَارِهِمْ. هُوَ غَرَضُ الْجَوَائِحِ، وَهَدَفُ الْخَوَاطِيفِ، وَأَتْبَاعُهُ رِجْلُ جَرَادٍ فِي رِيحٍ يَوْمٍ عَاصِفٍ. أَقْبَلَ فِي شِرْذِمَةٍ هِيَ لَجِيُوشُ السُّلْطَانِ بِمَنْزِلَةِ الْبَغَاثِ لِلْجَوَارِحِ الَّتِي تَعْتَدُّهَا لُحْمَةً، وَتَتَّخِذُهَا طَعْمَةً. هُمْ فَرَائِصُ الْجِمَامِ، وَأَهْدَافُ السَّهَامِ. مَا مِنْهُمْ إِلَّا جَرَادٌ مَجْرُودٌ، وَقَنْصٌ مَصِيدٌ أَوْ مَطْرُودٌ، الْمُتَالِفُ لَهُمْ رَاصِدَةٌ، وَإِلَيْهِمْ قَاصِدَةٌ. مَا مِنْهُمْ إِلَّا نُهْزَةُ الطَّالِبِ، وَفُرْصَةُ الْغَالِبِ، وَطَعْمَةُ الْآكِلِ، وَجُرْعَةُ الشَّارِبِ. جَاءَ فِي أَقَلِّ لُحْمَةٍ، وَأَضْعَفِ شِرْذِمَةٍ. وَنَوَازِلُ الْغَيْرِ بِهِمْ مُحَدِّقَةٌ، وَسَهَامُ النَّقَمِ لَهُمْ مَفُوقَةٌ.

قرب العدو من الهلاك

هُوَ مُحَاطٌ بِهِ وَكَأَلْمَأْخُودِ بِنَاصِيَّتِهِ. قَدْ أَذِنَ اللَّهُ فِي قَطْعِ أَكْلِهِ، وَأَدْنَاهُ مِنْ حَاضِرِ أَجَلِهِ. مَا هُوَ إِلَّا فُرْصَةٌ الْيَوْمِ أَوْ غَدٍ، وَالْهَلْكَ وَاقِفٌ لَهُ بِكُلِّ مَرَّصِدٍ. قَدْ رَصَدَهُ ضَوْءُ الصَّبَاحِ وَظِلَامُ اللَّيْلِ. لَتَجَنَّهُ أَرْحَامُ الْأَرْضِ، أَوْ يَنْشُرَ مَنْ بَطُونِ السَّبَاحِ. وَالطَّيْرُ قَدْ حُصَّ جَنَاحُهُ، وَدَنَا آجَتِيَا حُهُ. مَا هُوَ إِلَّا صَفَاةٌ أَنْ قَرَعَهَا بِلِ قُلْعِهَا، وَقَنَاةٌ قَدْ حَانَ صَدْعُهَا بِلِ قَطْعِهَا. دَعَائِمُهُ مَخْفُوضَةٌ، وَمَرَاثِرُهُ مَنَقُوضَةٌ. وَاللَّعْنَةُ بِهِ مَعْصُوبَةٌ، وَالْهَلَكَةُ عَلَيْهِ مَكْتُوبَةٌ. قَدْ أَحْتَفَّتْ بِهِ النَّوَابِ تَصَرُّفِ أَنْبِيَائِهَا، وَصَمَدَاتُ لَهُ الْخَوَادِثُ تَفْتَحُ أَبْوَابَهَا، وَأُنَحَّتْ عَلَيْهِ الْخُطُوبُ تَخْطُبُ بِحَتْفِهِ، وَلُزَّتْ بِهِ الصَّرُوفُ تَأْخُذُهُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ.

فيمن يسعى بقدمه إلى مراق دمه

قَدْ طَارَ بِجَنَاحِهِ، إِلَى مَوَاضِعِ آجَتِيَا حِهِ. يَمْشِي إِلَى حَتْفِهِ بِأَخْمَصِيهِ، وَيَبْحَثُ عَنْ مُدَيْتِهِ بِيَدَيْهِ. تَحْفِزُهُ إِلَى مَصْرَعِهِ الْأَضَالِيلِ، وَتُعَجِّلُهُ إِلَى مَهْلِكِهِ الْأَبَاطِيلِ. اسْتَخَفَّهُمُ الْحَيْنُ الْمَتَّاحُ، وَاسْتَحْتَنَّهُمُ الْقَدَرُ الْمُجْتَنَّاحُ. جَدَّ بِهِمْ

أَسْتَعْجَالُ الْأَجَالِ، وَتَصَوُّرُ لَهُمُ الْمَنَايَا فِي صُورِ الْأَمَانِي وَالْأَمَالِ. سَارُوا
وَأَجَالُهُمْ تَفْسَحُ لَهُمْ فِي مَطَامِعِهِمْ، وَمَنَايَاهُمْ تَحُثُّ مَطَايَاهُمْ إِلَى مَصَارِعِهِمْ.
أَقْدَمُوا رَاكِبِينَ لِلْغَرَرِ، مُسْتَسْلِمِينَ لِلْغَيْرِ. تَجَذَّبَهُمْ كَوَاذِبُ الْأَطْمَاعِ بِمَقَاوِدِ
نَفْسِهِمْ، إِلَى مَقَاطِعِ رُؤْسِهِمْ، وَتَسَوَّقُوهُمْ بِأَزْمَةِ مَعَاطِسِهِمْ، إِلَى مَظَانِّ مَتَاعِهِمْ.
نَقَلَهُمُ اللَّهُ بِأَقْدَامِهِمْ، إِلَى مَصَارِعِ حِمَامِهِمْ. تَوَجَّهَتْ تِلْكَ أَلْعَاكِرُ الْمَخْذُولَةِ
يَسُوقُهَا رَاهِنَ ضَلَالِهَا، إِلَى انْتِهَاءِ أَجَالِهَا، وَيَقُودُهَا حَاضِرُ دِمَارِهَا، إِلَى أَنْقِضَاءِ
أَعْمَارِهَا.

ذَكَرَ انْخِزَالُ الْأَعْدَاءِ وَوَهْلُهُمْ وَاسْتِيلَاءُ الرَّعْبِ عَلَيْهِمْ قَبْلَ الْمُحَارَبَةِ
نُصِرْنَا بِالرُّعْبِ عَلَيْهِمْ، حَتَّى أَصْبَحَتْ أَلْمَهَابَةُ سُيُوفًا خَوَاطِرَ فِي قُلُوبِهِمْ،
وَرَاخَتْ الْمَخَافَةُ رِمَاحًا خَوَاطِفَ لِنَفْسِهِمْ، مَلَكَه دُعْرُ أَرَاهِ دُورَةَ مُنْتَسِفَةٍ،
وَجَبُوشَةُ مُخْتَطَفَةٍ، وَبِلَادَهُ مُمْتَلِكَةً، وَمَعَاقِلَهُ مُنْتَهَكَةً. أَحْوَالُهُ قَدْ تَدَاعَتْ،
وَنَفُوسُ أَصْحَابِهِ قَدْ ارْتَاعَتْ، تَمَثَّلَ لَهُ الْأَجَلُ، فَمَلَكَه أَلْوَجَلُ، وَاسْتَطَارَهُ
أَلْوَهْلُ، فَلَنْ يَطُولَ بِهِ أَلْمَهْلُ. نَاوَشُوا بِقُلُوبِ غَمَرِهَا أَلْوَجَلَ، وَأَيَّدَ قَدْ أَوْعَفَهَا
أَلْوَهْلُ. فَالْسَّوَاعِدُ غَيْرُ مُسَاعِدَةٍ، وَالْأَعْضَادُ غَيْرُ مُعَايِدَةٍ. أَخَذَتْ مَبَانِيهِمْ
تَنْتَفُضُ، وَدَعَائِهِمْ تَنْقُوصُ، وَزِنَادُهُمْ تَصَلِّدُ، وَرِيَاخُهُمْ تَرْكُدُ. فَلَمْ يَطُورُوا مَوْلَانَا
إِلَيْهِمْ مَنْزِلًا إِلَّا تَضَاعَفُوا ضَعْفًا وَتَخَلَّخُوا، وَلَمْ يَذْنُ مِنْهُمْ مَنَهْلًا إِلَّا أَزْدَادُوا وَهْنًا
وَتَزَلَّزَلُوا. لَا يُمَرُّونَ حَبْلًا إِلَّا أُوثِقُوا بِقَوَاهِ، وَخَنَقُوا بِعُرَاهِ، وَلَا يُلْهِبُونَ نَارًا إِلَّا
عُوجِلُوا بِضَرَرِهَا، وَأَبِيدُوا بِشَرَرِهَا. سَاءَ صِبَاخُهُمْ، وَقَرُبَ اجْتِيَاخُهُمْ،
وَتَطَايَرَتْ فَرَقًا أُرُوحُهُمْ. أَشْعِرَتْ نَفْسَهُمُ التَّلَاقِي، فَبَلَّغَتْ التَّرَاقِي، عَلِمُوا أَنَّ
الْفِرَاعَ لَا يُشْمَرُ إِلَّا قَرَعَ صَفَاتِهِمْ، وَالنِّزَاعَ لَا يُنْتِجُ إِلَّا نَزْعَ شِبَاتِهِمْ. اسْتَبَدَلُوا
بِالْتَّطَاوُلِ تَضَاوُلًا، وَبِالْتَّجُلْدِ تَبَاعَدًا، وَرَأَوْا الْأَنْوَارَ ظُلُمًا، وَالْأَشْخَاصَ بُهْمًا،
وَالْأَكَامَ رَجَالًا، وَالْجِبَالَ خَيْلًا عَجَالًا. لَمَّا رَأَوْا الرَّايَاتِ الْمَنْصُورَةَ تَخْفِقُ خَفَقَتِ
عَلَيْهَا قُلُوبُهَا، وَتَمَثَّلَ لَهَا أَنَّ قَدْ وَجِبَتْ جُنُوبُهَا. انْزَعَجَ مِنْ مَكَانِهِ بِقَلْبٍ هَلُوعٍ،

وَرُوعٍ مَرُوعٍ. أَحْسَنُ قُرْبِ الْمَوْتِ وَضِيقِ الْعَيْشِ، وَضَعْفُ الْجَاشِ وَأَضْطِرَابُ
الْجَيْشِ. تَقْدِمُهُمُ الْآخِبَارُ وَهُمْ يَتَأَخَّرُونَ، كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ
يَنْظُرُونَ.

مسير الملك في جيوشه والتفؤل له

سار مولانا وآلسماء تحسُّدُ الأرضَ لسيِّره، وآلنجوم تَوَدُّ لَوْ جَرَّتْ مَعَ سَنَابِكِ
خَيْلِهِ. أَقْبَلَ مَسْعُودَ الْكَوَاكِبِ، مَنْصُورَ الْمَوَاكِبِ. سَارَ تُخْرَجُ مَعَهُ الْأَرْضُ
أَثْقَالَهَا، وَتُسَيِّرُ الْغَبْرَاءَ جِبَالَهَا. نَهَضَ مَوْلَانَا وَالْأَرْضُ سَائِرَةً بِمَسِيرِهِ، وَالْأَقْدَارُ
صَائِرَةً إِلَى تَدْبِيرِهِ. نَهَضَ وَالسُّعُودُ تَوَاكِبِهِ، وَالْمَنَاجِحُ تُصَاحِبُهُ، وَمَعُونَةُ اللَّهِ
تَقْدُمُهُ، وَصَوَائِبُ الْعِزَمَاتِ تَخْدُمُهُ. جَلَّلَ مَوْلَانَا هَذَا الْخُطْبَ عِظَمَ حَرَكَتِهِ،
وَعِشَاهُ كِبَرَ مَسِيرِهِ عَنْ دَارِ مَمْلَكَتِهِ. فَكَادَتْ آسْمَاءُ تَمِيدُ إِعْظَامًا لِنَهْوِضِهِ،
وَالْأَرْضُ تَسِيرُ مَعَ خِيُولِهِ. نَهَضَ مُجَرِّدًا عَزْمَهُ لِقَصْدِهِمْ، وَمُحْصِدًا رَأْيَهُ فِي
حَصْدِهِمْ. رَكِبَ فِي أَنْصَارِ حَقِّهِ، وَأَعْوَانَ مَلِكِهِ، فَكَادَتْ الْأَرْضُ تَرْجُفُ،
وَالْجِبَالُ تَزْخَفُ، وَالْأَفْلَاكُ تَقِفُ، وَالْكَوَاكِبُ تَكْفُ. سَارَ بِأَسْعَدِ الطَّوَالِغِ
وَالْفَوَاتِحِ، وَأَحْمَدِ الْمِيَامِنِ وَالْمَنَاجِحِ، بِجِيُوشِهِ الَّتِي لَا تَحْصُرُهَا الْأَعْدَادُ، وَلَا
يُقَاسُ بِهَا الْأَجْنَادُ، فَحُسِبَتْ الْأَرْضُ تَرْحَلُ بِرَحِيلِهَا، وَتُسَيِّرُ مَعَ حَوَافِرِ خِيُولِهَا.
سَارَ مَوْلَانَا فِي جِيُوشِهِ فَخِيلَتِ الْأَرْضُ مَائِجَةً، وَالْبَحَارُ هَائِجَةً، وَالنُّجُومُ
مُنْكَدِرَةً، وَالسَّمَاءُ مُنْفَطِرَةً، خَرَجَ وَالْمَنَاجِحُ تَطْرُقُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَالْمِيَامِنُ تَسِيرُ
حَوَالِيهِ، وَأَيَاتُ الظُّفْرِ تُقْرَأُ مِنْ ذَوَائِبِ أَعْلَامِهِ وَبَنُوْدِهِ، وَرَايَاتُ النَّصْرِ تَخْفُقُ
عَلَى مَرَكَبِهِ وَجُنُودِهِ. أَقْبَلَ وَالْإِقْبَالُ حَاجِبُهُ، وَالنَّصْرُ صَاحِبُهُ، وَالصَّنْعُ
مُصَاحِبُهُ، وَالظُّفْرُ يَقْدُمُ أَعْلَامَهُ، وَالْقَدْرُ يَخْدُمُ أَيَامَهُ. نَهَضَ وَالسُّيُولُ تَقْصُرُ عَنْ
دَهْمَاءِ جِيُوشِهِ وَجُنُودِهِ، وَالنُّجُومُ تَغْمِضُ عَنْ ضِيَاءِ أَلْوَيْتِهِ وَبَنُوْدِهِ، وَالنَّجْحُ يُقْرَأُ
مِنْ نَوَاصِي خَيْلِهِ، وَالْأَرْضُ تَضْحَكُ عَنْ آثَارِ عَدْلِهِ وَخَيْرِهِ. سَارَ مُعَيِّي الْجَيْشِ،
رَابِطُ الْجَاشِ، أَصِيلُ الرَّأْيِ وَالْحَزْمِ، مَلْتَمِ الْتَدْبِيرِ وَالْعَزْمِ. زَحَفَ إِلَيْهِمْ
زَحْفًا، مَلَأَ قُلُوبَهُمْ رَجْفًا. اسْتَقَلَّ بِهِ الْمَسِيرُ شَائِمًا بِرُوقِ الْعَزِّ، مُقَدِّمًا كِتَابَ

الرَّعْب، مُسْتَصْحِباً مَفَاتِحَ النَّصْرِ. أَقْبَلَ وَالْدُّنْيَا تَسِيرُ بِسِيرِهِ، وَخُدُودُ النُّجُومِ فِي سَنَابِكِ خَيْلِهِ. سَارَ يَقْدُمُهُ جَنْدٌ مِنَ الرَّعْبِ وَالْذُّعْرِ، وَيَتَّبِعُهُ مَدَدٌ مِنَ الصَّنْعِ وَالنَّصْرِ. أَقْبَلَ فِي مَرَكَبِ أَعْلَامِهَا تَخْفُقُ بِالنُّجُحِ، وَطَبُولُهَا تَنْطِقُ بِالْفَتْحِ. بَرَزَ وَقَدْ جَهَّزَ أَوْدَ الْمَلِكِ مِنْ حُمَاتِهِ، وَأَعْيَانَ الْأَرْضِ مِنْ كُمَاتِهِ، وَرَايَاتِهِ تَكَادُ تَنْطِقُ بِالنُّجُحِ، وَيُمْلِي بِأَسِنَّتِهَا كِتَابَ الْفَتْحِ.

وصف الجيش بالكثرة والشوكة والنصرة

خَيْلٌ، كَقِطْعِ اللَّيْلِ، وَرِجَالٌ، خُلِقُوا لِقَطْعِ الْأَجَالِ. جِيُوشٌ تَرْجِفُ لَهَا الْأَرْضُ، وَيَسْتَوِي بِهَا النَّشْرُ وَالْخَفْضُ، خَفَّتْ الْجِيُوشُ فَخِلَتْ الْجِبَالُ سَائِرَةً، وَالْبَحَارُ نَائِرَةً. جِيُوشٌ يُرَوْنَ مِنَ الْكَثْرَةِ قِطْعَ لَيْلٍ أَسْفَعَ، وَمِنَ الْحَدِيدِ وَجْهَ نَهَارٍ قَدْ مَتَعَ. مَوَاكِبُ ضَاقَتْ عَنْهَا مَنَاكِبُ الْأَرْضِ، ذَاتِ الطُّولِ وَالْعَرْضِ. جِيُوشٌ يَغْضُ بِهَا الْفَضَاءُ، وَيَسْتَكِينُ بِهَا الْقَضَاءُ، وَتَضْيِقُ عَنْهَا الْأُوطَارُ، وَتَخْشَعُ لَهَا الْأَقْدَارُ. جَيْشٌ كَاللَّيْلِ، بِكَثْرَةِ الْخَيْلِ، وَكَالنَّهَارِ، بِوُضُوحِ الْآثَارِ. عَسَاكِرُ تُتَابِعُ أَفْوَاجُهَا، وَتَتَدَافَعُ أُمُوجُهَا. جَرَّ إِلَيْهِمْ جِبَالَ الْحَدِيدِ، وَأَطْلَقَ أَعِنَّةَ الْأَسُودِ السُّودِ. عَسَاكِرُهُمْ آسَادٌ وَبَحَارٌ، وَأَقْضِيَّةٌ وَأَقْدَارٌ، وَجِبَالٌ أَطْوَادُهَا هَمَمٌ وَنَفُوسٌ، وَنُجُومٌ أَسْلَحَتُهَا أَقْمَارٌ وَشُمُوسٌ. مَلَأَ الْمَلَأَ خَيْلاً وَرِجَالاً، تَحْمِلُ أَوْجَالاً وَأَجَالاً حُسِبَتْ الْأَرْضُ تَرْتَحِلُ بِرَحِيلِهِمْ، وَتَسِيرُ مَعَ حَوَافِرِ خَيْولِهِمْ. طَلَعَتْ عَلَى أَعْدَاءِ اللَّهِ الْمُطَايَا، عَلَيْهَا الْمَنَايَا، وَالسُّيُوفُ، فِي طُبَاهَا الْحَتُوفُ. بِإِدْرَؤِ أَفْوَاجٍ وَأَرْسَالٍ، وَأَنْفَرُوا خِفَافاً وَثِقَالاً. عَسَكْرٌ وَافَرُ الْمَدَدِ، كَثِيرُ الْعَدَدِ كَثِيفُ الْعُدَدِ.

وصف الأبطال والشجعان وأبناء الحروب

كُلٌّ بِاسِلٍ قَدْ نَعَوَّدَ الْأَقْدَامَ، حَيْثُ تَزَلُّ الْأَقْدَامُ، وَشَجَاعٌ يَرَى الْإِحْجَامَ، عَاراً لَا تَمَحُوهُ الْأَيَّامُ. سَيْفُهُ أُمُّ الْأَجَالِ، وَرَمَحُهُ يُتَمُّ الْأَطْفَالِ. مَا لَسِيفُهُ غَيْرَ الرِّقَابِ، قَرَابٍ إِذَا أَفَاضَ قَدَاحَ الْقِتَالِ قَمَرَ أَجَالِ الرِّجَالِ. قَدْ مَلَأَ الْأَرْضَ

دِمَاءَ، وَالسَّمَاءَ هَبَاءً. حَجَلُ الْخَيْلِ بَدْمَاءُ أَعَادِيهِ، وَجَعَلَ هَامَاتِهِمْ قَلَانِسَ رِمَاحِهِ. نَهَضَ كَاللَّيْثِ الْحَادِرِ، وَالشَّجَاعِ الْثَائِرِ، وَالْحُسَامِ الْبَاتِرِ. عِقْبَانُ خَيْولٍ فَوْقَهَا أَسَدُ جُنُودٍ. أَبْنَاءُ الْحُرُوبِ الَّذِينَ نَشَأُوا فِيهَا، وَارْتَضَعُوا لِبَانِهَا، وَعَرَفُوا مِرَاسَهَا، وَأَلْفَوْا مِسَاسَهَا، كَالْأَسْوَدِ إِقْدَامًا، وَالنَّيِّرَانَ اضْطِرَامًا. بِأَمْثَالِهِمْ تَشَحَّنُ أَطْرَافُ الصَّفُوفِ، وَعَنْ قِسِيهِمْ تَصْدُرُ رُسُلُ الْحَتُوفِ. رِمَاحُهُمْ ظُمَاءٌ، وَشَرَابُهَا دِمَاءٌ، وَسُيُوفُهُمْ هَيَامٌ، وَمَشَارِعُهَا نَحُورٌ وَهَامٌ، خَيْولُهُمْ سَنَابِقُ الْفُوتِ، وَسَهَامُهُمْ بُرْدُ الْمَوْتِ، وَحِمْلَاتُهُمْ آتِيَّ السَّيْلِ، وَمَجِيئُهُمْ مَجِيَّ اللَّيْلِ. لَا يَمْلُونَ الشَّرَّ إِذَا خَرَسَتِ الْأَبْطَالُ، وَنَطَقَتِ الرِّمَاحُ الطُّوَالُ. أَبْنَاءُ الْغَايَاتِ، وَلِيُوثُ الْغَابَاتِ. أَقْبَلُوا كَاللِّيُوثِ الْخَوَادِرَ عَلَى الْعِقْبَانِ الْكَوَاسِرِ. مَا مِنْهُمْ إِلَّا سَيْفُ الضَّرْبِيَّةِ، وَلَيْثُ الْكَتِيَّةِ. أَحَادُهُمْ نَفَرٌ، وَأَفْرَادُهُمْ زُمَرٌ. الْحَرْبُ ذَابُهُمْ، وَالْجِدُّ آدَابُهُمْ، وَالنَّصْرُ طَعْمُهُمْ، وَالْعَدُوُّ غَنَمُهُمْ. قُلُوبٌ أَسْوَدٌ فِي صُدُورِ رِجَالٍ، وَرِيَّاحُ زَعَاذِرٍ فِي ثَبَاتِ جِبَالٍ. هُمْ عَلَى الْأَعْدَاءِ بَلَاءٌ وَاقِعٌ، وَسُمْ نَاقِعٌ. يُصِيبُونَ الشَّعْرَ مِنْ بَعِيدٍ، وَيَدْخُلُونَ بَيْنَ زُبُرِ الْحَدِيدِ. يَقْرُونَ وَالْأَقْدَامُ زِيَالٌ، وَيَخْفُونَ وَهُمْ عَلَى الْأَقْرَانِ ثِقَالٌ. أَنْيَابُ الدَّوْلَةِ وَأَعْضَادُهَا، وَكُمَاتُهَا وَأَنْجَادُهَا.

ذِكْرُ الْأَوْلِيَاءِ وَالْأَعْدَاءِ مَعًا

التَّقْوَا فَقَبِلَتْ رِيحَ الْإِقْبَالِ لِأَوْلِيَاءِ اللَّهِ، وَذَبَرَتْ رِيحَ الْإِدْبَارِ عَلَى أَعْدَاءِ اللَّهِ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ مُعْتَمِدُونَ بِالْمَنَاحِ الزُّهَرِ، وَأَعْدَاؤُهُ مَتَرُصَّدُونَ بِالْمَنَابِا الْحُمْرِ. كَانَتْ لِلأَوْلِيَاءِ الْأَثَرَةُ، وَعَلَى الْأَعْدَاءِ الدَّبَرَةُ. جَدُّ الْأَوْلِيَاءِ بِقُلُوبٍ قَدْ غَمَرَهَا أَلْيَقِينَ، وَأَيْدٍ قَدْ بَسَطَهَا التَّمَكِينُ، وَبَيَّتِ الْأَعْدَاءُ وَقَدْ بَسَطَ لَهُمُ الْغُرُورُ أَمَالَهُمْ، وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ. فَازَ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ بِأَجْرِ الْمُجَاهِدِينَ، وَبَاءَ أَعْدَاءُ اللَّهِ بِوِزْرِ الْمُعَانِدِينَ. أَزْدَادُ الْأَوْلِيَاءِ شِدَّةُ مِرَاسٍ، وَقُوَّةُ بَاسٍ، وَثَبَاتُ مَقَامٍ، وَصَدَقَ أَنْتِقَامٌ. وَأَبْتَدَأَتْ أَعْدَاءُ اللَّهِ تَنْتَلِمُ مُوَاقِبَهَا، وَتَضَعُفُ مَنَاقِبَهَا، وَتَنْخَفِضُ

أعلامها، تنتفض أبرامها، وترى بأسلحتها أغلالاً تؤثّقها وتؤبّقها، وأنكالا ترهّقها وترهّقها.

تعبية الجيوش وترتيبها

رتب مولانا المقادم عموماً وخصوصاً، وعبى المقانب بنياناً مرصوصاً. أمر بتسوية الصفوف التي لا خلل بها، وانتضاء السيوف التي لا خلل لها. عبى جيوشه ميامن تضمّت اليمن، ومياسر اتبعت اليسر، ووقف في القلب بقلب يسع الرمال، ويرجع الجبال. رتب فلاناً ومن برسمه في ميمته التي يقارنها اليمن والنجاح، وفلاناً في ميسرته التي يصاحبها اليسر والفلاح، وصار هو وقواده قلباً قابلاً لما قاله، ناكساً لما واجهه.

تلاقي الجيشين وكشف الحرب عن ساقها

تلاقى الجيشان فاصطف الخيل والرجل، وامتلأ الحزن والسهل، وبرقت الأبصار بشعاع السيوف، وسفرت رسل الخوف بين الصفوف. تراءى الجمعان، وأفضى قرب العيان، إلى قرب العنان، وألتهبت جمرة الضراب والطعان. اشتبكت الحرب تصرف نابها، وتكشف ساقها، وتضرم نارها، ويشد نطاقها. التقى الجمع بالجمع، وقرع النبع بالنبع. دنا العنان من العنان، وأفضى الخبر إلى العيان. سارت الجموع إلى الجموع، وبرق البصر بلمعان الدروع، وحمى وطيس المراس، ودنت التراس من التراس.

اشتداد الحرب وحمى وطيسها

دارت كأس الموت دهاقا، وعاد لقاء القرن للقرن عناقا. بلغت القلوب الحناجر، وشافهت السيوف المناحر. هاجت الهيجاء، وعزّ النجاء، وصار الترامي عناقا. والتلاقي اعتلاقا. صمتت الألسنة، ونطقت الأسيّة، وخطبت

السُّيُوفُ عَلَى مَنَابِرِ الرِّقَابِ، وَأَقْدَمَتِ الرِّمَاحُ عَلَى الْخُطَطِ الصِّعَابِ. اعْتَنَقَتِ الصُّوَارِمُ وَالْمَنَاصِلُ، وَتَلَا حَقَّتِ الْقَنَا وَالْقَنَابِلُ، وَاشْتَدَّ أُزْرُ الْمِصَاعِ، وَتَكَايَلِ الشُّجْعَانُ صَاعاً بِصَاعٍ. قُدِّحَتِ نَارُ الْقِرَاعِ، وَجَالَتِ قِدَاحُ الْمِصَاعِ، تَلَاقَتِ الْفِرَقُ، وَاشْتَدَّ الْفَرَقُ، وَصَارَ الْفَارِسُ إِلَى الْفَارِسِ أَقْرَبَ مِنْ ظِلِّهِ، وَالسَّيْفُ أَدْنَى إِلَى الْوَرِيدِ مِنْ حَبْلِهِ. اسْتَعَرَتِ الْمَلْحَمَةُ، وَعَلَتِ الْغَمْغَمَةُ. فَدَارَتِ رَحَى الْحَرْبِ، وَاسْتَحَرَّتْ جَمْرَةُ الطُّعْنِ وَالضَّرْبِ، وَاشْتَجَرَتِ سُمْرُ الرِّمَاحِ، وَتَصَافَحَتِ بَيْضُ الصِّفَاحِ. احْمَرَّتِ الْحُلُقُ، مِنْ الْعَلَقِ. ضَاقَ الْمَجَالُ، وَتَحَكَّمَتِ الْأَجَالُ. لَمْ يَرِ إِلَّا رُؤُوسٌ تَنْدُرُ، وَدِمَاءٌ تَهْدُرُ، وَأَعْضَاءٌ تَتَطَايَرُ، وَأَجْسَامٌ تَتَزَايِلُ. التَّقَى الصِّفَانُ، وَبَرَزَتِ الْأَقْرَانُ لِلْأَقْرَانِ، وَخَطَبَتِ الصُّوَارِمُ عَلَى مَنَابِرِ الْأَعْنَاقِ، وَسَفَرَتِ السِّهَامُ بَيْنَ الْقِسِيِّ وَالْأَحْدَاقِ.

أَعْمَالُ الْأَسْلِحَةِ

رَشَقُ شُبَّةٍ فِيهِ تَرَادُفُ النَّبْلِ، بِاتِّصَالِ الْوُئْلِ، وَزَرْقُ أَعَادِ الدُّعْجِ زُرْقًا، وَأَوْسَعُ الْأَهَبِ خَرْقًا. رَشَقُوهُمْ بِنَبَالٍ، تَتَحَمَّلُ قَطْعَ الْأَجَالِ. وَاتَّخَذُوا النَّبْلَ رُسُلًا مُؤَدِّيَةً مَا حُمِلَتْ، وَرِسَائِلَ مُبْلَغَةً مَا أُودِعَتْ. مَا مِنْهُمْ إِلَّا رَامٌ لَا يَخْطِيءُ الْأَهْدَافَ، وَلَا يَتَجَاوَزُ الشُّغَافَ، تَجُوزُ نِبَالُهُمُ الدَّرَقَ إِلَى الْحَدَقِ، وَتَنْفُذُ إِلَى الْخُلُقِ مِنْ خَلَلِ الْحَلْقِ. أَتَتْهُمْ السِّهَامُ كِرْجَلِ الْجَرَادِ، وَالزَّانَاتُ الْجِدَادُ (كَذَا) صَادِرَةً عَنِ السُّوَاعِدِ الشِّدَادِ. أَوْسَعُوهُمْ ضَرْبًا وَمَشَقًا، وَطَعْنًا وَرَشَقًا، وَجَرَحًا وَزَرْقًا. ضَرَبَهُ بَعْضُ الْغُلَمَانِ ضَرْبًا رَعْلًا، وَثَنَاهَا بَعْضُ الْعَرَبِ بِطَعْنَةِ نَجْلًا. تَوَاصَتِ الضَّرِبَاتُ، بَيْنَ زَرْقِ الْبَالِزَانَاتِ لَا يَعْرِفُ إِنْصَافًا، وَضَرْبِ الْمَرْهَفَاتِ يَفْلُقُ الْهَامَ أَنْصَافًا. أَخَذَتِ الرِّمَاحُ تُطِيرُ شَرَرَهَا، وَالرُّؤُوسُ تَفَارِقُ قَصَرَهَا. ثُمِّلَتِ الرِّمَاحُ مِنَ الدِّمَاءِ فَتَعَثَّرَتْ فِي النَّحُورِ، وَتَكَسَّرَتْ فِي الصُّدُورِ. اشْتَجَرَتِ سُمْرُ الرِّمَاحِ، وَتَصَافَحَتِ بَيْضُ الصِّفَاحِ. سَيُوفُ أَغْمَادِهَا الرُّؤُوسُ

والطللى، وجفونها القلوب والكلى. قد أخذت السيوف نفوسهم، وأثمرت القنا رؤوسهم.

حسن الغناء في الحرب والإيقاع بالأعداء وشدة النكاية فيهم

قابلوا الجلادَ بالجلد، ونابوا عن أنياب الأسد، وأعطوا الجهاد، أوفى حظوظ الإجتهد. أجملوا البلاء، وأحسنوا الغناء. بلغوا في اقتناص الأعداء أقصى المبالغ، ووطئوهم وطء القامع الدامغ. أبلوا بلاء الأبطال، وأبطلوا كيد الأعداء. إن الأبطال زحموا الأعداء من جوانبهم، وتمكنوا من فض مواكبهم، ووطئوهم بسنابك الخيول، وتركوهم كجفاء السيول. صبوا عليهم سوط عذاب، وأسلموهم لعوادي تبار وتباب. وقأئع هدت قواعد بنيانهم، وأشابت نواصي ولدانهم. طحنوهم طحن الحب، وجعلوهم درايا الطعن والضرب. وثبوا عليهم وثوب الأسود، وتركوهم كالزروع المحصود. نكوا فيهم نكاية القضاء والقدر، وأثروا فيهم تأثير النار في ييس الشجر. شربوهم شرب إلهيم، وحطموهم حطم الهشيم، وتركوهم كالرميم. تجردوا لهم فحطوهم وحطموهم، وهزّوهم وهزموهم، تركوهم موطي الحوافر، ومورد الكواسر، ومغدى الضباع، ومراح السباع. قصّوهم فأقصّوهم بأيدي الغير، وحصدوهم حصّد الشوك والشجر. طفقوا ينقضّون عليهم كالأجادل، ويقذفونهم بالجنادل. أقدموا عليهم إقدام السيل، ونسخوهم نسخ النهار لليل.

هبوب ريح النصر

حتى إذا ضاق المجال، وتحكمت آلاجال. أهبّ الله لمولانا ريح النصر، وحكم لحزبه باللعلو والقهر، ولما بلغ كتاب المهل آخره، أجرى الله للواء المنصور طائره. برقت لامعة النصر، وحانت ساعة القهر. ما أنتصف النهار

إِلَّا وَقَدْ آتَنَصَفَ اللَّهُ لِلْحَقِّ مِنَ الْبَاطِلِ، وَكُنْفَنَا بِالْأَيْدِ الْقَاهِرِ، وَالنَّصْرُ الشَّامِلِ. هَبَّتْ رِيحُ النَّصْرِ فَأَنْجَزَ اللَّهُ لِمَوْلَانَا وَعْدَهُ، وَأَظْفَرَ جُنْدَهُ، وَحَفِظَ عَادَاتِهِ عِنْدَهُ. لَاحَتْ غَرَّةُ الْفَتْحِ، وَوَضَحَتْ وَضُوحُ الصُّبْحِ، وَأَشْرَقَتْ صَفْحَةُ الظُّفْرِ، إِشْرَاقَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، وَلَمَّا هَبَّتْ لِأَشْيَاعِ الدَّوْلَةِ رِيحُ النَّصْرِ، عَلَتْ بِهِمْ يَدُ الْقُدْرَةِ فَاتَّبَعُوا أَدْبَارَ الْمَارِقِينَ، وَأَوَّوْهُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ. جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ، وَنَزَلَ الظُّفْرُ وَالنُّجَحُ.

انجلاء المعركة عن القتلى والجرحى والأسرى والهزمى

انجلت غَبْرَةُ المعركة، وَقَدْ أَحَاطَتْ بِالشَّقِيِّ يَدُ المَهْلِكَةِ. اقْتَسِمَ شَيْخُ الطَّغْيَانِ بَيْنَ اجْتِيَاكِ سَرِيعٍ، وَقَتْلِ ذَرِيعٍ، وَأَسِيرٍ مُوْتَقٍ، وَحَصِيرٍ مُوْتَقٍ، وَلَمْ يَنْجُ إِلَّا شِرْذِمَةٌ لَازَتْ بِذِمَّةِ الْهَرَبِ، وَلَنْ تَفُوتَ يَدُ الْطَّلَبِ. بَيْنَ قَتِيلٍ قَدْ عَجَلَ اللَّهُ بِرُوحِهِ إِلَى دَارِ جَزَائِهِ؛ وَأَسِيرٍ قَدْ أَوْثَقَهُ مَا أَرْتَكِبُهُ بِسُوءِ رَأْيِهِ، وَمُنْهَزِمٍ أَطَارَ الرَّعْبُ قَلْبَهُ، وَسَلَبَ الْخَوْفُ لُبَّهُ. بَيْنَ قَتِيلٍ آسَأَتْهُ بِهِ الْحِمَامُ، وَأَتَى عَلَيْهِ الْإِصْطِلَامُ، وَجَرِيحٍ قَدْ عَايَنَ طَرُوقَ الْمَنِيَّةِ، دُونَ بُلُوغِ الْأَمْنِيَّةِ، وَمُنْهَزِمٍ لَا يَسْتَبْقِيهِ الْهَرَبُ، إِلَّا بِمَقْدَارِ مَا يَنَالُهُ الطَّلَبُ. قَسَمَهُمْ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ بَيْنَ قَتِيلٍ تَبَوَّأَ مِنَ النَّارِ مَحَبَسَهُ، وَمُوَلَّى جَعَلَ ثَوْبَ الْعَارِ مَلْبَسَهُ، وَأَسِيرٍ حُبَسَ عَلَى حُكْمِ الشَّرِيعَةِ، وَمُسْتَأْمِنٍ أُلْحِقَ بِأَهْلِ الصَّنِيعَةِ بَيْنَ قَتِيلٍ مُوسَّدٍ، وَأَسِيرٍ مُصَفَّدٍ، وَهَارِبٍ مُطْرَدٍ، وَمُسْتَأْمِنٍ مُقَيَّدٍ، بَيْنَ قَتِيلٍ مَتَشَحَّطٍ بِدِمَائِهِ، وَجَرِيحٍ مُتَقَلِّبٍ بِدِمَائِهِ، بَيْنَ قَتِيلٍ مُرْمَلٍ، وَجَرِيحٍ مُجَدَّلٍ، وَأَسِيرٍ مُكَبَّلٍ. لَمْ يَرِ مِنْ أَشْيَاعِ الْمَخْذُولِ إِلَّا أَسِيرٌ مُوْتَقٍ، وَجَرِيحٌ مُرْهَقٌ، وَقَتِيلٌ مُطْرَحٌ، وَشَرِيدٌ مُطْوَحٌ. إِلَّا أَسِيرٌ وَحَسِيرٌ، وَقَتِيلٌ وَعَقِيرٌ، وَجَرِيحٌ وَقَرِيحٌ، وَمَرْمَلٌ وَمُرْمَلٌ، وَمَقْبُورٌ وَمَثْبُورٌ. تَفَرَّقُوا بَيْنَ أَسِيرٍ أَحَاطَتْ بِالرَّقَابِ جَوَامِعُهُ، وَجُرْحٍ تَحَكَّمَتْ فِي الْأَجْسَادِ لَوَادِعُهُ، وَقَتْلٍ دَنَتْ مِنَ الْأَشْقِيَاءِ مَشَارِعُهُ. قِيلَ لِأُولَئِكَ الْأَغْمَازِ، الْقَصَارِ الْأَعْمَارِ: شَاهَتِ الْوُجُوهُ

وهبت لهم الدُّبور بين هَشمٍ ورَمِيمٍ، وقتيل وأمِيمٍ، وجريحٍ ورهينٍ، وأسيرٍ مع قرينٍ.

ذكر القتل والقتلى

انكشفت الهَبْوة عن فلان وقد سبقت الصفاح، فيه موضع الاستفتاح. قضت منهم الرِّمَاحُ أوطارها، وبردت السيُوفُ أوارها. سكنتِ النفوسُ بقتله كما سكنت نفسُ الإسلام، بقتل أبي جهل بن هشام. مَقْتَلَةٌ نعت ظمأ الأرض، وأزالت سَعْبَ السباع والطَّير، صليّ قبل حرّ النار بحرّ المناصل، وسقى الأرض من دمه بطلّ ووابل. استبدل من أمله، حضور أجله، واستعاض من شهامته، تسليم هامته. قد غَضَّتْ بقتلاهم حلوق الأرض، واحمرت من دمائهم مُتون التُّرب، بطون الأرض أعمر بهم من ظهورها، وحواصل الطَّير والسباع أحصن قبورها. عديمَ بَرْدِ الحياة، وذاق حرَّ المرهفات. جَرَتْ من دمائهم أنهار، ولم يُطلع عليهم نهار. أريق من دمائهم ما احمرت منه الأرض وجرت به الأودية، ودارت عليه الأرحية.

سوء أحوال المنكوبين والمحاط بهم

أوحى الله إلى أرضه أن تنخسف، وإلى فرسه أن يقف. قصّ جناحه، وأنهر جراحه. ألقاه الله في الشبكة، ورماه بالهَلَكَة. رماه الله بالقارعة المبيدة لجمعه، البليغة في قمعه. قُلِعَتْ شافته، وقُطعت آفته. لم يبقَ له مَفْحَصُ قِطَاة، ولا مَغْرز قَنَاة. أنزلهم الله من آمال، إلى آجال، وأوردهم من مطالع، إلى مَصارع عليهم الدُّبْرَة، وعلى وجوههم الْغَبْرَة. مكبوبٌ على مناخره، مطعونٌ في مناخره، قد طال حِصارُه، وغاب أنصارُه، وسقطت دعامته، وقامت قيامته. قد بلغت رُوحه التراقي، ووعدته مَينِيَّتُهُ التلاقي. ضرب عليه الإِدْبَارُ سُرَادِقَ الدِّمار، ومَدَّ عليه الْخِذْلَان رِواق سوء الاختبار. هو جَزُرُ

السيوف القواضب ولقى بين أنياب النواذب.

الأسر والأسرى وتشهيدهم

لم يَنْجُ من ودائع الأغمد، إلا من حصل في جوامع الأصفاد. حصلوا في قبضة الأسار، وكُفِّه الخسار. نَشَبَ في حُبالة الانتقام، وشَرَكَ الاصطلام. ياحُسْنَه في زوال النعمة، وركوب النقمة، بوجه قد علس، ورأي قد برنس (كذا) قد أركبوا ألفوالج، وتركوا بالتشهير عبْرَةَ الناظر، ولُغْنَةُ الماقت. أوردوا مُقَرَّنِينَ في الأصفاد، وتركوا عبْرَةَ للساعين في الأرض بالفساد.

هلاك الأعداء وفناؤهم

صاروا كريمٍ وهشيمٍ، طاح في ريحٍ عقيمٍ. أصبحوا كالزروع المحصود، وصاروا حديثاً مثل عادٍ وثمود. صاروا جَزَرَ السباع والطُيور، ورَهَنَ الدُّمارِ والثُّبور. لم يَبْقَ لهم جُثَّةٌ واقفة، ولا عَيْنٌ طارفة، ولا رُوحٌ تسري في جَسَدٍ، ولا شخصٌ خلق على كبد. حصَّدوا حصداً، وحُبطوا بالسيوف خبطاً. فلم يَبْقَ منهم صافر، ولا نجا منهم أولٌ ولا آخر. أخذتهم الصَّاعقة، وحلَّتْ بهم ألبائقة، فلم يَبْقَ منهم نافخ نار، ولا رافع منار.

فيمن نجا برأسه وقد كاد يؤخذ

استنقذ لأجل ذمَّاءه من طُلبى السيوف وقد شارفته، وشبَّ المحتوف وقد شافهته. عُرِضَ عَلَى الموت عَرَضُ المحتضر، ثم أُخِّرَ لأجلٍ مُتَتَظَر. نكص على عَقْبِيَّه وقد كادت صُرُوفُ الأيام تفترسه، وأنيابُ الجِمام تَنْتَهِسُه. نجا برأسه وقد فغرت المَنايا أفواهاها إليه، وكادت أظفارها تنشب فيه. فَأَخَّرَ لأجلٍ مَضْرُوبٍ، وأنسى لأمدٍ مكتوب. استنقذه تأخَّرَ أَجَلُه من أنياب القواضب، ومخالب النواذب، ونجا بحُشاشته وذمَّاءه عَلَى تلف، وشفافته عَلَى شرف.

نجا بروحه التي هي زهينة غيها، وصريعة بغيتها. لم يبق منه إلا شفاقة
أخطأت برائن الأسد، وبقية هي هامة اليوم أو غد.

ذكر المنهزمين ووصف أحوالهم

طاروا بأجنحة الرعب لا يشني أبائهم على أبنائهم، ولا يلوي سراهم
على بطائهم. طاروا بأجنحة الوجل، وتصوروا حاضراً الأجل. نكصوا على
الأعقاب، وطاروا بخوافي العقاب. أجفلوا إجمال النعام، وأقشعوا إقشاع
الغمام. سبقوا الطلب بأقدام الفرار، وتوقوا مواقع السيوف بملايس من
العار. تمزقوا في البلاد كما يمزق الريح رجل الجراد. عاينوا هول المطلع
قولوا الأدبار، وتجللوا الإدبار، وطاروا كل مطار. تتقلب بهم المزال
والمداحض، وتساقطت بهم قواهم النواهض. لم يشعر به حتى صار جنيماً
قد وراه بطن الليل، وطار كهباء الريح وغشاء السيل. نفص يده بالخميس،
وأعرب ببرد الهرب عن حر الوطيس. تشتتوا أيدي سبأ، وتفرقوا جنوباً وصبا.
فلت شباتهم، وجمع على الدل شتاتهم، وحق البلاء بهم، وحق كلمة
العذاب عليهم، ونكصوا خائبين، وأنهزموا خائفين. تفرقوا في جهات
المهارب، واعتصموا بالأنهار والمسارب. نفتهم الأرض من مناكبها، وضاعت
عليهم من جوانبها. جعلوا يتسللون من أثناء الأنهار، وكل ينهار في جرف هار. طار
بين سمع الأرض وبصرها. لا يدري ما يطا من حجرها ومدرها. هام على
وجهه لا يدري أفي الأرض يطلب مدخلا، أو في السماء يلتبس معقلاً وكلاً
(كذا) فإن تخوم الأرض تسلمه، ونجوم السماء ترجمه. تطاير حشدهم
ألفجرة، كأنهم حمر مستفجرة، فرت من قسورة. طاحوا كل مطاح، وطاروا
بأجنحة الرياح. لا يجدون في الخضراء مصعداً، ولا على العبراء مقعداً. لم
تلقهم أرض، ولم يسمعهم طول ولا عرض. لفظتهم البلاد، ومجتهم البقاع،
إلى حيث لا استواء قدم، ولا أهداء بعلم، ولا سماء تظلمهم أو تجنهم، ولا

أَرْضَ ثِقْلُهُمْ أَوْ تُكْنَهُمْ. طَارُوا بِقَوَادِمِ وَجَلْ، وَطَاحُوا بَيْنَ سَقُوطِ أَمَلٍ، وَذُنُوبِ أَجَلٍ. اسْتَبَدَّلُوا بِمُسْكَةِ الْعَزَائِمِ، هَتَكَةَ الْهَزَائِمِ. نَكَصُوا عَلَى الْأَعْقَابِ يَرَوْنَ الْأَشْخَاصَ كَتَائِبَ تَخْتَطِفُهُمْ، وَالْأَشْبَاحَ مَقَانِبَ تَنْتَسِفُهُمْ. لَمَّا تَرَامَتْ بِهِمُ الْبِلَادُ تَامَرُوا بَيْنَهُمْ يَتَعَاذِلُونَ، وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ. هَزِيمَةُ قَوْضِ اللَّهِ بِهَا عُروشه، وَفَضَّ جِيوشه، وَضَلَّلَ وَسَاوسه، وَأَبْطَلَ هَوَاجِسَه. هَزِيمَةُ فَرَقِ اللَّهِ بِهَا جَمْعَه، وَبَدَّدَ شَمْلَه، وَعَجَّلَ قَمْعَه. غَاضَ فِي بَعْضِ الْغِيَاضِ مُخْفِياً لَشَخْصَه، مُشْفِقاً عَلَى نَفْسَه. صَفَرَا لَمْ يَصْحَبْهُ صَافِرٌ، وَلَمْ يَنْجُ مَعَه طَارِفٌ وَلَا بَاصِرٌ. كَلِمَا هَبَّتْ عَلَيْهِ هَابَةٌ رِيحٌ حَسْبَهَا خَيْلاً تَكُرُّ عَلَيْهِمْ، أَوْ رَجُلًا تَبْتَدِرُ إِلَيْهِمْ، وَكَلِمَا عَنَّتْ عَلَيْهِ عَانَةٌ أَرْضٌ ظَنَهَا بَرًّا يَنْخَسِفُ بِهِ، أَوْ بَحْرًا يَحِيطُ بِهِ. لَوْ وَجَدَ فِي الْأَرْضِ نَفَقًا لِأَوَّلَجِه فِيهِ شِدَّةُ رَوْعِه، أَوْ فِي السَّمَاءِ مُرْتَقًى لِأَعْرَجِه إِلَيْهِ نَخْبٌ رَوْعَه. الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي رَدَّهُمْ فِي أَكْفَانٍ مِنَ الْمَذَلَّةِ، وَقَبَرَهُمْ فِي لَحُودٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْوَحْشَةِ.

ذكر ركوب الأولياء أكتاف المنهزمين وقرب متناولهم على الهلاك

رَكِبَ الْأَوْلِيَاءُ أَكْتَافَهُمْ يَشْلُونَهُمْ شَلًّا نَعْمَ، وَيَفْرُونَهُمْ فَرًى الْأَدَمَ، وَيَذْكُونَهُمْ كَهْدَايَا الْحَرَمِ. لَمْ يَزَلِ الْطَّالِبُ رَاكِبًا أَكْتَافَه، وَقَابِضًا أَطْرَافَه، حَتَّى رَخَّ بِهِ الْجَذَارُ فِي يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، إِلَى مَوْضِعٍ كَذَا بَعْدَ أَنْ أَنْتَضَمَتِ الطُّرُقُ إِلَيْهِ بِجَيْفِ أَصْحَابِهِ وَرَذَايَا خَيْلِهِ وَرِكَابِهِ، رَكِبَ الْأَوْلِيَاءُ أَكْتَافَهُمْ وَعَيُونُ الْأَمْنَايَا تَرَصَّدُهُمْ، وَأَيْدِي الْحُتُوفِ تَحْصُدُهُمْ. أَمْرُ فُلَانٍ بِأَنْ يَبْعِدَ فِي آثَارِهِمْ فَلَا يُنْهَهُهُمْ، وَيَجِدُّ فِي طَلَبِهِمْ فَلَا يُرْفَهُهُمْ. لَتُعْجَلَهُمْ صَدْمَتُهُ عَنِ التَّوَصُّلِ إِلَى الْأَسْتِرَاشَةِ، وَالتَّمَكُّنِ مِنَ الْأَسْتِجَاشَةِ. هَامُوا عَلَى وَجُوهِهِمْ يَرْجُونَ الْخَلَاصَ وَلَا خَلَاصَ، وَيَأْمَلُونَ النِّجَاةَ وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ. فَإِنَّ الطَّلِبَ مِنْ وَرَائِهِمْ عَلَى أَحْشَادٍ، وَمَا أَعَدَّ اللَّهُ لَأَمْثَالِهِمْ بِمِرْصَادٍ. طَارَ فُلَانٌ بِجَنَاحِ الْفِرَارِ، مُتَلَفِعًا بِالذَّلِّ مُتَقَنِعًا بِالْعَارِ، وَالْخَيْلَ مُغْدَةً فِي طَلَبِهِ، وَمَوْعِدَةً الظُّفْرِ بِهِ. فَإِنَّ قَضَاءَ اللَّهِ

كَاللَّيْلِ الَّذِي هُوَ مُذْرِكُهُ، وَمُفَاجِئُهُ فَمُهْلِكُهُ. رَكِبَ الْأَوْلِيَاءُ أَكْتَافَهُمْ، وَتَحَيَّفُوا أَوْسَاطَهُمْ وَأَطْرَافَهُمْ، وَغَنَمُوا أَثَاثَهُمْ وَأَسْبَابَهُمْ، وَظَهَّوْرَهُمْ وَدَوَابَّهُمْ. مَا هُوَ إِلَّا دَرِيثَةُ الْهَرَبِ، وَفَرِيْسَةُ الْطَّلَبِ. أَنَّى لَهُ الْمَقَامُ وَرِمَاحُ الْطَّلَبِ نَحْوَهُ مُسْرَعَةً، وَخِيُولُهُ إِلَيْهِ مُسْرَعَةً.

ذِكْرُ الْغَنَائِمِ

غَنِمُوا أَمْوَالَهُمُ الَّتِي لَمْ يُودُّوا فِيهَا حَقًّا مَعْلُومًا، وَلَمْ يَغْنَوْا بِهَا سَائِلًا مَحْرُومًا. غَنِمُوا أَمْوَالَهُمُ الَّتِي آحْتَجْنُوْهَا فَأَخْتَزْنُوْهَا. اسْتَوْلَى الْأَوْلِيَاءُ وَغَنِمُوا، وَكَلَمُوا وَمَا كَلِمُوا. غَنِمُوا ذَلِكَ الْخُطَامَ، الْمَجْمُوعَ مِنَ الْحَرَامِ، الْمَثْمُورِ مِنَ الْأَثَامِ، الْمَقْتَطَعِ مِنْ فَيْءِ الْإِسْلَامِ. غَنِمُوا أَمْوَالًا إِنْ ذُكِرَ قَدْرُهَا، اسْتَشْرِفَ أَمْرُهَا، وَكَيْفَ بِذَلِكَ وَالذَّهَبَ حَتَّى آلَانَ يُكَالَ بَيْنَ الْأَوْلِيَاءِ كَيْلًا، وَيُهَالَ بَيْنَ الْغَانِمِينَ هَيْلًا. غَنِمَ الْأَوْلِيَاءُ مَا بَقِيَ لَهُمُ الْحَوَادِثُ، وَأَسَارَتْ عِنْدَهُمُ النَّوَائِبُ مِنْ أُمَهَاتِ الذُّخَائِرِ وَالْعُقَدِ الْفَنَاسِ. قَدْ صَارَتْ أَمْوَالُ الْأَعْدَاءِ غَنَائِمَ لَهُمْ لَا تُحْصَى كَثْرَةً، وَعَادَتْ عَلَى الْفَاسِقِينَ مَظَالِمَ وَحْشَةٍ.

ذِكْرُ مَوْتِ الْعَدُوِّ

أَفْضَى بِهِ سُوءُ الْعَاقِبَةِ إِلَى الْعَذَابِ الْأَلِيمِ، وَالْمَالِ الذَّمِيمِ، وَسُكْنَى الْجَحِيمِ، وَسُقْيَا الْحَمِيمِ. قَضَى نَحْبَهُ، وَلَقِيَ بِأَسْوَدِ صَحِيفَةِ رَبِّهِ. جَرَا حَتَّى أَتَتْ عَلَى نَفْسِهِ، وَوَسَدَتْهُ فِي رَمْسِهِ. آلَ أَمْرُهُ إِلَى وَبَالٍ، وَأَنْحَلَلَ وَاضْمَحَلَلَ، قُبِضَ إِلَى أَخْرَاهِ عَلَى الْإِنْفَاقِ، كَمَا عَاشَ فِي دُنْيَاهُ عَلَى الشَّقَاقِ. مَضَى لِسَبِيلِهِ يَقْدُمُهُ الْخِزْيُ، وَيَتْبَعُهُ اللَّعْنُ، وَلَا تَبْكِي عَلَيْهِ السَّمَاءُ وَلَا الْأَرْضُ. قُبِضَتْ. نَفْسُهُ الْخَبِيثَةُ عَلَى ضَلَالٍ وَخَبَالٍ، وَسُوءِ حَالٍ وَمَالٍ. تَقَطَّعَتْ وَسَائِلُ بَقَائِهِ، وَاتَّصَلَتْ حَبَائِلُ فَنَائِهِ.

سلامة الأولياء على الحرب

عَادُوا مَنْصُورِينَ مَوْفُورِينَ لَمْ تَمْسَسْهُمْ جِرَاحٌ، وَلَا عَضَّهُمْ سِلَاحٌ. لَمْ يَمَسَّهِمْ قَرْحٌ، وَلَمْ يَنْلَهُمْ جَرَحٌ. لَمْ يُصِْبَهُمْ ثَلَمٌ، وَلَا مَسَّهِمْ كَلَمٌ. لَمْ يَمَسَّهِمْ سُوءٌ، وَلَمْ يَشْمَتْ بِهِمْ عَدُوٌّ.

جلالة شأن الفتح وعظم موقعه وحسن آثاره

كُتَابِي وَالزَّمَانُ ضَا حُكُ الْسَنِّ، مُتَظَاهِرُ الْبَشَرِ، وَالْدُنْيَا مُشْرِقَةُ الْجَوِّ، مُضِيئَةُ الْأَفْقِ، لِلْفَتْحِ الَّذِي تَفْتَحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الشَّرَفِ وَالْمَجْدِ، وَتَفْتَحَتْ أَنْوَارُ الْمَلِكِ وَالْعَدْلِ. كُتِبَتْ وَالْأَرْضُ رِيًّا ضَا حُكَةً، وَالْدُنْيَا خَضْرَاءَ نَاصِرَةٍ، وَفَجَّرَ الْإِسْلَامُ عَالٍ سَاطِعٍ، وَسَيْفُ الْإِيمَانِ مَاضٍ قَاطِعٍ، وَالْبِلْدَانُ مَلَأَى تَهَانِيًّا وَبِشَارَاتٍ، وَالْأَوْلِيَاءُ سُورَى بَيْنِ أَفْرَاحٍ وَمَسَرَاتٍ، لِمَا بَشَّرَ بِهِ كِتَابُ مَوْلَانَا مِنَ الْفَتْحِ الَّذِي نَطَقَتْ بِهِ أَلْسِنَةُ الشُّكْرِ، وَارْتَاحَتْ لَهُ أُنْدِيَةُ الْفَضْلِ. قَدْ جَلَّ هَذَا الْفَتْحُ عَنْ تَطَلُّبِ نَعْوَتِهِ بِتَصْرِيفِ الْأَقْوَالِ، وَتَفْخِيمِ شُؤْنِهِ بِضَرْبِ الْأَمْثَالِ، وَصَارَ التَّمْوِيلُ عَلَى مَا قَدْ تَمَكَّنَ فِي الْقُلُوبِ مِنْ حَالِهِ، وَاسْتَقَرَّ فِي الْأَنْفُوسِ مِنْ جَلَالِهِ. لِأَنَّ أَثَارَهُ تَنْظِمُ حَاشِيَتِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ. الْفَتْحُ الَّذِي أَصْبَحَ الْإِسْلَامُ بِهِ مُتَسِعَ الْبَلَدِ، وَالْعَدْلُ مَمْدُودُ الرِّوَاقِ، وَالسُّلْطَانُ سَاطِعُ الْأَشْرَاقِ. مَحْرُوسًا مِنْ عَدُوِّهِ الْمَرْأَقِ، وَنَزْغَةُ الشِّقَاقِ. الْفَتْحُ الَّذِي تَفْتَحَتْ لَهُ عِيُونُ الزَّمَانِ، وَأَشْرَقَ بِأَنْوَارِهِ الْخَافِقَانِ. الْفَتْحُ الْوَاضِحُ قَدَّمَهُ عَلَى نَاصِيَةِ الشَّمْسِ، الْمَاحِقُ بِضِيَائِهِ أَنْوَارَ الْبَدْرِ، الضَّارِبُ بِرِوَاقِهِ مِنْ فَوْقِ النُّجُومِ، الْجَائِمُ بِجَلَالِهِ عَلَى رِقَابِ الدَّهْرِ، الْمَادُّ يَدَيْهِ إِلَى الشَّرْقِ، يَنْظِمُهُ إِلَى أَقَاصِي الْغَرْبِ. الْفَتْحُ الْمَبْسُوطُ بَيْنَ الْمَشْرِقَيْنِ شِعَاعُهُ، الْمَمْدُودُ عَلَى الْخَافِقَيْنِ شِرَاعُهُ. أَجَلُ بُشْرَى أَسْفَرَتْ عَنْهَا الْأَيَّامُ وَاللَّيَالِي، وَسَفَرَتْ فِيهَا الْبَيضُ وَالْأَوَالِي.

إشاعة خبر الفتح

أَشِيعَ خَبْرُهُ إِشَاعَةً لَا أَهْتَزَّتْ لَهَا أَعْوَادُ الْمَنَابِرِ، وَعَرَفَهَا الْبَادِي مَعْرِفَةً الْحَاضِرِ

كُتِبَتْ فِي إِشَاعَتِهِ بِمَا يَمَلَأُ الْمَسَامِعَ، وَيَشْحَنُ الْمَجَامِعَ، وَيَعْمُرُ الْمَحَاضِرَ، فَيَمْلِكُ الْمَنَابِرَ. قَدْ أَشْعَنَاهُ حَتَّى عَرَفَهُ الْخَاصُّ مِنْ أَخْصِ الْمَحَاضِرِ، وَسَمِعَهُ الْعَامُّ مِنْ صُدُورِ الْمَنَابِرِ. شَهَرَ خَبْرَهُ فِي الْخَاصِّ وَالْعَامِّ، بَيْنَ أَلْسِنَةِ الْمَنَابِرِ وَأَسْنَةِ الْأَقْلَامِ. اهْتَزَّتْ لَهُ الْمَجَامِعُ، وَأَصْغَتْ إِلَيْهِ الْمَسَامِعُ، وَوَعَاهُ الْحَاضِرُ، وَتَزَوَّدَهُ الْمَسَافِرُ. طَالَعَتْهُ بَنِي هَذَا الْفَتْحِ الَّذِي يُنْشَرُ فِي الْمَوَاسِمِ، وَيُورَخُ فِي الْمَلَا حِمٍ، وَيُؤَثِّرُ بَيْنَ الْغَائِبِ وَالْحَاضِرِ، وَيُذَاعُ عَلَى أَلْسِنَةِ الْمَنَابِرِ.

حسن حال البلدة المفتوحة والتخفيف عن رعيته

طَهَرَهَا مِنْ شَوَائِبِ الْفَسَادِ، وَأَطْلَعَ فِيهَا كَوَاكِبَ السَّدَادِ، وَأَرْخَى مِنْ خِثَاقِ الرُّعْيَةِ، وَاسْتَنْقَذَهَا مِنْ أَنْيَابِ الْأَذْيَةِ. ابْتَسَمَتْ بِلَادُ كَذَا عَنْ ثُغُورِ الْأَمْنَةِ، وَطَالَتْ فِيهَا أَنْوَاعُ النِّصْفَةِ، وَأَمَحَّتْ دُونَهَا سِمَاتِ الْخَوْنَةِ، وَجَمَعَ اللَّهُ أَهْلَهَا عَلَى مُسَالِمَةِ كِشْفِ الْمَحْنِ، وَعَقَّتِ الْإِحْنَ. اسْتَبَدَلَتْ الرُّعْيَةُ بِشِدَّةِ الْوَجَلِ، قُوَّةَ الْأَمَلِ، وَبِأَنْبَسَاطِ الْأَبْوَاعِ وَالْأَيْدِي عَلَيْهَا، انْقِبَاضُ الْأَطْمَاعِ وَالْعَوَادِي عَنْهَا. سَكُنَتْ الرُّعْيَةُ، وَانْحَسَمَتْ الْأَذْيَةُ، وَرُتِبَ الْعَمَالُ، وَهَذَّبَتْ الْأَعْمَالُ. أَطْلَعَ فِيهَا كَوَكِبَ الْعَدْلِ وَكَانَ خَافِيَا، وَأَوْضَحَ لَهُمْ مِنْهَا جَ الْأَمْنِ وَكَانَ عَافِيَا. كَأَنَّمَا بُدِّلُوا مِنْ ظُلُمَاتِ نُورًا، وَأَعْقَبُوا مِنْ مَوْتٍ نَشُورًا. وَصَلَ إِلَيْهِمْ بَرْدُ الْأَمْنِ وَقَدْ صَلُّوا بِحَرِّ الدَّعْرِ. فَرَشَ النِّصْفَةَ وَأَفَاضَهَا، وَبَسَطَ الرُّعْيَةَ وَأَزَالَ انْقِبَاضَهَا، وَوَهَبَ سَقِيمَهَا لِبَرِيهَا، وَظَنَّنَهَا لِنَقِيَّهَا. أَرَا حَ تِلْكَ آبِلَادَ مِنْ جَامِعَةِ الظُّرِّ وَالْبُوسِ، وَظُلُمَاتِ الظُّلَمِ الْعَبُوسِ. عَلِمْتَ الرُّعْيَةَ أَنَّ الْعَدْلَ قَدْ أَمْتَدَّتْ أَبْوَاعَهُ، وَالْجُورَ قَدْ نَفِدتْ أَنْوَاعُهُ. فَأَيَقُنْتَ بِالْخَيْرِ الْمَوْفُورِ، وَالْإِنْتِقَالِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ.

الأدعية السلطانية عند الفتوح والبشائر وغيرها

سَأَلْتُ اللَّهَ أَنْ يُطِيلَ بَقَاءَ مَوْلَانَا مَوْصُولِ السُّلْطَانِ بِالْدَّوَامِ، مَكْنُوفِ الْآرَايَةِ بِالنَّصْرِ

والانتقام، مظفر الألوية والأعلام. ممدود الظلال على الخاص وألغام. أدام الله أيامه مُصرفاً أزمّة الأرض، مالكاً أعنة البسط والقبض. أدام الله سلطانه مُستولياً على الإيراد والإصدار، مخدوماً بأيدي الأفضية والأقدار. لا ينهد عزمه لأمر، إلا أسفر عن عز ونصر، ولا ينهض همه لأرب، إلا أتجلى عن استظهار وغلب. لا زال يتناول أقاصي المراد، بقریب السعي والارتباد، ويبلغ مرامي المرام، بداني العزيمة والاهتمام، والله يديم له الفتوح يميناً ويساراً، ويزيد أعداءه ذلاً وخساراً. لا زالت البشائر وفود سمعه يطرق بابه، ويرفع لها حجابها. أطل الله بقاءه مستولياً على ما تخطبه عزمته، وتقضيه نعمته. أبقاء الله نافذ المكائد والعزائم، ماضي الآراء والصّوامر. عالي آليد والرّاية، شامل الملك والولاية. حتى تجتمع له الأرض براً وبحراً في عُقدة ملكه وتنتظم الخلق شرقاً وغرباً في صفة ملكه، والله يُبقية لتدليل الخطوب إذا صغرت حدودها وأمالت أجيادها، وكثرت أعوانها ووفرت أعدادها، حتى يملك ما طلعت الشمس عليه، وانتهى هبوب الريح إليه. هناء الله علو صيته في تدبير المقانب، وتحصيل المناقب. لا زال النصر يقدّمه، والدهر يخدمه، والفتوح تصافحه، والمنّاجح تغاديه وتراوحوه. أدام الله أيامه لحسم المعار عن الدنيا بأسرها، وقطع المضار عن الأرض وأهلها. منبسط الظل على النهار حتى لا تشب نوائبه، وعلى الليل فلا تدب عقاربه. أبقاء الله للدنيا والدين، وأخذ راية المجد باليمين، ولا زالت الأرض تحت تصرفه وتدبيره، والناس بين تقديمه وتأخيره. أدام الله له النجم صاعداً، والزمان مُسعداً ومساعداً، مالكاً رقاب الخافقين، ومُدبلاً صِعب المشرقين، ومُصرفاً أزمّة المملوكين، ومُستغزياً جديد النصر على كَرّ الجديدين، ليعم الأقاليم السبعة بسلطانه وإحسانه فيغمرها، ويملكها بأعوانه وأوليائه فيغمرها.

الدعاء على أعداء الدولة

سألت الله أن يصرف وجوه الرّزايا، ويعكس رقاب ألمانيا، إلى أضداد دولته،

وَكُفَّارَ نِعْمَتِهِ، فَلَا يَخْلُو أَحَدٌ مِنْهُمْ مِنْ فَجِيعَةِ وَجِيعَةٍ، وَثُلْمَةِ أَلِيْمَةٍ، تَشْغَلَانِهِ
بِنَفْسِهِ، وَتَكْلَانِهِ إِلَى خِذْلَانِهِ وَنَحْسِهِ، وَتَغْنِيَانِ مَوْلَانَا عَنْ أَنْ يَنْزِعَ سَهْمًا مِنْ
كِنَانَتِهِ، أَوْ يَشْهَرَ سَيْفًا مِنْ أَسْيَافِ نِقْمَتِهِ. لَا زَالِ مَوْلَانَا وَاطئًا بِسِنَابِكَ خِيْلَهُ قِمَمِ
مُنَابَذِيهِ. مُغْمِدًا سَيْوْفَهُ فِي رِقَابِ مُخَالَفِيهِ، زَادَ اللَّهُ أَعْدَاءَهُ سُقُوطَ مَوَاقِعِ،
وَهَبُوطَ مَوَاضِعِ، وَنَحُوسَ طَوَالِعِ، وَحَتَمَ عَلَى كُلِّ مُشَاقٍّ لِكَلِمَتِهِ، مُحَادَّةَ
لِدَعْوَتِهِ، أَنْ يَكُونَ الْمَوْتُ فِي رِقِّ الدَّلِّ أَهْنَا مَشَارِعَهُ، وَأَقْرَبَ مَوَارِدِهِ، وَاللَّهُ
يَجْعَلُ أَعْدَاءَ دَوْلَتِهِ، صِرْعَى صَوْلَتِهِ، وَمُشَاقِّي كَلِمَتِهِ، جَزَرَ نِقْمَتِهِ. لَا زَالِ
أَعْدَاؤُهُ تَلْفَظُهُمْ ظُهُورُ الْأَرْضِ، وَتَقْبَلُهُمْ بَطُونُ التُّرْبِ. لَا زَالِ مُنَابَذُوهُ حَصَائِدَ
سَيْوْفِهِ، وَرَهَائِنِ خُطُوبِ الدَّهْرِ وَصُرُوفِهِ.

استقرار الدار بالسلطان وما يتصل بذكر ذلك من الأدعية
أَقْبَلَ مَوْلَانَا فَأَقْبَلَتْ بِهِ الدُّنْيَا الْمُؤَلِّيَّةُ، وَانْجَلَتْ الظُّلُمَةُ الْمُسْتُولِيَّةُ. كَانَ
حُلُولُهُ بِمَرْكَزِ عِزِّهِ وَمَقَرِّ مُلْكِهِ. حُلُولُ الدَّيْمَةِ الْوُطْفَاءِ، غِيبُ السَّنَةِ الشَّهْبَاءِ،
وَالنُّورُ الْمُنْتَشِرُ، بَعْدَ الظُّلَامِ الْمَعْتَكِرِ. انْحَسَرَتْ الْغَمَّةُ بِأَلَاءِ جَبِينِهِ، وَدَرَّتْ
النَّعْمُ مِنْ أَخْلَافِ يَمِينِهِ. عَادَ إِلَى سَرِيرِ مُلْكِهِ، وَمَقَرِّ عِزِّهِ، عَلَى الطَّائِرِ
الْأَسْعَدِ، وَالْجَدِّ الْأَصْعَدِ. فَتَوَجَّهَتْ أَلْرَغَبَاتُ إِلَى اللَّهِ فِي أَنْ تَقْرَنَ بِذَلِكَ مِنَ
الْحَبْرَةِ بِأَخْضَرِهَا، وَمِنْ السَّعَادَةِ بِأَنْضَرِهَا. هُنَا اللَّهُ مَوْلَانَا أَوْبَتَهُ إِلَى مَنْشِئِ عِزِّهِ،
وَمُسْتَقَرِّ مُلْكِهِ. عَلَى أَفْضَلِ مَا وَعَدَتْ بِهِ الطَّوَالِعُ السَّعِيدَةُ عِنْدَ نَهْضَتِهِ، وَذَلَّتْ
عَلَيْهِ أَلْبَشَائِرُ الْحَمِيدَةِ فِي سَفَرَتِهِ. أَتَتْ أَلْبَشَائِرُ بَعُودِ مَوْلَانَا إِلَى دَارِ سُلْطَانِهِ
الْمَعْمُورَةِ بِنِضَارَةِ أَيَّامِهِ. قَدْ أَعْطَتْهُ الْمَطَالِبُ قِيَادَهَا، وَوَطَّأَتْ لَهُ الْمَنَاجِحُ مِهَادَهَا
عَادَ مَوْلَانَا إِلَى السَّرِيرِ مُسْتَقَرًّا عَلَى غَارِبِهِ، حَامِيًّا لِحَوَانِهِ، قَدْ دَانَتْ لَهُ
الطَّوَالِفُ، وَأَمِنَ بِهِ الْخَائِفُ، وَضَمَّ النَّشْرُ، وَلَمْ أَلْسَعْتُ وَأَشْرَقَتْ الْأَرْضُ
وَتَبَاشَرَ الْبَشَرُ.

آخر كتاب السلطانيات وما يقع في أبوابها، والله الحمد.

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب الشوارد والفوارد

وما يشبهها

هبوب ريح الأقبال

قد ركب من الإقبال مَطِيَّةً لم تقف به إِلَّا عَلَى الْغَايَةِ، وسلك من السَّعَادَةِ طريقاً لن يُوْدِيَهُ إِلَّا إِلَى الزِّيَادَةِ. قد أمتطى ظهر الإقبال، وشافه دَرَكَ الْأَمَالِ. هبَّ عليه نَسِيمُ الثَّرْوَةِ، وتمهَّد له فراشُ النِّعْمَةِ. زَفَّتْ إِلَيْهِ الْأَيَّامُ أَبْكَارَ النِّعَمِ، وأتحتفته ببواكير المِنَحِ. اقترن النُّجْحُ بمطلبه، وأقترَبَ من مَقْصِدِهِ. أمتدَّ عليه ظِلُّ النُّعْمَى، وجَنَاحُ الْغِنَى. ظَهَرَتْ عَلَى أُمُورِهِ أُمَارَاتُ الْإِقْبَالِ، ورفرت حَوْلَهُ طَيْرُ حَسَنِ الْحَالِ. أَفَاقَ مِنْ سُقْمِ الْفَاقَةِ، وَأَتَّسَعَ بَعْدَ الْإِضَافَةِ.

تباشير النجح والغنى

شارف نَيْلَ الْإِرَادَةِ، وشافه لِسَانَ السَّعَادَةِ، وأبتسم له ثُغْرُ الْأَمَلِ، وآذَنَ بِالنَّجَاحِ فِي أَقْرَبِ أَمَدٍ. قد لَاحَ النَّجَاحُ وَانْتَشَرَ نُورُهُ، وَلَمَعَتْ تَبَاشِيرُهُ. إِنَّ مَا يَبْدُو مِنْ تَبَاشِيرِ النَّجَاحِ، يَضَاهِي فَلَقَ الْإِصْبَاحِ، الَّذِي يَتْلُوهُ طُلُوعُ الشَّمْسِ وَإِشْرَاقُهَا، وَاسْتِضَاءَةُ أَلْعْيُونِ وَالنَّفُوسِ بِهَا وَارْتِفَاقُهَا، أَوَّلُ الْغَيْثِ رَشٍّ ثُمَّ قَطَرٍ، وَمَبَادِي الشَّجَرِ وَرَقٌّ ثُمَّ زَهْرٍ. هَلْ يُرْتَجَى الْغَيْثُ إِلَّا بِمَخَائِلِهِ، وَيَسْتَدَلُّ عَلَى أَوَاخِرِ الْأَمْرِ إِلَّا بِأَوَائِلِهِ.

حسن الحال ووفور المال

سالمه ألدهر وساعدة الْجَدِّ، وحالفه السَّعْدُ. قد نال ما لم يحتسبه إِلَّا وَهْمًا، ولم يُؤْمَلْهُ إِلَّا حَدْسًا، فاز برغائب النَّعَمِ، وغرائب الْقِسَمِ. خاض بحرَ الْغِنَى، وركض في ميدان الْمُنَى. رأى من الْإِنْعَامِ، ما لم يَرَهُ في الْمَنَامِ، فكيف من الْأَيَّامِ. قد أدرَّ الله له أَخْلَافَ الرَّزْقِ، ومَهَّدَ له أَكْنَافَ الْعَيْشِ، وآتاه أَصْنَافَ الْفَضْلِ، وأركبه أَكْنَافَ الْعِزِّ. اتَّسَقَتْ أحوال معيشته، وبسقت أَغْضَانُ دولته. اتَّسَعَتْ مَوَادُّ ماله، وتفرَّعت شُعَبُ حاله، تناول النَّعَمَ فيضًا، لا قبضًا، وورد منهلاً، عللاً لا نهلاً. لا يمتدُّ له طَرْفٌ إِلَّا إِلَى نَعْمَى، ولا يُصْغِي سَمْعٌ إِلَّا إِلَى نِعْمَةٍ بُشْرَى. لا يلتوي عليه مطلوب، ولا يَزْوِي عنه مَحْبُوب. قد سَخَّرَ له المقدار، وساعده الْفَلَكَ الْمُدَّارُ. نادى الْأَمَالُ فِجَابَتَهُ مُكْتَبَةً، ودعا الْأَمَانِي فَعَاجِلَتَهُ مُصْحَبَةً. رأت عَيْنَاهُ، ما لم تَبْلُغْهُ مُنَاهُ، وآتَسَعَتْ نِعْمَتُهُ، بحيث لم تنله هِمَّتُهُ. امتلأ ناديه من ثَاغِيَةِ صَبَاحٍ، وراغِيَةِ رَوَاحٍ. تلاحقت حاشيته، وتلاقحت ماشيته.

ذكر المال الصامت

ورمت أَكْيَاسَهُ فُضَّةً وَتَبْرًا. عنده من الْعَيْنِ ما تَقَرَّرَ بِهِ الْعَيْنُ. الْعَيْنُ لِلْعَيْنِ قُرَّةٌ، وَلِلْقَلْبِ قُوَّةٌ. مَنْ مَلَكَ الصَّفَرَ أَبْيَضَ وَجْهُهُ، وَأَخْضَرَ عَيْشُهُ. كم عنده من عَدُوٍّ فِي بُرْدِهِ صَدِيقٍ. من نَجَازِ الصَّفْرِ، يدعو إِلَى الْكُفْرِ، ويرْقُصُ عَلَى الظُّفْرِ. كدارة العين، يحطُّ ثَقْلُ الدِّينِ، وَيُنَافِقُ بَوْجَهَيْنِ. فلانُ مُسْتَظْهَرٌ بِخَبَايَا الْحَقَائِبِ، وسرائرُ الْأَخْرَاجِ، وضمائرُ الصَّنَادِيقِ. أموالُ آغَتْصَ بِحُسْبَانَاتِهَا الدِّيَّوَانُ، ونَاءَ بَثْقَلِهَا الْخُرَّانُ.

تراجع الأمور وركود ربح النعمة

رَقَّتْ حَاشِيَةُ حاله، ومالت دِعَامَةُ ماله. قد أَفَلَ نجمه، وسقط سَهْمُهُ،

وَكثُرَتْ فَتَوَقُّهُ، وَاتَّسَعَتْ خُرُوقُهُ. أُخِمِدَتْ نَارُهُ، وَوُضِعَ مَنَارُهُ. خَبَا قَبْسُهُ، وَكَبَا فَرْسُهُ. قَدْ قَعَدَتْ بِهِ نَوَاهِضُهُ، وَتَسَاقَطَتْ خَوَافِيهِ وَقَوَادِمُهُ.

انحاء الخطوب والنوائب

حصل بين أنياب الزَّمان ومَخَالِبِهِ، وَصِلَيَّ بنارِ جَوَادِثِهِ ونَوَائِبِهِ. تَصَرَّفَتْ بِهِ خُطُوبٌ تَتَلَوُ خُطُوبًا، وَشَوَائِبُ تَدْعُ آلِوِلْدَانٍ شَبِيهَا. حَوَادِثُ أُجْحَفَتْ، وَكَوَارِثُ أَلْحَفَتْ. عَصَفَتْ بِهِ عَوَاصِفُ الثُّبُورِ، وَقَوَاصِفُ الدُّهُورِ. بَيْنَ مِحْنَةٍ قَاصِدَةٍ، وَنَكْبَةٍ رَاصِدَةٍ. قَدْ عَايَنَ شِدَّةً مُتَعَبَةً، وَعَانَى أُمُورًا مُسْتَصْعَبَةً. مَرَّ بِهِ مَا لَوْ مَرَّ بِالْحَدِيدِ لَذَابَ، أَوْ بِالْوَلِيدِ لَشَابَ. نَشَبَ فِي أَعْظَمِ خُطَّةٍ، وَأَصْعَبِ وَرَظَّةٍ. قَدْ عَضَّهُ نَابُ الْإِنَائِبَةِ الْعَظُمَى، وَرُمِيَ بِسَهْمِ الدَّامِيَةِ الْجَلِّيِّ، وَحَصَلَ فِي أَسْرِ الطَّامَةِ الْكُبْرَى. حَرُمَسَهُ الضَّرُّ، وَأَنَحَى عَلَيْهِ الزَّمَنُ الْمَرَّ، وَنَشَزَتْ عَلَيْهِ أَلْبِيضُ وَشَمَسَتْ مِنْهُ أَلْصَفَرُ، وَأَكَلَتْهُ السُّودُ وَحَطَمَتْهُ الْحُمْرُ. قَدْ حَلَّى بِفَمِ الدَّهْرِ فَمَا يَشْبَعُ مِنْ أَكَلِهِ نَهْسًا وَنَهْشًا، وَخَضْمًا وَقَضْمًا.

سوء الحال واستحكام الحرقة

فَلَا نَ يَرْتَضِعُ مِنَ الدَّهْرِ ثُدْيَ عَقِيمٍ، وَيَرْكَبُ مِنَ الْفَقْرِ ظَهْرَ بَهِيمٍ. عَاثِرٌ لَا يَسْتَيْقِلُ، سَلِيمٌ لَا يُبْلَى، كَسِيرٌ لَا يَنْجَبِرُ، مَضِيْمٌ لَا يَنْتَصِرُ. قَدْ زَالَتْ عَنْهُ الْأَلَاءُ، وَأَنْثَلَتْ عَلَيْهِ الْأَوَاءُ. لَوْ بَلَغَ الرِّزْقُ فَاهَ، لَوَلَا قَفَاهُ. لَا يَأْوِي إِلَى ظِلِّ الدُّنْيَا إِلَّا تَقَارِبَتْ أَكْنَافُهَا، وَلَا يَمْتَرِي دَرَّهَا إِلَّا أَخْلَفَتْ أَخْلَافُهَا.

سوء أثر الفقر والضر

جَاءَ بِوَجْهِ قَدْ غُبِرَ فِيهِ الْفَقْرُ، وَأَنْتَزَفَ مَاءَهُ الدَّهْرُ، وَأَمَالَ قَنَاتَهُ السَّقَمُ، وَقَلَّمَ أَظْفَارَهُ الْعُدْمُ. وَجْهُ أَكْسَفُ مِنْ بَالِهِ، وَزِيٌّ أَوْحَشُ مِنْ حَالِهِ. جَاءَ نَابِدِينَ نَاحِلٍ، وَوَجْهٍ حَائِلٍ، وَرِجْلٍ وَجَلَّةٍ، وَيَدٍ قَجَلَّةٍ، وَأَنْيَابٍ قَدْ آفَتَرَّ عَنْهَا الضَّرُّ، وَالْعَيْشُ

المُرّ. طريقُ ضعِفٍ ومُتَرَبّة، وظَلِيحٌ ذُلٌّ ومَسْكَنه. جاءنا بوجهٍ قد نَضَبَ مأوّه،
وطال سقاؤه. لا يملك غيرَ الجِلْدَةِ بُرْدَه، ولا يلتقي بحياه رعدة. جاءنا فلانٌ
يضيق بالبرْد ويسعّه، ويأخذه القُرُّ ويدعه.

وصف ثياب الفقر

جاء في قميصٍ قد أكل عليه الدَّهر وشَرِب. أظمارُ لعبت بها أيدي البلى.
جُبّةٌ تقرأ (إذا السَّمَاءُ أَنْشَقَّتْ) سواء لابسها والعُرْيَان. جُبّةٌ لا تساوي
تصحيفها. أظمارُ كَالهَوَاءِ الرَّقِيق، وكَالشَّرَابِ الرِّقَاق. ردَاءَدَبٌ فيه الرُّدَى.
أظمارُ كنسج العناكب، ونار الحُبَّاحب. رأيت فلاناً في ثيابٍ أخلاق، لم يَبْقَ
فيها من عمل الحائك باق. أظمارُ أرقُّ من أكباد المحبين، إذا هبَّ عليها
النَّسيم أمتزجت بالهَوَاءِ، وانتظمت في سِلْك الهَبَاءِ.

وصف المتناهي في الفقر

قد أحلَّت له الضرورةُ ما حَرَّمَ الله عليه، قد حصل عَلَى أَشدِّ إضاعة،
وتكشَّفت عن أقبح فاقة، قد تناهت حاله في الالانتشار والزحاجة إلى التَّكشُّفِ
عن دار بلقع، وفَقْر مُدْقِع. انتقل من سَلَخ جلد إلى تَعَرُّق لحم، ومن رَضٍّ
عَظُم إلى انْتِقاء مَخ. فلانٌ حيٌّ كَميت، وفي بيت بلايت. ليس معه عَقْد،
عَلَى نَقْد. يُخْرِجُ خُرُوجَ الْحَيَّةِ من جحره، وَالطَّائِرِ من وَكره. حاله حالُ السَّليم مَلَّه
عَوَّاهه، وَالغَرِيقِ أَسلمته أعواده. هو بين أنياب الدَّهر تحطمه بصريفها،
وتعتوره بصروفها، ويدهُ صِفْر، ومنزله قَفْر، وَغَدَاؤُهُ الخَوَى، وَعَشَاؤُهُ الطَّوَى،
ووطاؤه الْغَبْرَاءِ، وَغَطَاؤُهُ الخَضْرَاءِ، وَإِدَامُهُ التَّشْهِي، وَطَعَامُهُ التَّئْمِي، وفراشه
الْمَدْر، ووساده الحجر. ثوبه جلده، ومركوبه رجله. خَصِيبُ الْعَيْنِ. جديبُ
الْبَطْنِ، واسِعُ الْمُنَى. ضيقُ الْغِنَى، أَفْرَغُ بَيْتًا من فَوَادٍ أُم موسى.

ذكر اليسر بعد العسر والإنتعاش من صرعة الدهر

تجلّت عنه غمّة الخطوب، ودارت له آلعواقب بالمحبوب. انقشعت ضبابة محنته، وتجلّت غمرة كُربته، وطلّعت نجوم سعادته، وهطلت سحائب إرادته. صلح له الدّهر الطّالح، وملّكه عِنايه البُخْتُ الجامح، طلّع سعده بعد الأفول، وبعد صيته بعد الخمول. صار كمن أحيي وهو رَمِيم، وأُنبِت وهو هَشِيم. أنعم الله بإعادته، إلى أحسن عادته. أقبلت عُقدُ أموره تتحلّل، ومطالبه تتسهّل، ووُجوه مَنَاجحه تتهلّل. أخرجته من الضيق إلى السعة، ومن الانزعاج إلى الدّعة. تماسكت حاله التي تخلّلها الخلل، وثبتت قدمه التي ملّكتها الزّلل. صلحت حاله واستقرّت، وثبتت قدمه واستقرّت.

وصف عيش الناعم المغبوط

فلانٌ في عيشة نديّ ظلّها، وسَحّ وابلّها وطلّها. هو في عيش رقيق الحواشي، مُثمر النواحي. هو في نعمة صافية، ومنحة صافية، وعيشة راضية. قد لاحظ العيش مُخضّر العود، ولابس الدّهر مُتصل السُعود. هو صائب سَهْم الأمل، وافر جناح الجدّل. يفترع أبكار اللذات، ويجتني ثمار المسرات، يُغازل الغزلان، ويُقامر الأقمار، ويُعاقر العقار. يَهْصِر أغصان القُود، ويقطف وردّ الخدود، ويجني رُمان النُهود. قد صحبته الأيامُ أحسن صحبة، وعاشرة الزّمانُ أهنأ عشرة. غرابُ اليّن عن رُبعه مُطار، وغيمُ اللّهوفيه مطير. هو في جانب منيع، وجناب مريع. ثمل في غناه، مُستقِل في كراه. قد هنأه الله كل يوم إحساناً أغر، وملاه عيشاً أغن. قد خفّض الزّمان له جناحه، وألان مهاده. فهو يأخذ ما يشاء ويدع، ويلعب ويرتع لدّة العيش وطاب، وولى رقيب الغم عنه وغاب. هو بين جاء عريض، وعيش غريض. هو بين نعمة سنيّة، وبلهنية هنيّة. تذلّ له الأيام أخادعها، وتُذني إليه

المطالبُ مشارِعُها. عيشٌ أخضرُ أعود ناضره، مائلُ الغصن مائره. هو بين
أنواء خَيْرٍ وخصب، وأنوار رياضٍ وعُشب.

في ضد ذلك

نجمةٌ مُنكدر، وعيشه كدير، ولباسه خشين، وطعامه خشب. يُقاسي من فقد
رياشه، وضيق معاشه، قذارة عينه، وغصّة صدره. حالُ تريه النهار أسود،
والعيش أنكد. إذا أصبح ركب ظهر الشّيهم، وإذا أمسى توسّد ذراع ألهم.
يكابد من مرارة عيشه ناب الأرقم، ويتجرّع كأس العقم. مُنغص شرعة
العيش، مقصوص جناح الأنس. حاله حال السّليم في كُربته، والغريق في
لُجته، والمحترق بحرته. هو بين غمائم لا تمطر إلّا صواعق، وسمايم لا
تهبّ إلّا بوائق. قد تلقاه بوجه الثّامت، ويد المصّالت. عيشة رنق، ومورده
طرق، وجانبه حزن، وحاله حزن. طريق كُربة لا يعرف مداها، وجريح غُمة
لا تكلّ مداها. ما يأكل إلّا على نغص، ولا يشرب إلّا على غصص. قد
أنقبضت مسافة طرفه، وأظلم أفق عيشه، وغربت نجوم سعدة.

السرور والاهتزاز

أخذتني هزة، وانتشرت في جوانحي مسرة. وجدتُ أعضائي كلها تتباشر،
ووجهه رجائي تنهلّ، وأعطاف مسرتي تهتزّ، وسحائب غبطتي تنهلّ. حالي
حال من حُكم في مناه، وأعطي كتابه بيمناه. كدّت أهيّم فرحاً، وأطيرُ بجناح
السرور مَرَحاً. ملكتني المسرة حتى استفرّتني، واشتملت عليّ حتى هزّتني.
علّتني بشاشة النّجاح، ودبّت فيّ نشوة الارتياح. أصبحت لا تُقلّني كواهل
أرضي مَرَحاً، ولا أعوادُ سرجي فرحاً. اتّسع لي مسرحُ السرور، وهطلت عليّ
سحابة الجُور. اهتزّ عطفه، وارتفع طرفه، وأنشرح صدره، وترجم عنه
بشره. هزة تُهدي المسرة إلى سواد القلب، وتؤدي الغبطة إلى سوء النفس.

ابتهاج حل حبوة وقاره، ولاح أثره في أثناء وجهه وأسراره. اهتز اهتزاز الرامي
 قرطس سهمه، والضارب نفذ حده، والشجاع ظهرت فروسيته، والحازر
 صدقت فراسته. سرت المسرة في أعضائي، وطبقت الغبطة أحشائي،
 وتهللت وجوه من الأنس كانت قبل عابسة، وأورقت غصون من الفرح وعهدي
 بها يابسة. أقبلت بقلب مرتاح، وصدر ملآن من أنشراح. جاء بأقوى يد
 وأبسطها، وأسر نفس وأنشطها. قد شق الضحك شذقه، وأمال الطرب
 عنقه. مسرة تركتني كالغصن غازلته الصبا فترنج، ومرت به الشمال فترجح.
 قررت عيناه، وأنبسطت يميناه، وصافح مناه. المسرة آتية، والبهجة مواتية،
 والوحشة مؤتية. لم أضبط نفسي آرتياحاً وهزة، كادا يورثاني بغياً وعزة. أنا في
 ثوب المسرة رافل ونجم ألوحشة عني آفل. دواعي المسرة مكتتفة، وعوادي
 الوحشة منكشفة.

في ضد ذلك

في نفسه بلائبل تدور، ومراجل تفور. يده دعامة لذقنه، وجسمه خشبة
 لحزنه. قد صافح أكف الحزن، وأستسلم لأيدي الزمن. ما يستقر به
 مضجع، ولا يجف له مدمع. باله كاسف، وقلبه راجف. هم قد نكأ القلب
 وأبكى العين. لا أقول عمه، ولكن أعماه وأصمه. يرى ضياء الدنيا ظلاماً،
 ويتصور نور الشمس قتاما. منطوي الجوانح على أذى، مغضوض الجفون
 على قذى. قد طبق الحزن بسطة صدره، وأنفق الغم ذخيرة صبره. غمة
 جذع فتية، وقلقه غض طري. نهاره للفكر، وليله للسهر. طرقت الأنس دونه
 مبهمة، وآفاق السرور عليه مظلمة.

ذكر الأمن

فلان لا يلتفت وراءه مخافة، ولا يخشى أمامه آفة. قد أبدله الله بحر

الْخَوْفُ بَرْدُ الْأَمْنِ فَأَمِنْ سِرْبُهُ، وَعَذْبُ شِرْبِهِ. أَمِنْ لَا يُدْعَرُ مَعَهُ السَّرْحُ، وَلَا يَنْغَشَى لِبَاسَهُ الدُّعْرُ. قَدْ سَكَنَ رَوْعُهُ وَالتَّحَفُ عَلَيْهِ جَنَاحُ السَّكِينَةِ، وَحَصَلَ فِي ظِلِّ الطُّمَأْنِينَةِ. قَدْ سَكَنَ جَاشُهُ، وَزَالَ أَسْتِيحَاشُهُ.

في ضد ذلك

إِذَا نَامَ هَالَهُ طَيْفٌ، وَإِذَا أَنْتَبَهَ رَاعَهُ سَيْفٌ. طَارَ قَلْبُهُ بِجَنَاحِ الْوَجَلِ، وَطَاشَ لُبُّهُ فِي قَبْضَةِ الْوَهْلِ. الْأَرْضُ عَلَيْهِ كُفَّةٌ حَابِلٌ أَوْ أَشَدُّ تَقَارُبًا، وَحَلَقَةٌ خَاتَمٌ أَوْ أَتَمُّ تَدَاخُلًا. قَدْ مَلَكَهُ خَوْفٌ لَا يَرِيمُ، وَدُعْرٌ لَا يَنَامُ وَلَا يُنِيمُ. قَدْ طَاحَ رَوْعُهُ فَرَقًا، وَطَارَ قَلْبُهُ فِرْقًا، كَادَتْ نَفْسُهُ تَطِيحُ، وَرُوحُهُ تَسْرِي بِهَا أَلْرَّيْحِ.

ذكر الطاعة بعد الإمتناع واللين بعد القسوة

دَانَ بَعْدَ طُمَاحِهِ، وَلَانَ بَعْدَ جُمَاحِهِ. سَمَحَ، بَعْدَ أَنْ جَمَحَ، وَتَطَوَّعَ، بَعْدَ أَنْ تَمَنَّعَ. اسْتَأْسَرَ، بَعْدَ أَنْ اسْتَأْسَدَ، وَتَذَلَّلَ، بَعْدَ مَا تَذَلَّلَ، وَتَأَتَّى، بَعْدَ مَا تَأَبَّى، وَعَنَا، بَعْدَ مَا عَنَّا. دَانَ مَقَادُهُ، وَلَانَتْ شِدَادُهُ. ذَلَّتْ أَخَادَعُهُ، وَتَسَهَّلَتْ مَرَاتَعُهُ.

الضياع وما يجري من الألفاظ في ذكرها ووصف أحوالها

لِفَلَانٍ ضُيُوعَةٌ يَرْتَفِقُ بِهَا، وَيَرْتَرِّقُ مِنْهَا. ضُيُوعَةٌ أَنْفَقَ عَلَيْهَا أَيَّامَ عَمْرِهِ، وَأَرَاقَ فِيهَا مَاءَ شَبِيبَتِهِ. ضُيُوعَةٌ أَقْتَنَاهَا بِوُطْءِ الْعَجْمَرِ، وَاسْتَعْمَرَهَا بِأَنْتَعَالِ الْعُدَمِ. ضُيُوعَةٌ يَحْشُدُ فِي عِمَارَتِهَا، وَيَحْتَمِلُ فِي تَشْمِيرِ آرْتِفَاعِهَا، وَيَبِيعُ مَا يَلُوحُ لَهُ الْحِطُّ فِي بَيْعِهِ مِنْ غَلَّاتِهَا. تِلْكَ الضُّيُوعُ عَلَى اتِّسَاعِ بَقَاعِهَا، وَعِظَمِ آرْتِفَاعِهَا، قَدْ اسْتَغْرَقَتْ غَلَّاتِهَا. نَوَائِبُ السُّلْطَانِ، وَتَحْقِيقُ ثَمَرَاتِهَا جَوَائِزُ الزَّيْمَانِ، فَلَا فَضْلَ فِيهَا لِلْإِفْضَالِ عَلَى الْإِخْوَانِ. وَقَفْتُ عَلَى مَا عَرَضَ فِي تِلْكَ الضُّيُوعَةِ مِنَ الضُّيُوعَةِ، وَفِي تِلْكَ الْغَلَّةِ مِنَ الْخَلَّةِ. أَرْبَابُهَا أَرْبَابُ خَلَّةٍ وَقُلَّةٍ، وَأَحْوَالُ

مُضْمَحَلَّة. إِنَّ الْجَرَادَ الْعَامَ قَدْ جَرَدَ وَأَفْسَدَ. نَوَائِبُ أَنَاخَتْ عَلَى صُبَابَةِ مَعِيشَتِهِ
 لَمْ تُبْقَ وَلَمْ تَذَرْ، وَتَرَكْتَ نَبَاتَهَا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ، وَذَلِكَ أَنَّ بَرْدًا أُتِيحَ لَهَا
 كَبِيضُ النِّعَامِ كِبَرًا فَأَقْعَدَ قَائِمَهَا، وَغَيَّبَ نَاجِمَهَا، وَتَرَكَهَا عَافِيَةً تُنْدَبُ كَمَا نَدَبُ الشُّعْرَاءِ
 الْأَطْلَالِ، ثُمَّ تَنَشَّدُ أَنَّ الْوُقُوفَ عَلَى الْمُحِيلِ مُحَالٌ. هُوَ فِي تِلْكَ الْضِيَاعِ بَيْنَ
 نَصَحِ يُؤْثَرُهُ، وَجَمِيلِ يُؤْثَرُهُ. قَدْ حَفَرَ، وَحَرَثَ وَبَذَرَ، وَقَوْمَ الْمَائِدِ، وَأَصْلَحَ
 الْفَاسِدَ، وَعَمَّرَ الْغَامِرَ، وَتَأَلَّفَ النَّاقِرَ. كَانَ مِنْ أَثَرِهِ الْحَمِيدِ تَوَصَّلَهُ بَيْسِيرُ النُّفْقَةِ
 إِلَى عِمَارَةِ الْقِنِيِّ حَتَّى تَفْجَرَتْ عَيُونُهَا، وَغَزَرَتْ مِيَاهُهَا. هَذَا مَعَ غَيْضِ الْمَاءِ
 فِي عَامَّةِ الْأَطْرَافِ، وَيَكْثُرُ الزَّرُوعُ عَلَى الْجِفَافِ. قَدْ صَارَ دَخْلُهَا عَلَى
 الضَّعْفِ، بَعْدَ عَوْدِهِ إِلَى النِّصْفِ. قَدْ أَكَّدَ أَسَاسَهَا، وَثَمَرَ غَرَاسَهَا، وَأَضْحَكَ
 رِيَاضَهَا، وَمَلَأَ حِيَاضَهَا. جَاهَدَ أُمُورَهَا حَتَّى تَيْسَّرَ أَكْثَرُهَا، وَتَرَكَهَا لَا يَتَخَلَّلُهَا
 خَلَلٌ، وَلَا يَمِيلُ بِهَا مِيلٌ. قَدَّمَ فِيهَا مَا هُوَ أَصْلَحُ وَأَنْجَحُ، وَأَوْفَقُ وَأَرْفَقُ. تَلَا فِي
 أَمْرِهَا أَعْظَمَ التَّلَافِي، وَتَفَرَّدَ تَفَرَّدَ الْكَافِي الْوَافِي.

ذكر الفرس والبغلة والحمار

فَرَسٌ يُتَعَبُ سَائِسَهُ، وَيُحْمَلُ فَارِسَهُ. فَرَسٌ رَائِعُ الْخَلْقِ، تَنْطِقُ عَنْهُ شَوَاهِدُ
 الْعَتَقِ. سَفِينَةٌ بَرِّيَّةٌ، وَرِيحٌ مُجَسِّمَةٌ. كَأَنَّهُ مُنْتَقِبٌ بِالنَّجْمِ، مُتَعَلِّقٌ بِالْحِجَارَةِ
 الصُّمِّ. يُبَارِي طَلْقَ الْبُرَاةِ، وَيُفْنِي أَنْفَاسَ الْفُهُودِ، كَأَنَّهُ طَوْدٌ مُوثِقٌ، أَوْ سَيْلٌ
 مُتَدَفِّقٌ، كَالْكُوكَبِ الْمُنْقَضِّ، وَالْبَارِقِ الْمُنْفَضِّ. كَالْجَاحِمِ الْمَشْبُوبِ،
 وَالْهَاطِلِ الْمَصْبُوبِ. وَلَا يَعِينُ عَلَيْهِ سَوَاطِطٌ، كَأَنَّمَا أَنْعَلَ بِالرِّيَّاحِ، وَبُرُقِعَ
 بِالصَّبَاحِ. كَأَنَّهُ شَيْطَانٌ، فِي أَشْطَانٍ، وَكَأَنَّمَا لَطَمَ الصَّبَاحُ جَبِينَهُ. كَالْبَحْرِ إِذَا
 مَاجَ، وَالسَّيْلُ إِذَا هَاجَ. بَغْلَةٌ تَجْمَعُ بَيْنَ حُسْنِ الشَّيْءِ، وَطِيبِ الْمَشْيَةِ. أَمَا
 ذَلِكَ الْحِمَارُ فَالرَّيْحُ أُسِيرُ يَدِهِ، وَشُعْلُ النَّارِ فِي أَعْضَاءِ جِسْمِهِ، وَحَسَدُ
 الْأَفْرَاسِ مَقْصُورٌ عَلَى حُسْنِهِ، وَكَمَدُ الْبَغَالِ لَمَّا فَاتَهَا مِنْ فَضْلِهِ.

وصف الأيام المشهودة والمشهورة

يومٌ هو عيدُ العُمر، وموسمُ الدَّهر. وميسمُ الفجر. يومٌ من أعيادِ دَهري، وأعيانِ عمري. يومٌ من أيامِ الدُّنيا ضاحكُ السِّن. طَلَقُ الوجه، شريفُ الصَّيت. رخيصُ الدَّهرم والدِّينار. كثيرُ الفرح والاستبشار. يومٌ أبرزت فيه الدُّنيا زينتها، وجلَّت على النِّواظر في معرض الجمال صورتها. يومٌ هو يوم القيامة إلا أنه لا حشر، وعيدُ الدُّنيا إلا أنه لا فطر ولا نحر. يومٌ خرجت فيه العذراء من الخدر، والصَّبي من المهد، وسلَب الرَّجلُ رداءه في عُمار الرِّحمة، والمرأة سوارها فلم يُسمع صراخها من الضَّجة. يومٌ تهافت فيه الناس حتى ضلَّت النعل، وسقط الرداء، ووُطئ الشيخ، وديس الصَّبي، يومٌ تكاثرت فيه النظارة حتى حُمِلَ فيهم الصَّبي، ودلَّف الشيخ، ودبَّت العجوز، وخرجت العروس، وخلت الدُّور.

التأيد

ما طلعت ألُثريا وغربت، وشرقت الشَّمسُ وغربت. ما لاح كوكب، وأقام يذبل وكَبكب، ما حال حَوْل، وعاد عيد، وأخضرَّ عود. ما طلعت شَمس، وتكرَّر أُمس، ما تردَّد نفَس، وتكرَّر غَلَس. ما بلَّ ريقُ فَمَا، ومِدادُ قَلَمَا. ما أنتهى ظلامٌ إلى فَلَاق، وتآدى غروبٌ إلى غَسَق. ما أُنْخِرَ المَهَل، وضُربَ المَثَل. ما بقي إنسان، ونطق لسان. ما طَرَدَ اللَّيْلُ النَّهَارَ، وأطَرَدَ النَّجْمُ وسار. ما تعاقب الضُّياءُ والظُّلام، وتناسخت الشُّهُور والأعوام.

آخرُ كتاب الشُّوارد والفوارد وما يشبهها، والله الحمد

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب الأمثال والحكم

وما يحذو حذوها

قال مؤلف هذا الكتاب

قد اعتمدت بهذا الكتاب الأخير أن يكون غرره كلها مُستقلة بأنفسها،
منسوبة إلى أربابها الذين هم أفراد الدهر، وأعيان العصر، في أنواع الشر،
وجعلت لكلٍ منهم باباً مفرداً، وما توفيتي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

ما أخرج من كلام الأمير شمس المعالي أدام الله تأييده

الكريم إذا وعد لم يخلف، وإذا نهض بفضيلة لم يقف. الرجاء كنور في
كمام، والوفاء كنور في ظلام، ولا بد للنور أن يتفتح، وللنور أن يتوضح.
العفو عن المجرم من مواجب الكرم، وقبول المعذرة من محاسن الشيم.
بزند الشفيع توري نار النجاح والإقداح، ومن كف المفيض ينتظر فور
الإقداح. الوسائل أقدام ذوي الحاجات، والشفاعات مفاتيح الطلبات. من
أقعدته نكاية الأيام، أقامته إغاثة الكرام. ومن ألبسه اللئيل ثوب ظلمائه، نزعه
عنه النهار بضيائه. قوة الجناح بالقوادم والخوافي، وعمل الرماح بالأسنة
والعوالي. اقتناء المناقب، بأحتمال المتاعب، وإحراز الذكر الجميل،
بالسعي في الخطب الجليل. الدار دار تغري وخداع، وملتقى ساعة لوداع،
وأهلها متصرفون لورده وصدر، وصائرون خبراً بعد أثر. غاية كل متحرك

سكون، ونهاية كل متكون أن لا يكون، وآخر الأحياء فناء، والجزع على الأموات عناء، وإذا كان كذلك، فلم تهالك على هالك. حشو هذا الدهر الخوون أحزان وهموم، وصفوه من غير كدر معدوم. إذا سمح الدهر بالحباء، بأبشر بوشك الانقضاء، وإذا أعار، فأحسبه قد أعار، وإذا حالف، فأحسبه قد خالف. الدهر طعمان خلو ومر، والأيام صرفان عسر ويسر، والخلق معروض على طورية، مقسوم الأحوال على دوريه. لكل شيء غاية ومتهى، وانقطاع وإن بعد المدى. ترك الجواب، داعية الارتياب، والحاجة إلى اقتضاء، كسوف في وجه الرجاء. النجيب إذا جرى لم يشق غباره، والشهاب إذا سرى لم تلتحق آثاره. من أين للضباب، صوب السحاب، وللغراب هوي العقاب، وهيهات أن تكسب الأرض لطافة الهواء، ويصير البذر كالشمس في الضياء. قد يستعذب الشرب من منبع الزقاق، ويستطاب النحيب من النهاق. كل غم إلى انحسار، وكل عال إلى انحدار. هم المنتظر للجواب ثقل، والمدى فيه وإن كان قصيراً طویل.

ما أخرج من كلام أبي القاسم علي بن محمد الإسكافي

الزمان صروف تجول، وأمر تحول. الأخلاق تنميها الأعراق، والثمار تنبي عنها الأشجار. الشكر به زكاء النعمى، والوفاء معه صلاح العقبى. السعيد من تحلى بزينة الطاعة، واقتدح بزند الجماعة. العامة لا تفقه حقائق المذاهب، ولا تعرف عواقب التألب والتحارب. المخذول يرفع رأساً ناكساً، ويبل فماً يابساً. لا يشوقنك غرارة الصبي، ولا يروقنك زخرف المني. استعذ بالله من نزغات الشيطان، ونزقات الشبان. من خلا له الجو باض وصفر ومن استرخى به اللب نزا وطفّر.

ما أخرج من كلام أبي الفضل بن العميد

متى خلصت حالاً من اعتوار إذى، وصفا فيه شرب من اعتراض قذى. قد

تتماسك الأمور حتى تبلغ إلى غاية، ثم تتباين وتتهافت وتستمر حتى تنتهي إلى نهاية، ثم تتخاذل وتتفاوت. لن يفيض الإناء وإن تدارك القطر عليه حتى يمتلي، ولا يتساقط الثوب وإن دب فيه البلى حتى ينتهي. قد تتسمح الأيام بما تمنع، وتتساهل ثم تقطع، وتصل الغبطة بالرزية، والمحنة بالمحنة، ولها غرات تُبتدر، وغفلات تُتنهز. قبل أن تظن فيخشن مسها، ويمتنع جانبها، ويتأبن طائعها، ويتصعب سهلها. قد يعزب العقل ثم يؤوب، ويعزب اللب ثم يثوب، ويذهب الحزم ثم يعود، ويفسد العزم ثم يصلح، ويضاع الرأي ثم يُستدرك، ويسكر المرء ثم يصحو، ويكدر الماء ثم يصفو، وكل شدة فإلى رخاء، وكل غمرة فإلى أنجلاء. قد تنفجر الصخرة بالماء الزلال، ويلين القاسي فيعود إلى الوصال. العاقل من افتتح في كل أمر خاتمة، وعلم من بدء كل شيء عاقبته، وطالع بظنه من كل غرس ما يجنى منه، ومن كل زرع ما يحصد عنه. خير القول ما أغناك جدّه، وأهلك هزله. من أسر دأه وسر ظمأه، بعد عليه أن يبل من علله، ويبل من غلله، الرتب لا تبلغ إلا بتدرج وتدرّب، ولا تُدرك إلا بتجشم كلفة ونصب. الصحيح يصيح ويُفصح، والحق يلوح ويُلمح. الوداد غرس إن لم يوافق ترى ثريا وماء روبا، لم يرج إبراقه، ولم يؤمل ثماره [وأوراقه]. القلوب أوعى يشرحها الرفق، ويسطها اللطف، ويفسحها التمرين، وإذا تجوز بها هذه الخلال، إلى الاستكراه والإملال، خرجت عن احتواء علم، وضاعت عن ضبط فهم، وفاضت بما تستودع. رأس المال خير من الربح، وأصل أولى بالعناية من الفرع. المرء أشبه شيء بزمانه، وصفة كل زمان منتسخة من سجايا سلطانه. قد يبذل المرء ماله في إصلاح أعدائه، فكيف يذلل العاقل عن حفظ أوليائه، للأمور أوائل دالة على أواخرها، ومقدمات شاهدة لعواقبها، هل ألسيد إلا من تهابه إذا حضر، وتغتابه إذا أدبر. الإبقاء على خدم السلطان عدل الإبقاء على ماله، والإشفاق على حاشيته وحشمه، مثل الإشفاق على ديناره ودرهمه. قدم من خيرك ما لا ينفعك تأخير، وأحص

الشَّرُّ قبل استفحاله، وقوم الميل ما دام الغصن غضاً يقبل التقويم، ورطباً يطيع التثقيف، ولا تنتظر به العُسُور والامتناع، وداو فتقاً تُنهره الأيام خرقاً إن تركته، أرأب شعباً يزيدُه الدَّهر وهياً إن أغفلته. المزح وأهزل بابان إذا فُتحا لم يُغلَقا إلَّا بعد العسر، وفحلان إذا ألقحا لم يُنتجا غير الشر.

ما أخرج من كلام أبي محمد الحسن بن محمد المهلبى الوزير

من تعرّض للمصاعب، تثبّت للمصائب. من ضاف الأسد قرأه أظفاره، ومن حرّك الدَّهر أراه اقتداره. من حنّ في أيمانه، وأخلّ بأمانته، فإنما ينكث على نفسه. القلب لا يملك بالمخاتلة، ولا يُدرّك بالمجادلة. التَّصرُّف أسنى [وأعلى]، والتَّعطّل أعفى وأصفى. أكفّ عن لحم يكسبك بشياً، وفعل يُعقبك ندماً. مكن مَوْضع رجلك، قبل مشيك، وتأمل عاقبة فعلك، قبل سعيك. لا تُبد وجه المطابق الموافق، وتخفي نظر المُسارق المُنافق. لا تُعَدِّل عن النَّصِّ، إلى الخُرص، وعن الحِسِّ، إلى الهجس. رُبما وفي ظنين، وهما أمين. قتل الإنسان ظُلماً، وقتل قاتله حكم، لو لم يكن في تهجين الرأي المُفرد، وتبيين عجز التَّدبير الأوحد. إلَّا أنَّ الاستلحاق وهو أصل كلِّ شيء لا يكون إلَّا بين اثنين، وأكثر الطيبات أقسام تجمع، وأصناف تُؤلف، لكفى بذلك ناهياً عن الأبتداد، وأمراً بالاستمداد.

ما أخرج من كلام الصاحب أبي القاسم اسماعيل بن عباد

من استجار به فقد وطئ النجم بقدمه، وسبق القَدَم بتقدّمه. من استماح البحر العذب، استخرج اللؤلؤ الرّطب. مَنْ غرّته أيام السَّلامة، حدّثته ألسنة الندامة. من لم يهزه يسير الإشارة، لم ينفعه كثير العبارة. رُبّ لطائف أقوال، تنوب عن وظائف أموال. الكلام إذا تكرر في السَّمع، تقرّر في القلب. مَنْ طلب الرِّي من الفُرات لم يخش الظمّ في ورده. ومن قصّد الكريم برجائه

لم يُحاذِرِ الحَيَّةَ في قِصْدِهِ. مَنْ طالت يده بِالْمَوَاهِبِ، امْتَدَّتْ إِلَيْهِ أَلْسِنَةُ الْمُطَالِبِ. مَنْ غَمَطَ النَّعْمَةَ، اسْتَنْزَلَ النِّقْمَةَ. مَنْ نَبَتَ لَحْمُهُ عَلَى الْحَرَامِ، لَمْ يَحْصُدْهُ غَيْرُ حَدِّ الْحُسَامِ. مَنْ يَكُنْ أَحَدَآءَ آبَاءِ، تَجِدْ نَعْلَاهُ. مَنْ لَمْ يَتَحَرَّزْ مِنَ الْمَكَائِدِ قَبْلَ هُجُومِهَا، لَمْ يُغْنِهِ الْأَسْفُ عِنْدَ وَقُوعِهَا. مَنْ عَرَفَ الْمَفَاخِرَ، عَرَفَ الْمَعَايِرَ، وَمَنْ حَفِظَ الْمَسَاعِي (كُذَابًا). النَّاسُ بِالذِّمِّ أَعْلَقَ، وَرَوَائِحُهُ بِالْحِفْظِ أَعْبَقَ. الْإِعْتِدَالُ أَعْدَلُ، وَالطَّرِيقُ الْأَوْسَطُ أَمْثَلُ. الرَّأْيُ أَقْوَمُ، أَحْكَمُ، وَأَسَدُّهُ، أَشَدُّهُ. رَبُّ اجْتِهَادٍ، أَبْلَغُ مِنْ جِهَادٍ، وَمَكَائِدُ دَقِيقَةُ الْمَسَارِبِ، أَنْكَى مِنْ جِدَادٍ صَقِيلَةِ الْمَضَارِبِ. وَلَطَائِفُ أَقْوَالٍ، تَنْوِبُ عَنْ وَطَائِفِ أُمُورٍ. وَثَبَاتُ عَقُولٍ وَعَقُودُ، أَوْقَعُ مِنْ ثَبَاتِ جِيُوشٍ وَجُنُودٍ. غَشُّ الْكَافِي أَحْمَدُ مِنْ نُصْحِ الْفَاقِصِ. الثَّنَاءُ الْجَمِيلُ لِسَانُ الْمَسَاعِي، وَالْبَشْرُ الْحَسَنُ عُنْوَانُ الْمَعَالِي. الصَّدْرُ يَطْفَحُ بِمَا جَمَعَهُ، وَكُلُّ إِنَاءٍ مُؤَدٍّ مَا أُودِعَهُ. اللَّيِّبُ تَكْفِيهِ اللَّمَّحَةُ، وَتَغْنِيهِ عَنِ اللَّفْظَةِ اللَّحْظَةُ، الْإِحْجَامُ فِي مَوَاطِنِهِ، كَالْإِقْدَامِ فِي مَوَاقِعِهِ، وَالْتَرَكُ فِي أَمَاكِنِهِ، كَالْأَخْذِ فِي مَوَاضِعِهِ. الرَّاحَةُ حَيْثُ تَعِبَ الْكَرَامُ أُودِعَ، لَكِنِهَا أَوْضَعُ، وَالْقَعُودُ حَيْثُ قَامَ الْأَحْرَارُ أُسْهِلَ، لَكِنَّهُ أَسْفَلَ. الشَّمْسُ قَدْ تَغِيبُ ثُمَّ تُشْرِقُ، وَالرَّوْضُ قَدْ يَذْبُلُ ثُمَّ يَوْرِقُ، وَالْبَدْرُ يَأْفُلُ ثُمَّ يَطْلُعُ، وَالسِّيفُ يَنْبُو ثُمَّ يَقْطَعُ. اللَّيِّبُ مِنَ الْإِيمَاءِ يَكْفِيهِ، وَالْإِيحَاءُ يُغْنِيهِ، وَاللَّفْظَةُ تَجْزِيهِ، وَاللَّمْحَةُ تُؤَثِّرُ فِيهِ. الْكَأْسُ تَكْرَهُ أَوَّلَ مَا تُؤْخَذُ، ثُمَّ تَنْفَعُ بَعْدَ مَا تَنْفَذُ. السَّيْدُ لَا يَرُوعُ الْقَطِيعَ بِأَرْضِهِ، وَالْأَسَدُ لَا يَعْدُو عَلَى الْفَرَسِ فِي غِيَلِهِ. الْوُقُوفُ فِي مَدَارِجِ الْتُّهَمِ ذَنْبٌ عَظِيمٌ، وَالْدُخُولُ فِي شُبُهَاتِ الظَّنِّ دَاءٌ عَقِيمٌ. الْعِلْمُ بِالتَّذَاكُرِ، وَالْجَهْلُ بِالتَّنَاسُّكِ. الطَّاعَةُ سَعِيدَةُ الْمَطْلَعِ، حَمِيدَةُ الْمَرْجِعِ. وَالْعَصِيَانُ ذَمِيمُ الْفَاتِحَةِ، وَخِيمُ الْعَاقِبَةِ. الثَّعَالِبُ لَا تَجْسُرُ عَلَى أَخْيَاسِ الْأَسْوَدِ، وَالْأَرَانِبُ لَا تُقَدِّمُ عَلَى أَغْيَالِ الْلَيُوثِ. الضَّمَاثَرُ الصَّحِيحُ، أَبْلَغُ مِنَ الْأَلْسِنَةِ الْفَصَاحِ. إِنَّ الْجِبَالَ أَلْثَمَ، وَالْأَطْوَادَ أَلْصَمَ لَا تَمَالُ بِحَصِيَّاتِ الْقَافِزِ، وَلَا تَحَالُ بِجَمْرَاتِ الْحَاذِفِ. الرَّجُلُ الْحَوْلُ مِنْ ثَنَى أَرْزَمَةِ

الأعداء عن الشحناء، إلى المودة والصفاء، لا من أحال الصديق ذا الإخاء،
 إلى حال الهجرة والبغضاء. الشيء يحسن في إبانة، كما أن الثمر يستطاب
 في أوانه. الإغفال لا تؤمن عواقبه، بل تحذر مضايده. الآمال ممدودة،
 والأنفاس معدودة. الذكري ناجعة، وكما قال الله نافعة. تجارة الإفضال
 رابحة، وصفقة الإحسان راجحة. متن السيف لين، ولكن حده خشن. ومس
 الحية ألين، ونابها أخشن. والشمس تحيي نورا، ولكنها تقتل حرًا. والماء
 يروي، وقد يخاض فيه فيردى. عقد الأمن في الرقاب، لا يبلغ إلا بركوب
 الصعاب. بعض الجلم مذلة، وبعض الاستقامة مزية. كتاب المرء عنوان
 عقله، بل عيان قدره، ولسان فضله، بل ميزان عمله. انجاز الوعد، من
 دلائل المجد. وأعتراض المظل، من أمارات البخل. وتأخير الإسعاف، من
 قرائن الإخلاف. خير أبر ما صفا، وضا، وشره ما تأخر، وتكدر. خير
 الوعد ما قضى بالإرتداد، قبل الإيقاع، والأنزجار، قبل الإنكار. اصطناع
 الأراذل، سمة في وجوه الأفاضل. مرضاة السلطان، لا تغلو بشيء من
 الأثمان، ولا يبذل الروح والجنان. فِراسة الكرم لا تُبطي، وقيافة الشرف لا
 تخطي. قد ينبح الكلب القمر، فيلقم النابح الحجر. كم متورط في عثار،
 رجاء أن يأخذ بثار. لا بُدَّ للسر من قمر، وللرعى من مطر. قد يبلغ الكلام،
 حيث تقصر السهام. ربما كان الإقرار بالقصور، أنطق من لسان الشكور.
 ربما كان الإمساك عن الإطالة، أرجح في الإبانة والدلالة. هل يثبت التصنع
 إلا بقدر الاستكشاف، ويستقر العمل إلا ريث الاستشفاف. لكل أمر أجل،
 ولكل وقت عمل. إن نفع القول الجميل، وإلا نفع السيف الصقييل. لا
 يذهن عليك تفاوت ما بين الشيوخ والأحداث، والنسور والبغاث. عريسة
 الأسد، ليست من أماكن النقد. كفران النعم، عنوان النقم. وجحد
 الصنائع، داعية القوارع، وتلقي الإحسان بالجحود، تعريض النعم للشرود.
 قد يصلي البريء بالسقيم، ويؤخذ البرُّ بالأثيم. يقوى الضعيف، ويصحو

النزيف، ويستقيم المائد، ويستيقظ الهاجد. ما أنتفع بعلم من لم ينتفع
بطبّه، ولا بفهم أمرىء لم يُصب بوهمه. إنّ السنين تُغيّر السنن. شجاع ولا
كعمرو، ومندوب ولا كصخر. للصدر نفثة إذا أخرج، وللمرء بثّة إذا أُحوج.
طلوع الشمس في ضمان غروبها. ومكاره الأيام في أعقاب محبوبها.
وعواري الليالي على شرف ارتجاعها، وودائع الدهر بعرض انتزاعها.
المكاتبة نظام الصلّة وقوام المقة، وملاك المسرة، وعماد المبرة.

ما أخرج من كلام أبي اسحاق ابراهيم بن هلال الصابي*

موقع الشكر من النعمة، موقع القري من الضيف. إن وجده لم يرم،
وإن فقدته لم يُقم. إنّ النفس لأمرأة بالسو، صبة إلى العتو. لا تدفع عن
مضارّها إلا بالشكايم، ولا تُقاد إلى منافعها إلا بالعزائم، فمن كبحتها وثناها
نجاها، ومن أطلقها وأخرجها أرداها. إن الشيطان يكسو الخدع والشبهات،
سرايل الحنجج والبينات. ليستفز بها الأحلام، ويستزل الأقدام. احذر أن
تأمر بما تجانب فعله، وتنهى عما تأتي مثله. الشورى لقاح العقول والمباحثة
رائد الصواب، وأستظهار المرء على رأيه من عزم الأمور، وأستنارته بعقل
أخيه من حزم التدبير. إذا استفحل الذاء فالكى والأنضاج، أنجع ما أستعمل
فيه من العلاج. أعرف الناس بقدر أعافية من وجدها بعد فقدها، وبفضل
الثروة من لبسها بعد التكري منها. لسان العمل أنطق من لسان القول.
وجميل الفعل أجزر من حسن الوعظ. إذا أتت الجفوة من معدن البرّ تضاعف
إيلامها، وتزايد إيجاعها، كما أن المبرة إذا جاءت شاذة من معدن العقوق
حسن موقعها، وأعجب أمرها. رب بعيد يقربه نقاء جيبه، وقريب يبعده اتهام
غيبه. رب حاضر لم تحضر نيته، وغائب لم تغب مشاركته. للكلام مذاهب
وملاحن، وربما سلك القائل مسلكاً فسلك السامع ضده، وأراد شيئاً فظن به
غيره. لا بد من مصابرة الغمرة حتى تنجلي، وملاطفة الشدة حتى تنتهي.

السيئة إذا حصلت بين حسنتين لم تكن إلا مغمورة مغفورة. إن الله تعالى دعا إلى ألنهوض والنهود، ونهى عن الفتور والقعود. الشكول أقارب، وإن تباعدت بهم المناسب. إن انتشار النظام إذا بدا يدب ديب النار في الهشيم، ويسري كما يسري النعل في الأديم، وكثيراً ما يُعدي الصحاح مَبَارِكُ الجرب، ويتخطى الأذى إلى المركب الصعب.

ما أخرج من كلام أبي القاسم عبد العزيز بن يوسف

نعم المعبّر عن الضمير مضمار القريض. إن الله سائلك عن الخطرة والخطفة، واللحظة واللفظة. أدرع من ثوب عفافك، ما يشمل كافة أطرافك. التقوى أقوى ظهير، وأوفى معين. وخير عتاد، وأكرم زاد للمعاد. اشحذ فكرك، وأرهف ذهنك. إذا ابتديت النظر، فأقض أمامه لكلٍ وطر، لئلا تجاذبك شهوة، أو تختلجك من نوازع النفس حاجة. احذروا أن ينقلكم الله بأقدامكم، إلى مصارع جمامكم. استدمم النعمة عليك بالتقوى لله، وبحسن الطاعة للسلطان فإنهما جنتاك، وعدتاك وذريعتاك، والمشفعتان عند الله في أولاك وأخراك. التقوى أو فى معين، وأوفى ظهير. التقوى هي العدة ألوافيه، والجنة ألواقية، والتجارة ألرأبحة، والسعادة ألسانحة، والجلاء للشبهة، والضياء فى الغمة. سيعيض الله من حرّ الهواجر برد الظلال، ومن قلق الركاب، نجح الإياب. استقبلوا بالخضوع وجه الله واستنزلوا بالتسبيح والتهليل رحمته. واستديموا بالحمد والشكر نعمته. أيقظوا قلوبكم من سينة الخواطر، وأحبوسا ألحاظكم عن محظور المناظر.

ما أخرج من كلام ابي الحسن علي بن القاسم القاساني

قل فى حرّان أخطأه ألنوء، وحيران مظلم خذله ألضوء. مراتع أهل ألفضل موبئة، ووجوه مطالبهم مظلمة. شاهد القلب يصدق ألقول، ورائد ألضمير

يَحَقِّقُ الدَّعْوَى . ابْتَدَأَ الْمَنَّةَ تَبَرَّعَ وَنَافِلَةً ، وَإِتِمَامَهَا سَنَةً لَازِمَةً وَغَنِيمَةً حَاصِلَةً .
الْبَيَانُ الْحَسَنُ يَنْبُؤُ عَنِ الرُّقَى ، وَيَسْتَنْزِلُ الْعُصْمَ مِنَ الذَّرَى . كَلَالُ الدَّهْنِ ،
مَعَ ارْتِقَاءِ السِّنِّ . وَنُقْصَانُ الْخَوَاطِرِ ، بِزِيَادَةِ الشَّوَاغِلِ وَاسْتِمْرَارِ الْبَلَادَةِ ،
بِمَفَارِقَةِ الْعَادَةِ .

ما اخرج من كلام ابي بكر محمد بن العباس الخوارزمي

الشُّكْرُ عَلَى الْإِحْسَانِ ، وَالسَّلَامُ بِإِزَاءِ الْأَثْمَانِ . الطَّيْرُ وَاقِعُهُ مَعْثَلُهُ ،
وَالنَّفْسُ مَائِلَةٌ إِلَى شَكْلِهَا ، الْإِذْكَارُ حَيْثُ التَّنَاسِي ، وَالتَّقَاضِي ، حَيْثُ
التَّغَاضِي . الْعَشْرَةُ مَجَامِلَةٌ ، لَا مَعَامِلَةَ ، وَالْمَجَامِلَةُ لَا تَسَعُ الْاسْتِقْصَاءَ
وَالْكَشْفَ ، وَالْعَشْرَةُ لَا تَحْتَمِلُ الْحِسَابَ وَالصَّرْفَ . الْإِعْتِذَارُ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ
ذَنْبٌ ، وَالتَّكْلُفُ مَعَ وَقُوعِ الثَّقَةِ عَيْبٌ ، وَالِدَوَاءُ لِغَيْرِ حَاجَةٍ دَاءٌ ، كَمَا أَنَّهُ عِنْدَ
الْحَاجَةِ إِلَيْهِ شِفَاءٌ . الْاسْتِقَالَةُ تَأْتِي عَلَى الْعَثَرَاتِ ، كَمَا أَنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ
السَّيِّئَاتِ . الذَّنْبُ لِلْعَيْنِ الْعَشَوَاءِ ، فِي مَحَبَةِ الظُّلْمَاءِ ، وَكَرَاهَةِ الضُّيَاءِ ، وَفَمِ
الْمَرِيضِ يَسْتَثْقِلُ وَقَعَ الْغَذَاءِ ، وَيَسْتَمِرِّي طَعْمَ الْمَاءِ . الْحَرُّ كَرِيمُ الظَّفَرِ إِذَا
نَالَ أَنْالَ ، وَاللَّيْمُ لَثِيمُ الظَّفَرِ إِذَا نَالَ أَسْتَطَالَ . الْآبَاءُ أَبَوَانِ : أَبٌ وَلَادَةٌ ، وَأَبٌ
إِفَادَةٌ فَالْأَوَّلُ سَبَبُ الْحَيَاةِ الْجَسَمَانِيَّةِ ، وَالثَّانِي سَبَبُ الْحَيَاةِ الرُّوحَانِيَّةِ . الْغِيْرَةُ
عَلَى الْكُتُبِ مِنَ الْمَكَارِمِ ، لَا بَلْ هِيَ أَخْتُ الْغِيْرَةِ عَلَى الْمَحَارِمِ . وَالبُخْلُ
بِالْعِلْمِ عَلَى غَيْرِ أَهْلِهِ ، قَضَاءٌ لِحَقِّهِ وَمَعْرِفَةٌ بِفَضْلِهِ . الرَّجُلُ إِذَا قَيَّدَهَا عِفَالُ
الْوَجَلِ ، لَمْ تَنْطَلِقْ نَحْوَ مَطْبَةِ الْأَمَلِ . الْمُحْجُوجُ بِكُلِّ شَيْءٍ يَنْطِقُ ، وَالْغَرِيقُ
بِكُلِّ شَيْءٍ يَتَعَلَّقُ . الْعَاقِلُ يَخْتَارُ خَيْرَ الشَّرِّينَ ، وَيَمِيلُ مَعَ أَعْدِلِ الشَّقِيَّينَ . الْجَوَادُ
مُحْتَكِرٌ بَرٌّ ، لَا مُحْتَكِرٌ بَرٌّ . الْكَرِيمُ تَاجِرُ جَمَالٍ ، لَا تَاجِرُ مَالٍ . وَالْحُرُّ وَقَايَةُ
الْحُرِّ مِنْ فَقْرِهِ ، وَسِلَاحُهُ عَلَى دَهْرِهِ ، الْمَدْحُ الْكَاذِبُ دَمٌ ، وَالْبِنَاءُ عَلَى غَيْرِ
أَسَاسٍ هَدْمٌ . الدَّهْرُ غَرِيمٌ رُبَّمَا يَفِي بِمَا يَعِدُ ، وَحَبْلِي رُبَّمَا تَشُمُّ فِيْمَا تَلِدُ .
الدَّهْرُ أَصْمٌ عَلَى الْكَلَامِ ، صَبُورٌ عَلَى وَقْعِ سِهَامِ الْأَمَلَامِ . النَّاسُ بِالْإِحْسَانِ ،

وَالْإِحْسَانُ بِالْسلْطَانِ، وَالْسلْطَانُ بِالزَّمَانِ، وَالزَّمَانُ بِالْأَمْكَانِ، وَالْأَمْكَانُ عَلَى قَدْرِ الْمَكَانِ. الْعَزْلُ طَلَاقُ الرِّجَالِ، وَالْمِحْنَةُ صَيْقُلُ الْأَحْوَالِ. الْكَرِيمُ مَنْ أَكْرَمَ الْأَحْرَارَ، وَالْكَبِيرُ مَنْ صَغُرَ الدِّينَارُ. الْمَصِيبَةُ فِي الْوَلَدِ آعَاقُ مَوْهَبَةٍ، وَالْتَعَزِيَةُ عَنْهُ تَهْنِئَةٌ. الْمَحَبَّةُ ثَمَنُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِنْ غَلَا، وَسَلَّمٌ إِلَى كُلِّ شَيْءٍ وَإِنْ عَلَا. الرَّجُلُ مَنْ إِذَا كَوَى أَنْصَحَ، وَإِذَا لَقِحَ أَنْتَجَ. وَإِذَا قَالَ أْبْلَغَ. وَإِذَا أَنْعَمَ أَسْبَغَ. التَّقْدِيمُ عَلَى الْغَايَةِ تَأَخُّرُ عَنْهَا، وَالزِّيَادَةُ عَلَى الْكَفَايَةِ نَقْصَانٌ مِنْهَا. الْأُذُنُ بِكَرٍّ مِنَ الْأَبْكَارِ، لَا تُفْتَضُّ إِلَّا بِالْأَخْبَارِ، وَالْبَكْرُ مِنْهَا أَحَبُّ إِلَيْهَا، وَالَّذُ لَدَيْهَا. إِنَّمَا السُّودُّ بِكَثْرَةِ الْآتِبَاعِ، وَكَثْرَةُ الْآتِبَاعِ بِكَثْرَةِ الْأَصْطِنَاعِ إِنَّمَا تَحُومُ الْأَمَالِ حَيْثُ الرُّغْبَةُ، وَتَسْقُطُ الطَّيْرُ حَيْثُ تُنَشَّرُ الْحَبَّةُ، إِنَّ النِّسَاءَ لَحِمٌّ عَلَى وَضْمٍ، وَعَصِيدٌ فِي غَيْرِ حَرَمٍ، إِلَّا أَنْ تَلَاخِظَ بَعِيْنَ غَيْرُورٍ، وَنَفْسٌ يَقِظُ حَذُورٍ. إِنَّ أَلْوَايَةَ عَزْلٍ، إِذَا لَمْ يَعْمَرْ جَانِبَهَا عَدْلٌ. سُرْعَةُ الشَّهَادَةِ طَرِيقٌ مِنْ طُرُقِ الْخَفَةِ، وَابْتِدَالُ الْمَدْحِ وَالتَّزْكِيَةِ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ أَلْمَلَقِ. الْمَجَازَفَةُ بِحِسَابِ أَلْمَقَالِ، أَقْبَحُ مِنَ الْمَجَازَفَةِ بِحِسَابِ أَلْمَالِ، قَبُولُ شُكْرِ الشَّاكِرِ التَّزَامُ لَزِيَادَتِهِ، وَاسْتِمَاعُ قَوْلِ أَلْمَادِحِ ضِمَانٌ لِحَاجَتِهِ. صَغِيرُ أَلْبِرِّ أَلْطَفُ وَأَطْيَبُ، كَمَا أَنَّ قَلِيلَ أَلْمَاءٍ أَشْهَى وَأَعْذَبُ. ثَمَرَةُ أَلْأَدَبِ الْعَقْلُ أَلْرَّاجِحُ، وَثَمَرَةُ أَلْعِلْمِ أَلْعَمَلُ أَلصَّالِحِ. طَوْلُ الْخِدْمَةِ، أَكْثَرُ حُرْمَةٍ، وَتَأَكُّدُ الْحُرْمَةِ، عَقْدُ قَرَابَةٍ وَلُحْمَةٍ. ادْعَاءُ الْفَضْلِ مِنْ غَيْرِ مَعْدِنِهِ نَقِيصَةٌ، كَمَا أَنَّ الْإِقْرَارَ بِالنَّقْصِ مِنْ حَيْثُ أَلْإِعْتِذَارِ فَضِيلَةٍ، وَالْقِتَالُ عَنِ الْعَسْكَرِ الْمُنْهَزَمِ ضَرْبٌ مِنَ الْمُحَالِ، وَتَعَرُّضُ لِسَهَامِ أَلْأَجَالِ. شَاهِدُ الْإِيَانِ، أَقْوَى مِنْ شَاهِدِ النَّسِيَانِ، وَدَلِيلُ الْبَصَرِ، أَوْضَحُ مِنْ دَلِيلِ الْخَبَرِ شَاهِدُ الْأَحْوَالِ، أَنْطَقُ مِنْ شَاهِدِ الْأَقْوَالِ. بَابُ الْإِحْسَانِ مَفْتُوحٌ مَنْ شَاءَ دَخَلَهُ، وَجَمَى أَلْجَمِيلُ مُبَاحٌ مَنْ أَشْتَهَى فَعَلَهُ. وَلَيْسَ عَلَى الْمَكَارِمِ حِجَابٌ، وَلَا يَغْلِقُ دُونَهَا بَابٌ. شَبَكَةُ الْمَحَالِ أَوْهَى مِنْ أَنْ تَنْشَبَ فِيهَا رِجْلُ مُجِحٍّ، وَكَثِيدُ الْبَاطِلِ أَضْعَفُ مِنْ أَنْ يَنْفُذَ فِي حَقِّ. مُؤَدِّبُ الْعَاقِلِ إِخْوَانُهُ، وَمِرَاتُهُ زَمَانُهُ. وَسَوَطُ الْجَوَادِ عَيْنَانُهُ. شَرَفُ النَّازِلِ مُتَّصِلٌ بِشَرَفِ أَلْدَّارِ، وَسَمَكُ

الأنهار، ليس في قرار سَمَك البحار. قرآءة كتاب الصديق نِعَم تَرِياق سم الغم. قليل السلطان كثير، ومداراته حَزْمٌ وتَدْبِير، كما أن مُكاشَفَتَهُ غُرُورٌ وتَغْرِير. شَرٌّ من الساعي من أنصت له، وشَرٌّ من متاع السوء من قبله. لا خَيْرٌ في حُبِّ لا تُحْتَمَلُ أَقْدَاؤُهُ. ولا يُشْرَبُ عَلَى الكَدْرِ مَأْوُهُ. خَيْرُ الكلام ما أَسْتَرِيح من ضِدِّهِ إلى ضِدِّهِ. ورتع بين هَزْلِهِ وَجَدَهُ. أَوْجَعُ الضَّرْبُ ما لا يمكن منه البِكَاءُ، وأشدُّ الشكوى ما لا يحقُّهُ الِاشْتِكَاءُ. كُلُّ غَمٍّ كان سَبَباً لِلسُّرُورِ، فهو سُرُورٌ، وكلُّ ظُلْمَةٍ كانت طَرِيقاً إلى النُّورِ، فهي نُورٌ. أبى الله أَنْ يَقَعَ في البَثْرِ إِلَّا مَنْ حَفَرَ، وَأَنْ يَحِيقَ المَكْرُ السِّيُّ إِلَّا بِمَنْ مَكَّرَ. الدُّعَاءُ غَايَةٌ من ضَاقِ إمكانيه، ولم يُساعِدْهُ زمانه. ما تَعَبَ من أَجْدَى، وما أَسْتراحَ مَنْ أَكْدَى، وحبذا كَدْرٌ أَوْرَثَ نَجْحاً، وشوكة أَجْنَتَ ثَمَراً. لِلرِّياسَةِ شروطٌ وتَوابعٌ، ولِلتِّجارَةِ فيها أَرْباحٌ ووضائعٌ، فرأس مالها اعتقادُ المَنِّ في الأَعناقِ، وتبليغُ الرِّجالِ مقاديرَ الكُفَايَةِ وَالِاسْتِحْقاقِ. مَنْ طَمَسَ عَيْنَ الشَّمْسِ، فقد نطقَ عن مقداره في الحَسِّ. هل عَلَى الأَرْضِ عَارٌ أَنْ تَطْلُبَ سُقيا السَّمَاءِ؟ وهل عَلَى أَلْفِ قَرَأٍ نَقْصٌ أَنْ يَأْخُذُوا صَدَقَةَ الأَغْنِياءِ؟ وهل يَعْيبُ النُّهْرُ أَنْ يَسْتَمِدَّ من أَلْبَحَرِ؟ وهي يَضَعُ الأَساري أَنْ يَسْتَضِيءَ الأَبْدَرُ. قد يتَواضَعُ الأَسَدُ لِصَيْدِ الأَرْنَبِ، وأَفْتَراسِ الأَثَلْعَبِ. وَإِنْ كان يَصْطادُ الأَفِيلَ، ويفْتَرَسُ الأَزْنَذَ فِيلَ. حَقٌّ لِنَهْرِ انشعب من بحرٍ، أَنْ يَكُونَ غَزيراً وَلِنَجْمٍ اسْتَضَاءَ بَيْدَرٍ، أَنْ يَكُونَ مُنِيرًا. بِالْأَباءِ يَقْتَدِي الأَوْلادُ، وَعَلَى الأَعْراقِ تَجْري الأَجِيادُ. كُلُّ إنسانٍ يَجْري عَلَى عَرَقِ أَوَّلِيهِ، وَكُلُّ إناءٍ يَرْشَحُ بما فيه. قد يَصْبِرُ الكَرِيمُ عَلَى عِشْرَةِ مَنْ لا يَحِبُّهُ، ولا يَمِيلُ إِلَيْهِ قَلْبُهُ. العاقلُ إِذا ابْغَضَ انْصَفَ، وَإِذا أَحَبَّ أَلْطَفَ. مَنْ ذا يَزْحِمُ الدُّعَاءَ وَالْمَوْتَ دَأْوَهُ، وَيَتَّقُ بِالْأَصْدِقاءِ والأَيامِ أَعْدَاؤَهُ. لا ثَباتُ عَلَى سَمِ الأَسودِّ، ولا قَرارُ عَلَى زَأْرِ الأَسَدِ. كيف يَقْدِرُ عَلَى الدَّوَاءِ، مَنْ لا يَهْتَدِي إلى الدَّاءِ. وكيف يُدَاوِي أَعْداءَهُ، مَنْ لا يَعْرِفُ أَصْدِقاءَهُ. قد هابَكَ مَنْ اسْتَرَّ، وَلَمْ يُذنبَ إِلَيْكَ مَنْ أَعْتَذَرَ. وَمَنْ رُدَّ إِلَيْهِ عُذْرُهُ فَقَدْ أَخْرَجَهُ إِلَى

الشَّجَاعَة بعد الْجَبْنِ، وأُخْرِجَ ذَنْبُهُ إِلَى صَحْنِ الْيَقِينِ مِنْ سِتْرَةِ الظَّنِّ. لَيْسَ بَيْنَ الْمَوَالَاةِ وَالْمُعَادَاةِ إِلَّا لَقِيَّةٌ شَنْعَةٌ، أَوْ لَفْظَةٌ قَذَعَةٌ. رُبَّ فِعْلٍ يُصَابُ بِهِ وَقْتُهُ فَيَكُونُ سُنَّةً، وَفِي غَيْرِ وَقْتِهِ يَكُونُ سُبَّةً. بِالْصَّبْرِ يُنَالُ الْعُلَى، وَعِنْدَ الصَّبَاحِ يَحْمَدُ الْقَوْمُ السُّرَى فِي الزَّوَايَا خَبَايَا، وَفِي الرِّجَالِ بَقَايَا. أَشْرَفَ مِنَ الْحَقِّ مَنْ قَبَلَهُ، وَأَحْسَنُ مِنَ الْحَسَنِ مَنْ فَعَلَهُ. هَلْ يَرَى الْمَرِيضُ بَيْنَ الطَّبِيبِينَ؟ وَهِيَ يَسَعُ الْغِمْدَ سَيْفَيْنِ؟ لَمْ أَرْ مُعَلِّمًا أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنَ الزَّمَانِ، وَلَا مُتَعَلِّمًا أَسْوَأَ تَعْلِيمًا مِنَ الْإِنْسَانِ. قَدَمًا أَخْلَفَ الدُّوَاءَ شَارِبُهُ، وَخَانَ الرَّجَاءَ صَاحِبُهُ. مِنَ الْإِنْسَانِ مَنْ إِذَا وَلِيَ عَزَلَتَهُ نَفْسُهُ، وَمِنْهُمْ مَنْ إِذَا عَزَلَ وَلَّاهُ فَضْلُهُ. كَيْفَ يُشْكِرُ الْقَمَرُ عَلَى أَنْ يُلُوحَ، وَالْمِسْكُ عَلَى أَنْ يَفُوحَ. وَكَيْفَ يُقَالُ لِلنَّجْمِ مَا أَضْوَاكُ، وَلِلْفَلَكَ مَا أَعْلَاكَ، وَلِلْعَسَلِ مَا أَحْلَاكَ. إِنَّ وَلَايَةَ الْمَرْءِ ثَوْبُهُ، إِنْ قَصُرَ عَنْهُ عَرِي مِنْهُ، وَإِنْ طَالَ عَلَيْهِ عَثَرَ فِيهِ. مَا أَلْمَحْنَةُ إِلَّا سَيْلٌ، وَالسَّيْلُ إِذَا وَقَفَ أَنْصَرَفَ. وَمَا الْأَيَّامُ إِلَّا جَيْشٌ، وَالْجَيْشُ إِذَا لَمْ يَكِرْ، فَقَدْ فَرَّ، وَإِذَا لَمْ يُقْبَلْ إِلَيْكَ فَقَدْ أَدْبَرَ عَنْكَ. مَنْ أَرَادَ أَنْ يَصْطَادَ قُلُوبَ الرِّجَالِ، نَثَرَ لَهَا حَبَّ الْإِحْسَانِ وَالْإِجْمَالِ، وَنَصَبَ لَهَا أَشْرَاكَ الْفَضْلِ وَالْإِفْضَالِ. إِذَا كَانَ لَا بُدَّ مِنْ عِبَادَةِ مَخْلُوقٍ، وَمَنْ أَسْتَرَزَاقَ مَرْزُوقٍ، فَلْيَضَعْ الْحَرَّةَ رِقَّةً بِيَدِي كَرِيمٍ، وَلْيَجْعَلْ غُدُوَّهُ وَرَوَاحَهُ إِلَى بَابِ عَظِيمٍ. فِي كِتْمَانِ الدَّاءِ، وَفِي عَدَمِ الدُّوَاءِ، عَدَمُ الشِّفَاءِ. مَنْ لَمْ يَنْهَ أَخَاهُ فَقَدْ أَغْرَاهُ، وَمَنْ لَمْ يُدَاوِ عَلَيْهِ فَقَدْ أَدَوَاهُ. نِعَمُ جَنَّةِ الْمَرْءِ مِنْ سَهَامِ دَهْرِهِ، نَزْوُلُهُ عِنْدَ قُدْرِهِ، وَنِعَمُ السَّلَامِ لِلْأَرْزَاقِ، طَلِبُهَا مِنْ طَرِيقِ الْإِسْتِحْقَاقِ. مَا أَكْثَرَ مَنْ يَخْطِيءُ بِالصَّنِيعَةِ طَرِيقَ الْمَصْنَعِ، وَيَخَالَفُ بَزْرَعِهِ مَوْضِعَ الْمَزْرَعِ. أَكْبَرُ مِنَ الْأَسِيرِ مَنْ أَسْرَهُ ثُمَّ أَعْتَقَهُ وَأَشْجَعُ مِنَ الْأَسَدِ مَنْ قَيَّدَهُ ثُمَّ أَطْلَقَهُ إِذَا عَتَقْتَ الْمَنَادِمَةَ صَارَتْ نَسَبًا دَانِيَا، وَكَانَتْ رِضَاعًا ثَانِيَا.

ما أخرج من كلام الأمير أبي الفضل عبيد الله بن أحمد الميكالي
 لله الطافُ تنتصر من الباغي، وتقضي بنيل المباغي. الفاضل لا يسلم من

الْقَدَحُ، ولو غدا أقوم من الْقَدَحِ. النِّعْمَةُ عروس مَهْرها الشُّكْر، وَثُوب صَوَانِه
 الْبِشْرُ. لو كان الشُّباب فِضَّةً كان الشُّيْب لها خَبِثًا. الخَضَاب، تذكرة الشباب.
 ما جُمِش الودَّ بمثل العِتَاب. الشُّكْلُ للكتاب، كَالْحَلِيِّ لِلْكَعَّابِ، رُبَّ كلام أحلى
 من وِيق النحل، وأصفى من رِيق الوَبَل. كم بين من حالف الشيطان فأعتصم
 بحبله، وبين من خالفه فاعتصم من خُتله. رُبَّ لاغ، في بلاغ. الأَدْبُ زَيْنُ
 وجهال، إن تطعَّمت به نفع، وإن تروَّيت به نفع، وإن تعطَّرت به سطح، وإن
 تحلَّيت به لَمَعَ. خيرُ الكلام ما كان لفظه فَحْلاً، ومعناه بكراً. القلم أحسن مطيَّة
 تمشي براكبها رَهْوا، وتكسو الأنامل زَهْوا. أين المَهْاوي من المَراقِي، والأقدام
 من التَّراقِي. الدُّنيا قنطرةٌ لمن عَبَرَ، عبرة لمن آسْتَبَصَرَ وأَعْتَبَرَ.

ما أخرج من كلام بديع الزمان أبي الفضل أحمد بن الحسين الهمداني
 الكلامُ معجون، والحديثُ شُجُون. نعم الرِّفِيق، التوفيق. المرء لا يُعرف
 برُده، كالسِّيف لا يعرف بغمده. رأسُ اليتيم يحتمل ألَوْن، ولا يحتملُ
 الدَّهْن، وظَهْرُ الشَّقِيّ يَحْمِلُ عِدْلَيْنِ من الْفَحْمِ، ولا يَحْمِلُ رَطْلَيْنِ من الشَّحْمِ.
 لولا الشَّعِيرُ، ما نَهَقَت الحمير. الكلبُ بَزْمَن، حين يسمن، ولا يتبع، حين
 يشبع وعند الجوع، يهم بِالرُّجُوع. نارُ الحَلْفَاءِ، سَريعةُ الانطفَاءِ. الحِذْقُ، لا
 يَزِيدُ الرِّزْقُ. والدَّعَة، لا تحجب السَّعة. لا يكونن مثلك كمن صام حَوْلًا.
 وشَرِبَ بَوْلًا. احتكم إلى الحجارة، فَالتَّغْيِيرُ نصفُ التَّجَارَةِ. المرء يُساق إلى ما
 يُراد به. غَضَبُ العاشق أَقْصَرُ عُمْراً، من أن ينتظر عُذْراً. المرءُ يُدَبِّرُ،
 وَأَلْقَضَاءُ يُدَمِّرُ، وآلآمَالُ تنقَسِمُ، والآجَالُ تَبْتَسِمُ. للمقمور أن يستخف
 ويستهن، وللقامر أن يحتمل ويلين. إن بعد الكَدَرَ صفواً، وبعد الْمَطَرَ صَحْواً،
 لا تكاثروا الله في بلاده، ولا تراءَوْه في مُرادِه، (إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ
 مِنْ عِبَادِهِ). الحبل لا يُبْرَمُ إِلَّا للقتل، وآلثور لا يُرَبَّى إِلَّا للقتل. أرخص ما

يكون أنفط إذا غلا، وأسفل ما يكون الأرنب إذا علا لا يُجسد الذئب على الإلية يعطاها طعمة، ولا بحسب الحب ينثر للعصفور نعمة. إن للمتعة حداً، وإن للعارية رداً. ما كل مائع ماءً، ولا كل سقف سماءً، ولا كل بيت بيتُ الله، ولا كل محمد رسول الله. الكريم عند أولي اللوم، كالماء في فم المحموم، وسم المبرسم في الشهد، والشمس تقيح في عيون الرمد. الخبر إذا تواتر به النقل، قبله العقل. سبيل الإنسان، في الإحسان، سبيل الأشجار، في الثمار، فسبيله إذا أتى بالحسنة، أن يرقد إلى السنة. جهد المقل، خير من عذر المخل. النذل، لا يلم العزل. إن الوالي سيُ عزل، وإن الرأكب سينزل. المدين يحسب النسيئة عطية، ويعتدها هدية. من الذي لا يهاب البحر أن يخوضه، والأسد أن يروضه. لن يبطل العرف في القياس، ولا يذهب بين الله والناس، الطباع إلى الدّم أمل. والعقرب، إلى الشر أقرب. واللسان بالقذح، أجرى منه بالمدح. والحاسد يعمى عن محاسن الصبح، بعين تذكّر دقائق القبح. للثقات خيانات، في بعض الأوقات. هذه العين تريك السراب شراباً وهذه الأذن تسمعك الخطأ صواباً. لست بمعذور، إن وثقت بمحذور.

ما أخرج من كلام أبي الفرج عبد الواحد بن نصر المعروف بالبيغاء رسوم الكرم ديون. الأفعال، نتائج الآمال. رب ظلم يتظلم. المكاتبه ترجمة النية. السيد المتواضع كالشمس الباهرة بضياؤها، القرية مع اعتلائها. الصديق الصدوق كالأمن الذي لا صبر عنه. والغيث الذي لا عوض بحال منه. دولة لا تختص بنفعها الأحرار غير مفروح بها، ولا مأسوف عليها. المعرفة بأسرار الآلات، أقوى معين على الصناعات. كيف يوصي الناظر بنوره، أم كيف يحث القلب على حفظ سروره. إن أنتهاء الشيء إلى أقصى حده ناقل له عما كان عليه إلى ضده. لو تكافأ الناس في فصل الخطاب، لما عُرف الخطأ من الصواب. الانقياد لأوامر الهمم المنيفة، من نتائج الأخلاق الشريفة.

ما أخرج من كلام أبي الفتح علي بن محمد البستي

مَنْ أصلح فاسده، أرغم حاسده. مَنْ أطاع غضبه، أضاع أدبه. عاداتُ
السادات، ساداتُ العادات. وشيمُ الأحرار، أحرارُ الشيم. من سعادة جدك،
وقوفك عند حدك. أفحشُ الإضاعة، الإذاعة. الخيبة، تهتكُ الهيبة. في
الدعة، رائد الضعة. مَنْ لم يكن لك نسيباً، فلا ترج منه نصيباً. الرشوة
رشاء الحاجة. اشتغل عن لذاتك، بعمارة ذاتك. أجهل الناس مَنْ كان
للإخوان مُدلاً، وعلى السلطان مُدلاً. حبيبك، من لا يعيبك. إذا بقي ما
قاتك، فلا تأس على ما فاتك. الدنيا فناء. الفناء. البشرُ عنوان الكرم. من
تبرج بره، تأرج ذكره. من حصن أطرافه، حسن أوصافه. المرء يهدم المروءة.
الفهم شعاع العقل. رضى المرء عن نفسه، دليل تخلفه ونقصه. الحدة والعزيمة
فرسا رهان. الجود والشجاعة شريكا عنان. العجز والتواني رضيعا لبان. نعم
الشفيعُ إلي عدوك عقله. لا تغترن بصحة مزاجك في الهواء الوبي. ولا تغترن
بقوة بصرك في الظلمة الراكدة. إفراطُ التغافل، تناقل. رب مقال لا يقال
عثرته. حسنُ الأخلاق، أنفسُ الأعلاق. الحلم مطية، وطية. كيف القرار،
على الشرار. مسلكُ الحزن، حزن. أحسن الجنة، لزوم السنة. الردُّ الهائل،
خيرٌ من الوعد الحائل. الخلاف غلاف الشر. نعم العدة، طول المدة. البرايا،
أهداف البلايا. حدّ العفاف، الرضاء بالكفاف. مَنْ لزم السليم سَلِمَ.
الحرق، آفة الخلق. إفراطُ السخاوة، رخاوة. ربما كانت العطية، خطية.
الفلسفة فلُ السفة. لكل حادث حديث ما كلُّ خاطر، بعاطر. البشرُ نورُ
الإيجاب. البخل سوسُ السياسة. العفيف، يكفيه الطفيف. لسانُ النصيح
فصيح. التصلف، ترجمان التخلف. مَنْ تعطل، تبطل. أدهى المصائب، كثرة
المعائب. إفراطُ الدمانة، غثاثة. إفراطُ الفخامة، وخامة. إفراطُ التاني توان.
الإنصاف أحسنُ الأوصاف. عليك بالحدّر، من الهذر. ربما تكون المثية، هنية.

معنى المعاشرة، ترك المعاصرة، ما لحرق الرقيع مُرَقَّع . ربما تكون العناية،
جناية. قَدَّرُ الأمين، ثمين. قُوتك، قُوتك. الغيث، لا يخلو من العيث.

ما أخرج من كلام. ابي النصر عبد الجبار العتبي

الشباب باكورة الحياة. الشيبُ رداء الردى. تَعَزَّ عن الدنيا تَعَزَّ. لسانُ
التقصير، قصير. مَنْ يَكْسُ، وُكْسٌ ونُكْس. البخلُ فراشُ العار، والحِرْصُ
فراشُ النار. إذا قَرَعَ المرءُ بابَ الكهولة فقد أَسْتَأْذَنَ عَلَى الْبَلَى. الوَقَاحَةُ،
كحجرُ القُداحة. لولاه ما أَسْتَعْرَ هُب، ولا أَسْتَعْلَ حَطَب. اللهم في وخز
النفوس، حالُ السوس. في خَزْ السوس. السَّفْهُ نباحُ الإنسان. الرَّفْقُ لقاحُ
الصلاح، وجَنَاحُ النُّجاح. عَجِبْتُ لِمَنْ يَسْمَحُ بِالرُّوحِ أَضْطَرَارًا، كيف لا يَسْمَحُ
بِالْمَالِ اخْتِيَارًا. الصِّلَةُ المستورة، كالحُلَّةِ المنشورة. حفظُ الْإِيمَانِ، من وثاق
الإيمان. مَنْ ثَمَلَ مِنْ كَأْسِ الثَّنَاءِ، طَرِبَ لِأَنْسِ الْإِلْقَاءِ. تناسي المعروف قِلادة
في جيد الجود. التجربةُ مرآةُ المرء. الشَّعْرُ قرآنُ الشيطان. الخمرُ مطيئةُ الخطية.
التَغَاوُلُ مِنْ رُمُوزِ الكرم. إِيَّاكَ وَالْجَدَلَ فَإِنْ أَوَّلَهُ مَجَارَاةً، وَأَوْسَطَهُ مُبَارَاةً، وَآخِرَهُ
مُحَارَاةً. الْأَنَاةُ سَمْتُ الْعَاقِلِ، وَسِمَةُ الْفَاضِلِ. الْعَاقِلُ مَنْ أَصْبَحَ مِنَ الْأَجَلِ،
عَلَى وَجَلٍ. [لِلْبَقُولِ أَحْرَارٌ، وَفِي الطَّيْرِ عِتَاقٌ. الشَّيْبُ أَحَدُ كَافُورِي الْكَفَنِ،
حَسَنُ الْخَلْقِ فِي الْخُلْدِ. الْبَدْعَةُ شَرَكُ الشِّرْكَ. رَبِّي رَبِّي عَلَى كُلِّ خَفِي (كذا).
تَكْلِيلُ الْمَعْرُوفِ تَعْجِيلُهُ، وَتَتْوِيجُهُ، وَتَطْوِيقُهُ، وَتَحْقِيقُهُ، وَتَسْوِيرُهُ، تَيْسِيرُهُ،
وَتَوْشِيحُهُ، تَسْرِيجُهُ. الْمَاءُ يَطْيِبُ الْمَسْكَ. الْعَشْرَةُ بَعْبَرُ الْإِنْصَافِ. إِذَا سَمِعْتَ
نَغْمَةَ الشُّكْرِ طَرِبْتَ لِلْمَزِيدِ. عُذَّتِي فِي الْعَقْبَى، مَوَدَّتِي فِي الْقُرْبَى].

ما أخرج من كلام ابي الحسين محمد بن الحسن الأهوازي

في كتابه كتاب الفرائد والقلائد

أعْبَى النَّاسِ مَنْ أَطَالَ الْخُطْبَةَ، وَأَسَاءَ الْخُطْبَةَ. أَشَدُّ الْغُصَصِ، قَوْتُ

الفرص العَدْلُ أقوى جيش، والأمن أهنأ عيش. من صاحب العلماء وقر، ومن صاحب السُّفهاء حُقر. خيرُ أموالك ما أنفقت منه، وخيرُ أعمالك ما وُفقت فيه. أبعدُ أهنم. أقربها من الكرم، رأس الفضائل، اصطناعُ الأفاضل، ورأس الرذائل، اصطناعُ الأراذل. من أعز نفسه، أذلَّ فلسه. من حُسِنَ صفاؤه. وجبَ اصطفاؤه. من بسط راحته، أنس ساحته. من ركب الحق، غلب الخلق. من ساء عقده، سرَّ فقده. من تعدى على جاره، دلَّ على لوم نجاره. من أحسن الاختيار، أحسن إلى الأخيار. من فعل ما شاء، لقي ما ساء. من زرع الإحن، حصد المِحن. من زلَّ نعله، زال عقله. من حسنت حاله، استحسِنَ محاله. لا يخلو المرء من ودودٍ يمدح، ومن حسودٍ يقدر. الشرفُ بأهنم العالية، لا بالرَّمم البالية. من طال أمله، ساء عمله. [ازرع الأخيار بسبيك، وأحصد الأشرار بسيفك. إذا سنحت لك إلى السلطان حاجة فلا ترفعها إليه ما لم تر وجهه بسيطاً، وقلبه نشيطاً، وبشره بادياً، وذَرعه خالياً].

ما أخرج من كلام المبهج لمؤلف هذا الكتاب

من صلى لله لم يصل ناره. الصدقة صدائق الجنة. بشر وفد، الله يرقد الدارين. سبحانه مقدر الأقوات، على اختلاف الأوقات. العلمُ أشرف ما وعيت، وأخيرُ أفضل ما أوعيت. الصدقُ بالحرِّ أحرى، وفي طريق المروءة أجرى. الهوى سلافٌ مُونق، مزاجه دُعافٌ مُويق. الكريمُ ثقلُ هَناته، وتكثر هباته. القلوبُ لا تستمال، بمثل المال. العرض، هو الغرض، والمال، هو المال. ما بقاء المال بين حوائج الإنسان، وجوائح الزمان. العينُ للعين قُرة، وللظهر قُوة. الدرهم أنفذ الرِّسائل، وأنفع الوَسائل، وأنجع المسائل. نقصانُ الغلة، زيادة الغلة. لا تُؤتي الضيعة أكلها. إلا من يحمل كلها. خُلف الوعد، خُلِق الوغد. الورد نسيمُ الرُّوح، نسيبُ الرُّوح. الصديق ثاني النفس، وثالث

العينين. لقاء الصديق رُوح الحياة، وفراقه سَمَّ الحَيَّات. الحاجة إلى الأخ
المعين، كالحاجة إلى الماء المعين. ربما كان التَّقَالِي، في التَّلَاقِي. رُبما أدَّت
المُجادلة، إلى المُجادلة. إذا أَلَمَّ أَلَمٌ، فآلمَاجلة بالمعالجة. مَنْ كَرُمَتْ خِصاله،
وَجَبَّ وِصاله، وَمَنْ كَثُرَ هُجْرُهُ، وَجَبَ هَجْرُهُ. عَرَفُ العُرفِ يَضُوعُ عند
الكرِيم، ويَضِيعُ عند اللَّئِيم. طوبى لمن كانت نفسه مُراحة، وعِلَّله مُراحة.
طوبى لمن أَمِنَ سِرِّبه، وصفا شربه. ويلٌ لمن كان بين عَزِّ النَّفسِ، وذَلِّ الحاجة.
ويلٌ لمن كان بين سَخَطِ الخالق، وشماتة المخلوق. كم مُعْسير في الشَّباب
الأخلاق، مُوسِر في مكارم الأخلاق. لو كانت المشاجرة شَجَرًا، لم تُثمر إلا
ضَجَرًا. مَنْ اعتقد الصُّلاح، اقتعد الفلاح. مَنْ جَلَبَ دُرَّ الكلام، حَلَبَ دُرَّ
الكرام. من عاداه قَوْمه، طارَ نَوْمه، وطالَ يَوْمه. الرَّجلُ مَنْ تُثْنِي به الخناصِرُ،
وتُثْنِي عليه السَّبابات، وتُعْضُّ من الغَيْظِ عليه الأباھيم. الملكُ مَنْ تَبَيَّضُ آثارُ
أياديه، وتسودُ أيامُ أعاديهِ، وتُخْضِرُ مواضعَ سَيِّئه، وتُحْمَرُ مواقعُ سَيفِه. إذا عَدَلَ
أَمَلِكُ فقد اعتدلَ أَلْجانِف، وأَقْصَرَ أَلْخانِف، وأَمِنَ أَلْخانِف. مذاكرةُ أدباء
الإخوان، أَطيبُ من مُغازلة الغزلان، وأَمْتعُ من حركات الرِّيح بين الرِّيحان.
الأنسُ في المجلس الخاص، لا في المحفل الغاصّ. التَّقْيُّ مَنْ عَزَفَ أغراضَ
هُمته عن أغراضِ الدُّنيا. إذا أَقْبَلَ جَدُّ المرءِ فالإقبالُ يُسْعِدُه، والأوطارُ تُساعِدُه،
وإذا أدْبَرَ فالأيلامُ تُعاديهِ، والنحوُسُ تُراوحه وتُغاديهِ. أَحْسِنُوا مُجاوِرَةَ النِّعْمَةِ فإنها
سَريعة النِّفَرَة، شديدة الطِّفَرَة. بعيدة السِّفَرَة. ما أدلَّ حُسْنُ السِّيرة، عَلى طيب
السَّريرة. الحازِمُ مَنْ قَزَوْدَ لِمابِه، قبل أن يصيرَ لِمابِه. البُخلُ بِالطَّعامِ، من
أَخلاق الطَّعام. لا يَطِيبُ حُضورُ الخِوانِ، إلاَّ مع الإخوان. الصَّدِيقُ لا يَحْظُرُ،
تقديم ما يَحْضُرُ. لا يَحْصُلُ بَرْدُ العَيْشِ إلاَّ بِحَرِّ التَّعَبِ. إذا أُسْفِرَ صُبْحُ الشَّيْبِ
فقد هوى نَجْمُ أهوى. وهى حبلُ الصِّبا. مَنْ كان في الموقِ عريقًا، كان في
يَمِّ الهَمِّ غريقًا. مَنْ كان عليك عاتبا، كان لك عاتبا. مَنْ أزال وجهه، أَذَلَّ
نفسه. بعضُ النَّاسِ كالغذاء النافع، وبعضهم كالسَّمِّ النافع. ثمرةُ رأي

الأديب المشير، أحلى من الأزي المشور. قوة الوسيلة جناح النجاح، ربّ كلام له حُسْنُ الوجوه الصّباح، وسحرُ الحَدَق الملاح. ربّ كلامٍ أملح من أطواق القماري، وأذكى من العود القماري. الصعب مع القضاء ذلول، والعزیز به ذلیل. الأمطار، تعوق عن الأوطار. والأوحال، تحول عن الوصال. الصبر أحجى، بذي الحجى. من تبصر، تبصر. ليالي السرور غر، وأيام الهموم غبر. أخلق بمن كان وجهه دميما أن يكون فعله دميما. ومن كان وجهه وضيا، أن يكون فعله رزيا. ما من لحظة إلا ومعها صنع من الله خفي، ولطف خفي. ما الخلاص، إلا في الإخلاص. من آفتقر إلى الله آستغنى. صدق المناجاة، سبب النجاة.

آخر كتاب الأمثال والحكم والمواعظ وما يحدو حدودها من كتب سحر البلاغة وسير البراعة ما كتب لخزانة الأمير أبي الفضل عبيد الله بن أحمد الميكالي

فرغ من تسويده وتسطيره المفتقر إلى فضل الله وغفرانه محمد بن أحمد بن الحسن السرجهاني في محروسة ماردين بالمدرسة الخاتونية الرضية تغمدها الله برحمته

لست بقين من شهر الله الأصم رجب سنة سبع وخمس مائة

فهرس كتاب سحر البلاغة وسر البراعة

- ب كلمة الناشر.
 جـ ترجمة المؤلف.
 ٣ وصف النسخة وتصحيحها.
 ٤ راموز الصفحة الأخيرة.
 ٥ مقدمة المؤلف.
 ٧ كتاب ذكر الله تعالى.
 (ورسوله صلى الله عليه وسلم وكتابه).
 مقدمات.
 غرر التحاميد.
 ٨ وصف الحمد.
 عادة الله جل ذكره.
 صنع الله ولطفه.
 ٩ ذكر الله تعالى في أثناء الكلام ذكر
 النبي محمد صلى الله عليه وسلم.
 ١٠ الصلاة عليه مع الإفصاح.
 ذكر اللال.
 ١١ ذكر القرآن.
 ١٣ كتاب الأزمنة والأمكنة.
 (وما يتصل بها ويشاكلها).
 في الربيع وإقباله.
 ١٤ في النسيم ووصف أثره.
 ١٤ في وصف الرياض.
 ١٥ في وصف البساتين.
 ١٥ في ذكر النرجس والورد والشقائق.
 في غناء الأطياف.
 ١٦ في وصف أيام الربيع.
 مقدمة المطر.
 ١٦ في السحاب والمطر.
 ١٧ في وصف الماء وما يتصل به.
 في ذكر الصيف ووصف الحر.
 ١٨ ذكر الخريف.
 في الشتاء ووصف البرد والثلج
 والجمر.
 ١٩ في الإستظهار على البرد.
 ١٩ في نعت الأيام الشتوية.
 أبواب ذكر الليل والنهار
 ووصف أوقاتها واختلاف
 أحوالها وما يتصل بها
 في ذكر إقبال الليل وانتشار الظلمة
 وطلوع الكواكب.

- ٢٠ ذكر الليالي المظلمة.
 ٢٠ في ذكر الليالي الطلقة الطيبة المشكورة.
 في ضد ذلك وذكر طول الليل.
 ٢١ فيما يذكر من السهر لاعتراض الموم والفكر.
 ٢١ ذكر النعاس والنوم.
 ٢٢ انتصاف الليل.
 تناهي الليل وتصمره.
 ٢٢ إقبال الصبح وانتشار النور.
 أفول النجوم.
 ٢٣ طلوع الشمس وانسباط الضوء.
 متنوع النهار.
 ٢٣ انتصاف النهار.
 اصفرار الشمس وغروبها.
 ٢٤ ذكر ابتداء الليل إلى انتهائه.
 (أبواب الأمكنة والأبنية).
 في وصف البلاد.
 ٢٤ في ضد ذلك.
 ٢٥ في ذكر الوطن.
 في الحصون والقلاع.
 ٢٦ في القصور.
 في الدور السرية.
 ٢٦ في الدور المتداعية الخالية.
 ٢٩ كتاب أحوال الإنسان.
 (من لدن صغره وغائه إلى كبره وانتهائه).
 في ذكر الصبية الصغار.
 في حسن مخايل المولود.
 ٢٩ في ذكر الغلام الأمرد ووصف محاسنه.
 ٣١ في الصدغ والشارب والعذار.
 وصف خروج الحية وذمها.
 نعت محاسن الجواري.
 ٣٢ ذكر الشاب الغض الشباب.
 خلعة الشاب وتصايبه.
 ٣٣ في ذكر الشاب الرشيد وترشحه للمعالي.
 وَخَطُ الشيب وانتشاره.
 ٣٤ في الإكتحال والإحتناك والأرعواء عن مجاهل الشباب.
 ٣٥ استحكام الشيب وبلوغ الشيخوخة في الهرم ومشاركة الفناء.
 ٣٧ كتاب الطعام والشراب.
 (وما ينضاف إليهما ويقترن بهما).
 في الفواكه والثمار.
 ذكر الجوع.
 ٣٨ وصف القدور.
 ٣٨ مقدمة الطعام.
 وصف الموائد.
 وصف الألوان من الأطعمة.
 ٣٩ في وصف ألوان من الحلواء.
 ذكر النهم الأكل.
 ٤٠ في وصف يجالس الأنس وآلات اللهو.
 ٤١ فيما يتصل به من الألفاظ.
 ٤١ في الأستزارة.
 في الكناية عن الشراب.
 وصف الشراب.
 ٤٢ في تأثيره في القوم.
 فقر وغرر تليق بهذا الباب.
 ذكر الغناء والمغني.

- ٤٣ في ذم المغني.
 في استهزاء الشراب.
 ٤٥ كتاب وصف النظم والنثر.
 (وأصحابها والاعتها وأدواتها).
 وصف حسن الخط.
 ٤٦ في سرعة الكتابة.
 وصف النثر بما يشتمل عليه من
 الألفاظ والمعاني.
 ٤٧ ذكر البلاغة والبلغاء.
 ٤٨ في سرعة الخط ونفاذ الطبع.
 زلاقة اللسان والفصاحة.
 ٤٩ ذكر الإطناب.
 وصف النثر والنظم معاً.
 ٥٠ وصف الشعر.
 ٥١ وصف الشعراء.
 في نعت الشعر السائر.
 ٥١ في ذكر شعر الأكابر والملوك.
 ٥٢ وصف الكتب البليغة الغزيرة.
 وحسن موقعها.
 ٥٢ تشبيهات هذه الكتب.
 ٥٣ وصف قصر الكتب.
 ٥٤ في ذم الخط والقلم.
 ٥٤ في ذم الكلام.
 ٥٥ في ذم الكاتب.
 ٥٥ في الشاعر والشعر.
 ٥٦ أوصاف أدوات الكتاب وآلات
 الكتاب.
 في نعت المداد.
 في نعت القلم.
- ٥٧ في نعت السكين.
 ٥٩ كتاب المعادح والأثنية.
 (وما يجري مجراها ويأخذ مأخذها).
 المدح بشرف الأصل وكرم النسب.
 ما يختص من ذلك بأبناء النبوة.
 ٦٠ في المدح بجمع بين شرفي الأصل.
 والنفس وفضلي الإنتساب
 والإكتساب.
 المجد والشرف والعلو.
 ٦١ الجود والكرم.
 ٦٢ الجمال وحسن الصورة.
 البشر والبشاشة.
 ٦٢ العلم والأدب.
 ٦٣ حسن الخلق.
 الظرف واللباقة وحسن العشرة.
 ٦٤ طيب الخبر.
 حسن العهد وكرم الود.
 ٦٤ أصابة الرأي.
 ٦٥ التجربة والحنكة.
 ٦٦ في الهمة العالية.
 الشهامة والنفاذ والجد والجلادة.
 ٦٧ التقى والزهد.
 الكمال والأنفراد عن النظراء.
 ٦٧ التفضيل والترجيح.
 ٦٨ ما يليق ببعض هذه المدائح من
 حكاية أفعال المحسنين وحسن آثار
 المنعمين والألفاظ التي تقع في
 الشكر ونشر البر.
 ذكر الإفضال والإنعام والإحسان

- والإصطناع.
- ٦٨ حسن آثار المنعم.
- ٦٩ وصف النعم.
- ٦٩ وصف الأيادي والمن.
- ٧٠ ذكر وفورها وكثرتها.
- ٧٠ التشريف والتنويه.
- ٧١ ذكر الشكر.
- ٧١ العجز عن الشكر لتكاثر الإنعام والبر.
- ٧٢ حسن الإفصاح عن الشكر والثناء.
- ٧٢ دلالة الحال على ما وراءها.
- أدعية تليق بهذه الأحوال بهذا الباب.
- ٧٥ كتاب المساويء والمقايح (وما يدانيها)
- اللؤم والخصّة.
- في البخل.
- ٧٦ القبح والدمامة والحقارة.
- الثقل والبغض والبرد.
- ٧٧ البحر وترك التنظف.
- الجهل والخرق والسخف.
- ٧٨ الخسة مع الثروة والإقتصار من الإنعام والإفضال على التمتع والتجمل وجمع المال وترك التطول.
- القلة والذلة.
- ٧٩ خبث الطوية ومخالفة الباطن الظاهر.
- ما يختص من هذا الباب بالمرائين من الفقهاء والعدول والقضاة.
- ٨٠ الكذب والبهتان.
- خبث اللسان والفعل.
- ٨١ الإستهداف لسهام الغائبين.
- التيه والكبر.
- الحسد.
- ٨٢ دناءة النفس مع شرف الأبوة.
- النميمة.
- الجن.
- ٨٢ خلف الوعد وكثرة المظل.
- ٨٣ صعوبة الجانب.
- ٨٣ العجز.
- ٨٥ كتاب العيادة (وما يجانسها)
- ذكر التشكي والمرض.
- اشتداد العلة وسوء الظن بها.
- ٨٦ الإنزعاج لعارض العلة.
- تهوين أمر العارض بحسن الرجاء.
- ذكر المشاركة في العلة.
- ٨٧ الإهتمام للعلة ثم الإستبشار بزوالها.
- شكاة أهل الفضل والسؤدد.
- ٨٨ أدعية العيادة.
- تنسم الإقبال بعد اليأس.
- ذكر الإبلال وحمد الله عليه والدعاء عنده.
- ٨٩ الإستشفاء بكتب العيادة.
- ٩١ كتاب التهاني والتهادي (وما ينخرط في سلوكها ويأخذها مأخذها)
- ألفاظ التهئة بمولود.
- ٩٢ ما يختص منها بالملوك.
- الأدعية للمولود والوالد.
- ٩٣ ما يختص منها بالملوك والسادة.

الكناية عن موت الرؤساء والأعزة.
 ١٠٦ ذكر النعي بالفقد.
 نعي الملوك والأجلة وذكر سوء آثار
 المصائب فيهم.
 ١٠٧ ما يختص من ذلك بأبناء النبوة.
 ١٠٨ ذكر البكاء.
 ذكر الإستراحة بالبكاء والجزع.
 وصف عظم المصيبة وثقل وطأتها.
 ١٠٩ ذكر الإنخزال وكسوف البال والجزع
 والتسوجع والإكتئاب لحادث
 المصائب.
 ١١٠ التأبين والندبة.
 ١١١ في أن الفدية لا تغني.
 ما يقع من كتب التعازي من وصف
 الدهر.
 ١١٢ ما يقع فيها من ذكر الدنيا وذمها
 الأمر بالصبر والنهي عن الجزع.
 ١١٣ ذكر الموت.
 ١١٤ في الرضاء بقضاء الله تعالى والتسليم
 لحكمه.
 في حمل قضاء الله على الأصلح
 لعباده.
 ١١٥ ذكر الأعمار والأجال.
 في التسلية ببقاء الباقي عن الماضي.
 ١١٦ فيما يجمع بين التعزية والتهنئة.
 ١١٧ استظهار المشاركة والمساهمة.
 عظات التعزية.
 الأدعية للمتوفي.
 ١١٨ ما يختص منها بالملوك.

ذكر المولود العلوي.
 ذكر التوأمين.
 ٩٤ في التهنئة بالبنات.
 ٩٥ ألفاظ التهنئة بالإملاك وما يقترب بها
 من الأدعية.
 ألفاظ التهنئة بالولايات.
 ٩٦ ما يختص منها بالوزراء.
 ٩٧ ما يختص منها بالقضاة.
 الأدعية التي في التهاني بالأعمال
 والولايات.
 ٩٨ ذكر الخلع والأحذية ووصفها
 في التهنئة بالقدوم.
 ٩٩ ألفاظ في التهنئة بالحج وتفخيم أمر
 الحج وتعظيم المناسك والمشاعر وما
 يتصل بهما من الأدعية.
 ١٠٠ في ألفاظ التهنئة بالإطلاق من الحبس
 التهنئة بإقبال شهر رمضان وما يتصل بها
 من الأدعية.
 ١٠١ الأدعية في التهنئة بالعيد.
 ما يختص منها بالأضحى.
 ١٠٢ التهنئة بالنيروز وفصل الربيع.
 ١٠٣ التهنئة بالمهرجان.
 إقامة رسم الهدية في النيروز
 والمهرجان وغيرهما من الأيام الغر.
 إهداء أهل الدفاتر وآلات الكتاب
 والآداب والعلوم.
 ١٠٥ كتاب التعازي
 (وما يليق بها)
 وصف الخبر الهائل المزعج.

- ١١٩ ما يختص منها بالأشراف.
 في الدعاء للمعزى بالصبر والأجر.
 ١٢٠ سائر الأدعية للمعزى.
 ما يختص منها بالملوك.
 ١٢١ ما يختص منها بالأشراف.
 مخاطبة العلماء والزهاد في التعزية.
 ١٢٢ ذكر موتهم وتأبينهم.
 ذكر موت الأدباء والكتاب.
 ١٢٣ ذكر موت الأولاد الصغار والكبار.
 ما يختص من ذلك بأولاد الملوك.
 ١٢٤ ذكر احتضار الشبان.
 ١٢٥ في التعزية عن الأب.
 في التعازي عن الحرم.
 ١٢٧ كتاب الإخوانيات
 (وما يأخذ مأخذها)
 ذكر المودة.
 حسن المخالصة.
 ١٢٨ لطف الحال وتشبهها بالقرابة.
 الإختصاص والإتحاد.
 ١٢٩ المناداة والمؤانسة.
 التردد والإفصاح عن صدق المحبة
 والموالة.
 ١٣٠ العبودية والخدمة.
 ١٣١ المناسبة بالعلم والأدب والمذهب.
 وصف الشوق.
 ١٣٢ سوء آثار الفراق والإشتياق وما يتصل
 بذلك.
 ذكر الوداع.
 ١٣٣ تذكر أيام اللقاء وصفوها.
- الأدعية الإخوانية.
 ١٣٤ ألفاظ الجواب عن شكوى الشوق.
 إهداء السلام.
 ١٣٥ ذكر العتاب.
 شكوى الإعراض والجفاء وسوء
 العهد.
 ١٣٦ سائر ألفاظ العتاب والإستزارة.
 ١٣٧ وصف العتاب عند الجواب عنه.
 لبس الصديق على علاته والإغضاء
 عن هناته.
 وصف الغيظ والجرد.
 ١٣٨ الإعتذار والإستصفاح والإستعطف.
 ذكر العذر الضعيف النافذ.
 ١٣٩ ذكر قبول المعذرة وزوال الوحشة
 والموحدة.
 ١٤١ كتاب السلطانيات
 (وما يأخذ مأخذها)
 ذكر الخلفاء.
 ذكر السلطان وطيب ثمرة من والاه.
 وسوء مغبة من ناواه.
 ١٤٢ العدل وحسن السيرة.
 حسن السياسة وتصريف أعنة
 المملكة.
 ١٤٣ بمن النقية.
 اتساع المملكة والإستظهار بالرجال
 وكثرة الأموال.
 ١٤٤ ذكر الملك المعظم النصر السعيد الجدد
 الميمون الطالع.
 إصلاح المملكة وإحسان الآثار

- وتطبيب الأخبار فيها.
- ١٤٥ ما يختص من ذلك بالوزراء وأرباب الدولة وأوليائها.
- ١٤٦ ذكر حضرة الملك وساحة السلطان ذكر الوصول إليها والخدمة بتقبيل الأرض واليد.
- ١٤٧ ما يقع في هذا الباب من ذكر العصاة والأعداء ووصف أحوالهم ونعت أفعالهم البطر وكفران النعمة والضميم والإستيلاء.
- ركوب الهوى وطاعة الأماني الكاذبة والآراء الفاسدة.
- ١٤٨ المدحجة والمراوغة في تربص الدوائر تسويل الشيطان لمن يقرع باب العصيان.
- ١٤٩ ذكر الغي والبغي والتمرد وسائر ما يتعلق بخلال العصيان.
- ١٥٠ في التعرض للهلاك واستجلاب سوء العاقبة.
- في ذكر الظلم والظلمة وسوء آثارهم على العباد والبلاد.
- ١٥٢ ذكر المخرج وكثرة الفتنة.
- ١٥٣ التحذير والإنذار والإهابة إلى الرشاد.
- في العمى عن الرشاد والصمم عن المواعظ والإصرار على الضلالة.
- ١٥٤ إبراز صفحة المناظرة.
- استيجاب التكبر والمعاقبة.
- ١٥٥ الإبراق والإرعاد.
- ١٥٦ احتشاد العدو.
- ذم جيش العدو.
- استهانة الأعداء واستحقارهم والتفاؤل عليهم.
- ١٥٧ قرب العدو من الهلاك.
- فيمن سعى بقدمه إلى مراق دمه.
- ١٥٨ ذكر انخزال الإعداء ووهلهم واستيلاء الرعب عليهم قبل المحاربة.
- ١٥٩ مسير الملك في جيوشه والتفؤل له.
- ١٦٠ وصف الجيش بالكثرة والشوكة والنصرة.
- وصف الأبطال والشجعان وأبناء الحروب.
- ١٦١ ذكر الأولياء والأعداء معاً
- ١٦٢ تعبئة الجيوش وترتيبها.
- تلاقي الجيشين وكشف الحرب عن ساقها
- اشتداد الحرب وحمي وطيسها.
- ١٦٣ أعمال الأسلحة.
- ١٦٤ حسن الغناء في الحرب والإيقاع بالأعداء وشدة النكاية فيهم.
- هبوب ريح النصر.
- ١٦٥ انجلاء المعركة عن القتل والجرح والأسرى والهزمى.
- ١٦٦ ذكر القتل والقتلى.
- سوء أحوال المنكوبين والمحاط بهم.
- ١٦٧ الأسر والأسرى وتشهيدهم.
- هلاك الأعداء وفناؤهم.
- فيمن نجا برأسه وقد كاد يؤخذ.

- ١٦٨ ذكر المنهزمين ووصف أحوالهم.
- ١٦٩ ذكر ركوب الأولياء أكتاف المنهزمين وقرب متناولهم على الهلاك.
- ١٧٠ ذكر الغنائم.
- ذكر موت العدو.
- ١٧١ سلامة الأولياء على الحرب.
- جلالة شأن الفتح وعظم موقعه وحسن آثاره.
- إشاعة خبر الفتح.
- ١٧٢ حسن حال البلدة المفتوحة والتخفيف عن رعيتها.
- الأدعية السلطانية عند الفتح والبشائر وغيرها.
- ١٧٣ الدعاء على أعداء الدولة.
- ١٧٤ استقرار الدار بالسلطان وما يتصل بذكر ذلك من الأدعية.
- ١٧٥ كتاب الشوارد والفوارد (وما يشبهها)
- هبوب ريح الإقبال.
- تبشير النجى والغنى.
- ١٧٦ حسن الحال ووفور المال.
- ذكر المال الصامت.
- تراجع الأمور وركود ريح النعمة.
- ١٧٧ إنحاء الخطوب والنوائب.
- سوء الحال واستحكام الحرقه.
- سوء أثر الفقر والضر.
- ١٧٨ وصف ثياب الفقر.
- وصف المتناهي في الفقر.
- ١٧٩ ذكر اليسر بعد العسر والإنتعاش من
- صرعة الدهر.
- وصف عيش الناعم المغبوط.
- ١٨٠ في ضد ذلك.
- السرور والإهتزاز.
- ١٨١ في ضد ذلك.
- ذكر الأمن.
- ١٨٢ في ضد ذلك.
- ذكر الطاعة بعد الإمتناع واللين بعد القسوة.
- الضياع وما يجري من الألفاظ في ذكرها ووصف أحوالها.
- ١٨٣ ذكر الفرس والبغلة والحصان.
- ١٨٤ وصف الأيام المشهودة والمشهورة التأيد.

١٨٥ كتاب الأمثال والحكم
(وما يحذو حذوها)

- ما أخرج من كلام الأمير شمس المعالي.
١٨٦ ما أخرج من كلام أبي القاسم علي بن محمد الإسكافي.
ما أخرج من كلام أبي الفضل بن العميد.
١٨٨ ما أخرج من كلام أبي محمد الحسن بن محمد المهلبي الوزير.
ما أخرج من كلام الصاحب أبي القاسم إسماعيل بن عبّاد.
١٩١ ما أخرج من كلام أبي إسحاق إبراهيم بن هلال الصابي.
١٩٢ ما أخرج من كلام أبي القاسم عبد العزيز بن يوسف.
ما أخرج من كلام أبي الحسن علي بن القاسم القاساني.
١٩٣ ما أخرج من كلام أبي بكر محمد بن العباس الخوّار رُمي.
١٩٦ ما أخرج من كلام الأمير أبي الفضل عبيد الله بن أحمد الميكاني.
١٩٧ ما أخرج من كلام بديع الزمان أبي الفضل أحمد بن الحسين الهمداني.
١٩٨ ما أخرج من كلام أبي الفرج عبد الواحد بن نصر المعروف بالبيّغاء.
١٩٩ ما أخرج من كلام أبي الفتح علي بن محمد البستي.
٢٠٠ ما أخرج من كلام أبي النصر عبد الجبار العُتبي.
٢٠١ ما أخرج من كلام أبي الحسين محمد بن الحسن الأهوازي.
ما أخرج من كلام المبهج لمؤلف هذا الكتاب.

